المتهــم الاول

*

تتميز حياتنا القومية اليوم بلون من النشاط الزائف. فبعد مأساة فلسطين والكوارث التي تبعتها ، وبعد الانقلابات والهزات السياسية المتعاقبة ، برزت في افق اللاوعي العربي آثار أشعة كاذبة كالسراب تود لو توحي بميلاد الوعي او نضجه . فالفساد والخطأ والخيانة ونحوها ، كلمات أصبح الحديث عنها من الامور المألوفة بين الافراد والجماعات ، وعند الكتّاب وسائر رجال الصحافة ، حتى ليكاد المرء يقول لقد قضي الامر وتفتح الوعي . ولكن الواقع ، لو تحريناه باخلاص ، ينبىء بأن هذه الحالة ما هي إلا علة جديدة انضافت الى علل النفسية العربية ، وينبغي علاجها وتقويمها بالذات .

إن الشعوب العربية أو بعضها تلوم وتتهم. إنها تلوم الذين أفسدوا حياتها وأوردوها موارد الخزي في الماضي القريب ، وإنها لتلوم وتتهم ايضاً من تراه على شاكلة هؤلاء في الحاضر : اي أن الملوم والمتهم من هؤلاء واولئك متمثل في الحكومات، في القادة والزعماء ، واما هذه الشعوب ذاتها فهي في نظرها البريئة دائماً وابداً .

كثيرة هي تلك الكتب والمقالات والخطب التي انطلقت وما تزال لتصب جامّ نقدها على الحكومات وولاة الشأن، ولعلنا لا نعرف في مجال نشاطنا القومي والسياسي غير هذا اللون من النقد ؛ ولكنه من أعسر العسر ان تعثر بين الناقدين على من قال للشعب : بل انت المسؤول ، وانت المتهم الاول .

ما هي الحكومات ، ومن هم الزعماء ؟ وأية اهمية لفسادهم او صلاحهم ؟ أليس الشعب هو الذي يوليهم ويرفعهم ، وهو الذي يستطيع ان يزيلهم ساعة يشاء ، اذا كان يشاء ؟ إنما العبرة اذاً في صلاحية الشعب ذاته ونضجه. وإن الشعب الذي لم تستقم بعد في ذهنيته مفاهيم الحياة القومية من سياسة وديمقراطية وحرية واجتماع ، فيؤخذ بالقشور والترهات الخلابة ، ويسير كالقطيع في ركاب أي منتصر ظافر ، لا يجوز له ان يتهم ، ولا يجوز لأحد ان ينوب عنه في الاتهام ، لأن ذلك تغرير به وتضليل .

إن اول مظهر يطالعنا به هذا الاتهام ، هو انه اتهام جزافي . انه لا يستوحي مبدأ معيناً ، ولا ينتهج قاعدة منطقية ثابتة ، وهذا ما أدى به غالباً الى الوقوع في التناقض الصريح . ففيما يتعلق بالأمس القريب ، نجد أن السياسيين الذين رافقوا عهد الحملة الفلسطينية هم جميعاً ودون تمييز متهمون . والواقع ان الكثير من هؤلاء الرجال يشترك في حمل وِزر الكارثة ، ولكن هذا لا يعني ان الادانة تلحقهم جميعاً ، ولا ان بعضهم لم ينهض فعلاً بمهمة تقويم الاعوجاج وتصحيح الاخطاء في سلوك بعض الحكومات ، فمابرح إخلاص نفر من هؤلاء في الجهاد ماثلاً للعيان ؛ بل إنه لا يرفع التبعة عن كاهل هذه الشعوب التي يحلو لها اليوم ان تتهم، ولا يُبرىء ساحتها على الاطلاق ، لانها لم تكن اكثر اهتماماً ولا اعظم وعياً من حكوماتها للمشكلة ، كما انها لم تستخدم إمكانياتها ولم تصنع شيئاً يُثبت عكس هذه الحقيقة . وليس من تفسير لهذا الاتهام الا انه تعبير عن حالة نفسية مرَضية ، واسلوب تبريري قوامه التهرب من التبعة بالقائها على الغير ، والتشفي من هذا الغير بغية التملص من وصمة العار . ومن اطرف الادلة على جُزافية هذا الاتهام واعتباطيته ، ان الكثير من المسؤولين الحقيقيين عن فساد العهود الماضية ، والذين اضطلعوا بالحكم إبان معظم فتراتها ، هم انفسهم اليوم من اشد المتحمسين في توجيه هذا الاتهام بلسان الشعوب وبتأييدها ، وهم في نظرها ابطال الاصلاح والتقدم والحرية، وكأن هذه الشعوب قد نسيت اين كان هؤلاء في الايام الخالية ، وماذا كانوا يفعلون .

لا بد لنا من التسليم بأن روح الشعوب العربية تعاني وهناً، وحسبنا شاهداً على هذا ان العرب تعودوا ان يعتبروا جميع شؤون الحياة الاجتماعية من الامور المنوطة بالحكومات وحدها ، ولم يفطنوا بعد الى ان الحكومات ليست كل شيء، وان الافراد يصنعون ما لا تصنعه الحكومات ، وان واجبهم بالذات متركز في القيام بمهام المجتمع بأنفسهم افراداً وهيئات دون الاعتماد على العون او المجهودات الرسمية . وواضح ان مرد ذلك الى روح الاتكال والفرار من تحمل التبعات، وهي روح باتت عريقة متأصلة في النفوس، وعيب كثرت الاشارة اليه دون ان تحدد ظواهره العينية الدقيقة لاستئصاله، فظل فكرة عامة غامضة المدلول خفية المعالم.

لذا كان لزاماً على كتاب العرب أن يتحروا الصدق في حديثهم الى الشعوب العربية. فقد آن لهذه الشعوب ان تشعر بالتبعة فتنظر الى ذاتها وتحاسبها ، عاملة بالمبدأ المأثور « إعرف نفسك ».ولنثق بأنه إذا كان يحق للرجل السياسي احياناً ان يزيف بعض الحقائق بدافع الإخلاص وبقصد الإيحاء الوطني فيقول لشعبه إنه شعب عظيم ، فان رجل الفكر لا يجوز له إلا ان يقول الحقائق المرة خالصة من أي رياء . ذلك لأن الأول قائد ، ومن شأنه ان يدفع الى المسير ، وأما الثاني فمصباح عليه ان يضيء الطريق .

محمد وهبي

دستويفسكي

بقلم عبدالله عبد الجبار
مدير ادارة البعثات العلمية
العربية السعودية بمصر



ان مؤلف هذا الكتاب الذي ننقل للقارىء الكريم مقابس منه توضح بعض النقط الحساسة في حياة دستويفسكي الادبية ، ونتاجه الفني ، هو « استانسلو ماكويكز » وقد جمع هذا المؤلف في هذه الترجمة الحية بين الاخلاص في دراسة الشخصية ، والاستعداد الفطري لفهم النفس السلافية والعقل السلافي .

ولعلنا – فيما يرى بعض النقاد – لا نكاد نجد شخصاً يتيح لنا من الدراسات القيمة ، دراسة كهذه نعرف بها قدر دستويفسكي النابغة العبقري ، ودستويفسكي الانسان ، اقدر من هذا البولوني الذي ترعرع في احضان روسيا القيصرية ، فاستطاع ان يعطينا فكرة صادقة عن روسيا القديمة نرى فيها الصور الحقيقية واللون الصحيح .

ومن ثم جاء كتابه مثيراً جذاباً مغرياً دقيقاً في تحليل شخصية دستويفسكي كانما يراها تحت المجهر ، وكشف فيما كشف عن « الماسوشت » الذي يتخذ الاستكانة وسيلة لتحقيق رغباته ، والعراف الديني الذي يحب عذاب نفسه ، ولم يدع وجهاً او زاوية في شخصية هذا الرجل حميدة كانت او ذميمة الا أحصاها – ما دامت تتصل اتصالاً وثيقاً بنبوغه وقدرته على الابتكار . ولم يتركها تندثر تحت اعتبار خاطىء حرصاً على شعور القارىء واحساسه .

وان القارىء ليجد الكثير مما يدعو الى المناقشة . أفحق ان دستويفسكي مدين بشهرته العالمية لتلك الفتاة الصغيرة « آنيا » زوجته الثانية التي جاهدت جهاداً متصلاً في ان تتيح لزوجها المحبوب هدوءه الفكري ؟ وكيف استطاع شعوره الديني العميق ان يتسق مع تلك الهواجس المقيتة التي كانت تصطرع في سريرة نفسه ؟

ان المؤلف البولوني البارع – دون ان يحط من قدر نابغة روسيا الكبير – استطاع ان يقدم لنا حياته كما هي في حقيقتها وترك لنا الحكم له او عليه .

دستويفسكي

لا جرم ان عبقرية « دستويفسكي » تقف جنباً الى جنب بجوار عبقريات شكسبير وسيرفانتس ، وفولتير ؛ فهذا المفكر المسيحي المنافح عن الاخلاقية المسيحية ، لا يقارن ببلزاك وحسب وانما بـ« سنت فرانسيس آسيسي » او « توماس كيمبس » كذلك . ورواياته لها الطابع الادبي الذي تتسم به الروايات البوليسية الرومانسية ؛ فهي – بصفة خاصة – روايات اجرامية لا تكتمل الا بالقتل والسفك والسرقة والتزوير وما الى ذلك . والصفحات التي دبجها يراع هذا الاب الكنسي لها بشاعة مغامرات « شرلوك هولمز » وجهامتها .

وقد كان دستويفسكي يكره الكاثوليكية وجميع طوائفها ويقصد بطوائفها تلك المذاهب التي اوجدها « لوثر » و« كلافن » و « كنيسة انجلترا » وقد ثار هذا الكاتب في وجه هذه الكاثوليكية قائلاً : انها اقبح واردأ من الوثنية نفسها ، و« المسيحية الحق لا تحيا الا في الكنيسة الارثوذكسية وحدها » .

وقد كان يحتقر البولونيين ، ويلعن اليهود ، ويكره كل اوروبا الغربية ، وكان يحب القياصرة والقيصرية ، وظل وحده دون جميع معاصريه من الكتاب الروس ، الملكيَّ المتطرف .

وقد حكم عليه القيصر بالاعدام ، ولكن ادركته رحمة الله فخفف الحكم وارسل الى منفى المجرمين بسيبريا ، وظل حتى آخر يوم من حياته يعاني مما يعاني من عنت (البوليس) ورقابته المضنية .

وقد اصبح دستويفسكي – بعد ان قضى نحبه – الاب الروحي للوطنية الروسية ؛ فالاباطرة الذين اعتلوا العرش – بعد وفاته – ؛ الكسندر الثالث ونيقولا الثاني كانوا يستمدون تأثيرهم السياسي من نتاجه الادبي . حتى البلشفية نفسها نراها تدفع اليوم « اتاوتها » لهذا الرجل العظيم ؛ ففي مقدمة الطبعة السوفيتية الرسمية لرسائل دستويفسكي كتب احد النقاد الرسميين عنه ما يأتي :

« لا يعتبر دستويفسكي اعظم فناني القرن التاسع عشر ، وحسب ، ولكنه يعتبر كذلك ابرز ظاهرة في تاريخ الثقافة البشرية واشهرها » ومضى دستويفسكي خلال سني حياته الى الغاية في الهجوم على الثورات ، ومناهضة الافكار الثورية ، وفي كتابة رسائل حقيرة خسيسة الى « رومانوف » .

« وهذا – بطبيعة – الحال – عمل دنيء باعث على التقزز والاشمئزاز ، فدستويفسكي اذن احد الذين ناهضوا الثورة ومن ثم فلا يمكن ان تكون له اية اهمية بالنسبة لنا » اي للبلشفية .

« بيد ان دستويفسكي – اذا ما قيس بجمهرة الناس من الناحية العقلية – كان اشبه بالعملاق وسط الاقزام .. وفي

صوره الفنية وكتابته الشعبية وفي رسائله الخاصة ، قد قدَّم لنا فلسفة للافكار تُعتبر اعمق واجمل من كل ما يمكن ان تناهض به (الاشتراكية) من آراء وافكار » .

ودستويفسكي باعتباره اخلاقياً مسيحياً ، قد اسس دعائم « الدستويفسكية » وهذا هو الاصطلاح الذي نستعمله اليوم للدلالة على طائفة من الناس مشفية على جرفٍ هارٍ من الجنون والاختلال العقلي ولا تستطيع ان تكبح اهواءها الجنونية الجامحة .

وقد مارس دستويفسكي تحليله النفساني كما لو كان يحمل في يده مجهراً يجلو الدقاق ؛ كانت عين الذبابة تبدوا له خلال (الميكرسكوب) كما لو كانت فوهة بركان. وعلى هذا النحو كان دستويفسكي يضخم الاخطاء البشرية، ويجسمها حتى يصل بها الى حدود وهمية موغلة في الوهم والخيال. وهو لا يفعل ذلك الا لتتم له ملاحظتها على اتم وجه، ومن ثم يتعرف اليها ويبرزها واضحة جلية .

وروايات دستويفسكي مليئة بالجلبة والفوضى والضجيج. وهذا نتيجة لطريقته في الملاحظة التي ينفخ في بوقها نفخاً شديداً عالياً كأنما يتحدث الى العالم أجمع، حتى تلك المشاعر الخفية المألوفة، التي تختفي عادة في نفوس البشر كانت تبدو مرتدية ثوب الجلاء والوضوح.

وهذا المبدأ نفسه قد اتخذه أساساً لخياله الفني ، والحركة البطيئة التي تستعمل في شريط أخبار الرياضة حيث تلاحظ حصاناً يقفز قفزة عالية أو يجتاز عقبة كأداء في فترة زمنية قد اخّرت تأخيراً غير طبيعي ، تعتبر منظراً غريباً مضحكاً او طريقة مصطنعة، لم تتخذ إلا لتسهيل السبيل لملاحظتنا وتوضيح أسرار قفزة الحصان، ولكنها الطريقة التي ترينا صورة من الحقيقة ليست حقيقية، لأنه قد بولغ فيها الى حد كبير وهذا هو عين ما نراه في دستويفسكي .

وحياة دستويفسكي نفسها تعتبر مرتعاً خصباً لدراسة ساحرة خلابة . فما اكثر مـــا نلتقي بهؤلاء الذين يعيشون في جو الدستويفسكية وروحها، وما اكثر ما نصادف اولئك المغامرين وشذاذ الاطوار الذين قد وضع كل منهم احدى رجليه في مستشفى الامراض العقلية ، وهو على وشك ان يضع الاخرى .

وعلى هذا النحو نجد مسارح نتاجه العبقري والازمنة التي تنتظم رواياته في روسيا تشمل ايام العبودية ، وتحرير الفلاحين معاً .. تشمل عهد الاوتوقراطية عهد نقولا الاول ، وعهد الثورية : عهد الكسندر الثاني .

ويعتبر دستويفسكي نسيج وحده في تصوير معـاصريه ؛ فالكاتب عادة – اي كاتب – إذا ما اراد ان يرسم في ادبه شخصاً لا يزال على قيد الحياة، فانما يصوره في شخصية واحدة من شخصياته؛ ولكن دستويفسكي حين يرسم شخصاً ما يخلق منه عدة اشخاص وذلك بأن يقدم لنا منه عدة شخصيات متباينة الملامح متغايرة السمات، كثيراً ما تناهض كل منها الاخرى، او نلفيها قد غل بعضها الى البعض الآخر بغل او قيد معقد متشابك وهو في عمله هذا لا يرسم لنا الا شخصية واحدة من شخصيات الحياة . .

ونحن نعلم ان زوج البطلة في قصة (أنا كارنينا) «لتولستوي» هو الكسي الكسندروفتش كارانين السياسي الروسي الشهير في أعجاز القرن التاسع عشر .

وهذه الصورة التي تطالعنا لهذا الرجل الشاحب اللون النحيل الجسم الطاعن في السن بأذنيه البارزتين ، والاوسمة والنياشين قد انتظمت على صدر قميصه (المنشى) ، ومفاصل اصابعه تفرقع بصوت مسموع حينما يشبك يديه . هذه الصورة حجة بالغة في الدلالة على الرجل .

ولكن هل صوَّر لنا دستويفسكي «بوبيدونوستسيف » في رواية واحدة من رواياته ؟ نعم لقد صوره، ولكنه لم يخلق لنا منه شخصية الوزير القيصري وحده، بل عدة شخصيات اخرى كشخصية « اب الاعتراف » وشخصية العجوز الماكرة صانعة أعواد الثقب ، وشخصية تلك القابلة الشمطاء الجامدة الحس التي يبدو انها لا تتأثر ولا تتألم، واخيراً شخصية ذلك الطالب الساذج البسيط المتحمس المندفع في حماسه . كل اولئك يمثل شخصية « بوبيدونوستسيف » .

وانماط الابطال في روايات دستويفسكي ليست رسوماً واشكالاً بشرية ، وانما هي كائنات انسانية حية سوية. ليست مؤلفة من رقاع واجزاء، بل هي ذاتيات بشرية تامة قد أُبدعت ابداعاً فنياً.

ودستويفسكي يرسم نماذجه البشرية بطريقة شاذة معقدة ؛ فابطاله لا ينقسمون الى الاخيار والاشرار على النمط الآتي : الشجعان والجبناء ، والايثاريون والبخلاء، والبغايا وذوي الفسق والفجور ، والتقاة الذين يخشون ربهم حق تقاته . .

انه لا يفعل هذا ؛ لأنه كان يعتقد ان الطبيعة الانسانية في جوهرها الاصيل قد ركبت من خلائق متناقضة متضاربة ، لا حد لها ، وكل خليقة تناهض الاخرى في الكائن البشري وتظل في صراع محتدم مستمر مع الروح الانسانية والنفس البشرية ابداً. ودكتور «جيكل» و مستر « هايد » لم ينشأ هكذا مصادفة ، وانما خُلقا بتأثير واع او غير واع من نتاج دستويفسكي الادبي.

وليس الخلق والابداع عند دستويفسكي عراكاً دراميا عنيفاً بين عناصر الخير والشر التي يجادل باسمها الاديب ضد ما في صدور

القراء من آراء ومعتقدات، ولا يمس هذا العراك الا الخارج والظاهر وحسب، كلا! وإنما هو – وبصفة مطردة – صراع داخلي أليم بين الخلائق المختلفة وبين روح كل شخصية من شخصيات رواياته.

وحين يخلق شخصية بخيل كز شحيح لا حدّ لبخله الشنيع فانما يقدمه لنا في اللحظة التي يكون فيها خاضعاً لجنون السفه والاسراف والتبذير. وربما خلق فارساً شجاعاً لا لشيء الا ليرينا ان هذا الفارس الجسور المقدام قد يسلك مسلك اشد الناس جبناً وخوفاً ورعدة ونذالة.

ودستويفسكي لا يقبل بل انه ليكره ان يتصور العقلية الواحدة ذات شكل واحد او مصبوبة في قالب واحد، ذلك انه يرى ان الطبيعة البشرية مستودع للمتناقضات الخلقية. ارأيت صورة مخلوق له فم كلب واجنحة ملاك وذيل حوت؟! تلك هي الطبيعة البشرية في نظر الكاتب الروسي الكبير!

والفضائل والرذائل تصطرع ابداً داخل الكائن البشري، وما صراعها الا لاذلاله وخضوعه والسيطرة عليه. وهـــذه الطبيعة الثنائية الثلاثية المتعددة الجوانب والاجزاء للخلق البشري او الشخصية الانسانية هي الشارة الواضحة للدستويفسكية او هي المعالم البارزة لحقيقتها. وفي لحظة من لحظات الحدة والتأثر والانفعال نجد البطل الذي يتغير من يوم لآخر، فبينا هو انبل الابطال جميعاً، اذا هو يأتي احط الاعمال دناءة ولؤماً ونذالة نجد هذا البطل يمسك بصورة العذراء المقدسة ويقذف بهـــا في الموقد، فتنقسم الصورة الى جزءين متساويين.

وفي هذا المثال يبدو الجوهر الكامل لدستويفسكي المفتن الاديب! وحياة دستويفسكي ترينا ان هذه المسرحية الداخلية، او هذا الصراع المحتدم بين الخير والشر في طواياه لم يكن معروفاً للمؤلف نفسه؛ فقد كان بين الملاك والشيطان في سريرته كفاح مرير.

وقد ألقت تلك الوثائق التي نشرت اليوم – وكانت مستقاة من جميع المصادر التي اتيحت للباحثين – ضوءاً كاملاً على حياة دستويفسكي؛ فاضحى ممكناً تقسيم هذه الحياة الى قسمين غير متساويين:

اولهما من صنع الفقر والهوان والعذاب المتصل، وما هو اهم من ذلك كله الا وهو عجزه عن الخلق والابداع.

وثانيهما هو الذي بزغت فيه شمس «آنيا»؛ واعظم اوابده الفنية وروائعه الادبية لم تظهر الا بعد ان التقى بها، وكان حينذاك في الخامسة والاربعين من عمره مصاباً بنوبات الصرع ومجرماً له سوابق يتراقص امام عينيه شبح السجن ليقضي فيه فترة اخرى، حتى يسدد ما تراكم عليه من الديون.

اما آنيا.. فكانت فتاة في التاسعة عشرة من عمرها، وكان كل او جل ما كتبه دستويفسكي قبل ان يلتقي بها فيه جذوة من النبوغ، إلا ان امراضه وعلله وضيق ذات يده، وسوء حظه، وهمه الواصب، وقلقه المستمر، وما لاقاه على ايدي اولئك الذين كانوا على اتصال به، وعلى يد تلك المرأة التي كان يعيش معها، كل اولئك تضافر فحال دون ان تتوهج تلك الجذوة فتصبح شعلة ملتهبة.

والحق انه لولا آنيا لما كان اسم دستويفسكي يجلجل اليوم في دوائر المعارف العالمية، بل لكان نابليون مات قبل ان يشهد طولون.

وفي الاحوال التي كانت تنتابه فيها الاضطرابات العصبية التي قضى فيها كل حياته، حتى تلك اللحظة الميمونة التي اتصل فيها بآنيا لم يكن في جو يتيح له ان ينتج كل رائع ممتاز.

وآنيا دون سواها استطاعت خلال أربعة عشر عاماً من حياتها الزوجية ان تجعل هذا النبوغ المزدرى يؤتي خير الثمار، فما اجدرها بشكرنا وشكر الاجيال المتعاقبة! اذ لولاها لما كان دستويفسكي، ولما كانت روائعه الادبية.

ولم تكن هذه الفتاة التي لم تتجاوز التاسعة عشرة، على حظ من ثراء او نصيب من جمال، واكثر من ذلك لم تكن ذات ذكاء لماح او جاذبية أخاذة، بل كانت فتاة عادية جداً، بل لعلها كانت تبدو دميمة الشكل، لان شفتيها غليظتان، ومنخريها واسعان، ولكنها هي التي قدرت ألمعية دستويفسكي واعتبرت نفسها سعيدة الحظ، اذ اقترنت به روحاً وجسماً، في الوقت الذي كان فيه دستويفسكي، وهو يدبج روائعه الفنية بقلم العبقرية والنبوغ يعيش وسط خضم من المحن والآلام، وليس له من حافز الا تلك المشاركة الوجدانية والحب العظيم الذي كانت تغمره به هذه الزوج الوفية!

لقد انقذته آنيا من الفقر والديون، واخذت على عاتقها القيام بشؤونه المالية تديرها بنفسها، ولم تنقذه من استغلال الدائنين وحسب، بل من لجاجة الاقارب والحافهم، والحاح المستجدين المحترفين كذلك، بل لقد صنعت اكثر من ذلك بما بذلت من جهود لتهدئة اعصابه وتضميد جراحه المثخنة التي خلفتها له الحياة والامراض الثقيلة. حقاً! لقد ضحّت آنيا في سبيله تضحيات عزيزة المثال يصعب على الانسان ان يتخيل مثلها من اية زوجة اخرى لأي زوج آخر.

القاهرة

عبد الله عبد الجبار



لعدنان مردم بك

دمشق

✳

تشوّفَ مستطلعاً للسماء　　وحلّق يخفق خفق العلم

يروعك مندفعاً غربه　　تدافع لج تهاوى بيم

ففي كل أفق له مطرف　　بهيم الحواشي كليلٍ عمم

وتحسب ما شفّ من ثوبه　　غماماً بمنـــدرج يلتطم

وتلقى على الشرق راياته　　ترف كأجنحة من أمم

صحائف منشورة للدخان　　تثير الشجون وتذكي الألم

صحائف ُخطت بها أسطر　　كنقش بغير يد أو قلم

تراها تجوز الفضاء الرحيب　　وتُطوى كبارقة في خضم

وما المرء في الحكم الا الدخان وغاية أمر الدخان العدم

✲

ترفع مستعلياً كالسحاب　　وجرّ من التيه ديلًا ولمّ

وما انفك يرقى عنان السماء　　ويشمخ مستكبراً من شمم

تعالى كما شاء حب الطموح　　الى ذروة لم تطأها قدم

وجاز السحاب الى غاية　　تصافح والنجم فيما زعم

كأن له في عنان الفضاء　　أواصر قربى وحصناً أشم

وما زال يعلو ويبدو الوضيع ويشمخ وهو الحقير القزم

تلاشى مع الريح في لمحة　　وزال كما يتلاشى النغم

وكم وثبة اعقبت سقطة　　ولم تغن غير مرير الألم

وما المجد في الحكم الا الدخان وغاية امر الدخان العدم

✲

سعت أمم قبلنا للخلود　　ببذل النفوس وشحذ الهمم

أقاموا الأوابد ملء الفضاء　　وشادوا المدائن فوق القمم

ففي كل ناحية عـــامر　　لهم وبكل مكان علم

فأسلست الريح عن ذلة　　قياداً لهم في خنوع الخدم

ودان المحيط لأهوائهم　　وأذعن مستخذياً وانهزم

فخالوا الخلود قريب المنال　　وناموا وعين الردى لم تنم

عدتهم جوائح ريب الزمان فاضحوا اشتاتاً وأمسوا رمم

تلاشوا كما يتلاشى الهباب　　سوى خبر غامض كالتهم

وما الناس في الحكم الا الدخان وغاية أمر الدخان العدم

✲

اراك تشدين في لهفة　　ضلوعاً براها مرير السقم

وللذكريات على مقلتيك　　ارتياع الذبيح وذل الندم

أشاقتك ذكرى الى غابر　　سحيق وعهد عفاه القدم

وهل راع قلبك ان ينطوي　　صباي َويعدو صباك الهرم

فأطبقت جفناً على آهة وللحزن في الصدر وخز الألم

تودين لو دام عهد الشباب　　ودامت مواثيقه والذمم

أكان الصبا غير لمع السراب واي سراب شفى من وحم

جليل لعمرك ان لا يدوم　　شباب ويبقى لشادٍ نغم

وما العمر في الحكم الا الدخان وغاية أمر الدخانً العدم

التفاعل بين الادب والتاريخ

بقلم علي مقلد

°°°

هل يمكن للأدب ان يؤثر في تاريخ امة ؟ سألني بالامس سائل : ما فائدة الادب لنا كأمة؟ او ليس الاستغناء عنه،والانصراف الى ما هو اجدى،اولى بنا؟

والاجابة على هذا السؤال تطلب مجلداً ضخماً ، لتشعبه اي السؤال ، ولصعوبته. وبحسبي ان اجيب على هذه الكلمات :

ان ندرس فيما اذا كان الادب واحداً من الاسباب الموجهة لتطور تاريخ امة ، فتلك مسألة صعبة ، ومتشعبة ، ولكنها ايضاً مهمة. اذ لو امكن التثبت من هذا التأثير ، لامكن استكناه المستقبل ، ولامكن تنشيط او ايقاف بعض الحركات الاجتماعية والسياسية. والحلول ، او الاجوبة المقترحة في هذا الموضوع متعددة ، فالمنكرون للحرية الانسانية اي الجبريون يرون ان الادب لا يؤثر تأثيراً حقاً ، ويرون ان مجرى الحوادث يخضع لقوانين جامدة لا تتغير . وقد استطاعت المدرسة الاجتماعية الحديثة ان تبين مستندة على تحقيقات واضحة دقيقة، وجود هذا التقييد ؛ ففي الهند مثلاً امكن اكتشاف آثار للنظام الاقطاعي كالذي كان عندنا وكذلك اكتشفت في قرى الريف المغربي « القبلي » جذور اساسية للمدنية الرومانية والاثينية ، ما تزال في دور التكوين ؛ ثم ان الاحصاءات التي هي اساس علم السوسيولوجيا عبرت عن ظواهر ثابتة في تطور الشعوب .

كل هذا لا يبعث على يقين ، ولكن المؤرخين المعاصرين يرون ان التاريخ لا يمكن ان يعيد نفسه ولو في ظروف مشابهة تمام المشابهة لظروف مضت .

والتاريخ بالنتيجة ، يعلمنا بوجود علاقة نسبية بين الاشياء مبيناً لنا تحول الاوضاع الاجتماعية والمجتمعات بالرغم عن بعض المشابهات والمطابقات .

ومستقبل كل امة متعلق بالحالة الراهنة لافراد هذه الامة الذين يكونونها. وقد ثبت ان الادب يؤثر تأثيراً حقيقياً على مصير الامة . ففلاسفة القرن الثامن عشر الفرنسيين : مونتسكيو وفولتير وروسو ، والانسيكلوبديون هم ، بحق ، مسؤولون عن حوادث ١٧٨٩ . والرجال الذين استولوا على الباستيل قد استوحوا مباشرة، من اولئك الفلاسفة نهجهم الذي اتبعوه.

ونحن عندما نقرأ مؤلفاتهم ، نتحقق عيـــاناً ، من ان القفزة العظيمة التي قفزتها الافكار في فرنسا ، خلال سنة ١٧١٥ وسنة ١٧٨٩ كانت بفضل فلاسفة القرن الثامن عشر الذين كانوا لها كحافز ، والذين اوحوا حقاً بفعاليتهم الى رجال الثورة .حتى كانت الثورة. والخطوط الكبرى لـ« بيان حقوق الانسان » واولى التشريعات الديمقراطية ، وشكل الجمهورية الاولى ، كل اولئك ، هي موجودة بكاملها في « العقد الاجـــتماعي » وفي « خطابات حول عدم المساواة بين الناس » وفي « الاميـل » لروسو . وقد امضى فولتير حياته في الدفاع عن مبادىء الحرية الفكرية والكتابية وعن حب التسامح . بل ان كتاباته كلها تطفح بكل ذلك . وحق الجميع بالعمل ،والغاء العبودية وانتصار كل الحريات ، كلها موجودة في كل صفحة من صفحات « روح الشرائع » لمونتسكيو .

ولقد بدا تأثير فلاسفة القرن الثامن عشر عظيما الى درجة ان تآليفهم الواسعة ، الفعالة قد بدت كتجسيد لكل الافكار المعلقة في الاذهان : والرجال ، كفولتير ، الموهوبون بحساسية نادرة يتحتم عليهم التقاط اصوات الناس ثم اعادتها ، بعد ، مكبرة ، وموضوعة بقالب اخاذ شيق .

وقد جرى « بومارشه » في « زواج الفيغارو » على نفس النهج المتبع حتى اتخذت روايته كاشارة للثورة وكمنهج لها . والمسرح ، وخصوصاً المهزلة فيه ، تصل الى جمهور اكثر عدداً

حديث البحيرة الزرقاء

بقلم سعيد حورانية
من رابطة الكتاب العرب

البارحة بكيت انت كثيراً يا صديقتي * ، من عينيك الحزينتين انبعث ماء محرق، ولكنك اخيراً التفت حولك بفزع وساءلت نفسك : ترى أأنا التي تبكي حقاً ؟

هل شاهدت، يا صديقة، شخصاً يتألم وحاولت ان تعرفي سبب المه ؟ اشك في ذلك ، فالالم جزء من طبيعتك، من حياتك، جزء من عينيك الزرقاوين الحزينتين اللتين تتحدثان دائماً حديثاً مبهماً طويلاً .

لقد كلمت اذن صديقي طويلاً ، و كنت تقولين باصرار:

- يجب ان اراه ، يجب ان اراه !!.

و كنت انا اتألم وانا اسمعه ، ذلك الالم الذي لم تفهميه ولن تفهميه ، سمعت القصة كلها على مجلس شراب ، حينماتكون نفس الانسان صافية لا تصنع فيها ، وسمعت تنهدة صديقي العميقة قبل ان يتكلم .

كنت اجلس والكأس في يدي ، كأس ابيض كضمير الطفل ،ملتهب كنقمة المظلومين . و كنت اشرب واتكلف الوقار واتساءل :

هل بين المرآة وما تعطيه للواقف امامها من سمات اختلاف في الصميم؟

اني اعرفك ، اعرفك كما اعرف يدي هذه . اعرف سطور نفسك حرفاً حرفاً ، واتصورك واقفة ، حائرة ، مضاعة ، تكلمين صديقي ثم لا املك نفسي من الغضب .

*

اقسم لك بالانسان يا صديقة ، انني لو قلت لي ما في نفسك ، كنت سأبكي امامك ، انا الذي عودتك ان اكون اصلب من صاحب حق ، واتضرع ، كما يتضرع مهووس امام محراب رحمة باردة متكبرة ، لنظرة غافرة من البحيرة الزرقاء ، من عينيك اللتين لم تعرفا يوماً النوم ، لم تعرفا سوى تلك النظرة التي تظهر فيها الحياة مشمسة ريانة كعناقيد ايلول ، بريئة كضحكة طفل مجهول امام نهد يسيل بالحليب .

يا طفلتي ، هل صحيح ان امك غاضبة ؟ انا لا الومها ابداً و كيف الوم اماً بنت حيطانها بيديها ، سامقة ، مرتفعة ، صلدة كابراج ذي القرنين ، ثم اردت انا بكل بساطة ، صهر هذا

* راجع قصة « الريح الشمالية » الأديب عدد اغسطس

من جمهور قراء المؤلفات الفلسفية ، حتى لو كانت صادرة عن اقلام لذاعة كقلم فولتير. ولكن هل يمكننا القول ان « بومارشيه » كان ذا قصد معين ، وانه كان يعتزم انضاج منهج للعمل ؟ذلك قليل الاحتمال ؛ ومذكراته واضحة في هذا الموضوع ، حيث يقرأ فيها ما يلي : « هذه الحركة الثورية التي اندفعت فيها بقوة الظروف .. » بل اننا نحس ان شخصاً ، مثله مزوداً بحس سيكولوجي غير عادي ، يرى الافكار وهي توشك ان تنبثق كأنما حفزه على تبينها هبة من صواب الرأي قداختص بهاوحده فهو يأخذ ملاحظات ويقارن ثم يعمم واخيراً يجزم ويؤكد . وبذلك يبدو كأنما يخلق ويبتدع ثم يرسل افكاراً .

واذا كان حقاً ان الادب يمكن ان يؤثر في التاريخ فالعكس ممكن ، اي ان الادب يتلقى غالباً تأثير التاريخ فيه ،فالنهضة في فرنسا ، ما كانت لتكون لولا حروب ايطالية،«والريفيات» قد تولدت في ذهن باسكال من جراء النزاع القديم يومئذ بين السوربون وبور رويال؛ وحروب « الفروند » هي التي كونت كورنيل ، واوحت له « بالسيد » .وعن الامبراطورية نشأت فيما بعد الرومانتيه . ولكن يجب ان نذكر في هذا الموضوع ان الحوادث التاريخية المهمة التي تغير ، وجهاً على عقب ، حياة الشعوب لا يمكن ان تغير ، بسرعة ، عاداتهم الفكرية واذواقهم العقلية ؛ بل ان رد الفعل يكون بعيداً . اي انه يجب ان ننتظر حتى تصبح الحوادث من الماضي لكي نفهم الاتجاه الجديد الذي امكن لهذه الحوادث ان تعطيه للفكر وللنبوغ الوطنيين .

وهذا التفاعل الاكيد بين الادب والتاريخ غامض وعلائقهما وان كانت مستمرة ، ليست علائق سبب ومسبب كما هو الحال في العلوم . ومن المحتمل ان يكون الاثنان خاضعين ، في آن واحد ، لتلك الموجات الفكرية الكبرى التي تعتور الانسانية فتقلبها رأساً على عقب .

علي مقلد

السور الصيني بدفء حنان ساذج ، من نفس لا تعرف ان تراجع قرارها مرتين .

ولكنني قابلتها اليوم يا صديقة ..

وجدتها فجأة امامي تأخذ بيدي وتوقفني ،واجفلت ،ولكني صمت ، واخذت استمع اليها واستمع ، والاحظ شفتيها وهما تتحركان باضطراب .

وفجأة اخذت تبكي ، لعنة الله على البكاء ، هذا الماء المالح الذي يسيل من العيون ، لشد ما تمنيت ان اتبخر حتى لا اشاهد تلك العينين الكابيتين وهما تسبحان بالماء المدمر .

— هل لك ثأر عندنا حتى تفعل ذلك ؟

وكنت احكي اشياء كثيرة ، احاول ان اقنعها بها ولكنها كانت تقطع حديثي دائماً :

— لقد احببتك بعد الاله ، لا ، لن اعطف على احد بعد الآن ، كفاني ما رأيته من الناس !! ولم يجد الحديث شيئاً ، وهل تنفع بلاغة الدنيا امام شخص جائع ؟ لقد قالت لي اخيراً :

— اعترف انك اخطأت !!

لا مفر من الاعتراف ، بل لقد شعرت تماماً انني اخطأت رغم ايماني الكلي بصدق ما فعلت .

— والآن يا امي ، قولي لي هل انتهى كل شيء ؟ لن .. اقابلكم بعد الآن ؟

لقد افزعتني الفكرة يا صديقة ، هل يتصور احد انني سأتعلق بكم هذا التعلق خلال اشهر ثلاثة ؟ يا للانسان العجيب !!.

تصورت نفسي وحيداً ، معزولاً .. كخائن بين مناضلين .

وتصلبت في وقفتي .. لا ، لن يخونني الماء ، الماء اللعين ، هنا ، في الطريق ، وأمامها !! نظرت إلي طويلاً ، ووجهها الالهي يأكلني بحنانه :

— لقد طحنت لك قهوة جديدة ، وكنت أتصور أنك ستأتي ، ولكن .. آه .

وتعلقت عينانا ، ولم نستطع أن نتحمل .

ما أطيبكم يا اصدقاء الثلاثة اشهر !! هناك ، في الأعماق من حنايا كل واحد منا ، تكمن الجوهرة ، إننا نحاول ان نحميها ونقيها المغامرة .. وابداً لا نستطيع ان نخفي تألقها ، إنها تلذعنا ، إنها تحرقنا ، إنها تريد الانطلاق من سجنها الكامد الرهيب .. تحس أنها صدئت اذا لم تظهر للعيان ترسل الدفء في ليالي كانون حاملة شعلتها الخالدة تفتش دائماً عن الشعل الاخرى لتتحد ..

لتصنع معجزة صغيرة ، فيها بركات الحصاد .

ترى هل أرى صديقتي الصغيرة بعد الآن ؟

لقد انتظرتك البارحة طويلاً ، امام الدرب المعهود الذي تعودين منه فلم تظهري . وهكذا . سريعاً ، تظنين انك تستطيعين ان تتولي عملية الخنق .. قولي اذن لماذا تركت الطريق ؟

لقد احببتك ، احببتك ؟ ما اسخف هذه الكلمة !!

احببتك كما احب الحياة لأنك كنت جزءاً منها ، ولم أر مثلاً لهذا الشيء في كل ما قرأت او سمعت او رأيت .. احببتك كما احب يدي ووجهي وبذلتي الجديدة ورئتي التي تستنشق الهواء بشغف ، وقلبي الذي يقرع برتابة بعص عملية الحياة .

إنني افتقدك ، افتقد حركة يديك وانت تمشطين شعرك ، حركة حذائك وهو يقرع الارض بنزق ، حركة ثوبك وهو يلتف حول جسدك كأنه يتدفأ من برد الاهمال . يا صديقتي ، يا صديقة الثلاثة اشهر .. لماذا لم تفهميني ، لماذا بكيت طويلاً امام صديقي ؟ لقد قلت له عني اشياء كثيرة ، اشياء كنت اتمنى ان اضرب كأسي بوجهه لما تكلم عنها ، اشياء تخصنا نحن الاثنين فقط وكنت ترددين :

— هل تتصور ان يفعل ذلك ، لو استطاع فقط ان يغير الاسماء !!

هل يهمك حقاً ان اغير الاسماء ؟ وما قيمة الاسم امام سمة الانسان نفسه ؟ تلك الشرارة التي تترك في عيوننا ذلك البريق الذي يلمع كسلك الكهرباء صادف سلكاً آخر ، ثم تبقى فيه قوة الانطلاق من جديد لشرارة اخرى اشد وأبقى .

هل ساءك انني كتبت عنك وعن اخوتك وامك قصة صغيرة ؟ اشياء نزحتها من بئر عميق وعرضتها امام اشخاص يقولون عندما ينتهون من القراءة : — على كل حال انه يسلينا على الأقل !!

آه لو يعرفوننا يا صديقة ..

آه لو يعرفون هذا المثلث الذي يسمونه قلبنا ، هذا اللحم الطري الذي يملك الماء المالح يدفعه الى العيون !!

لقد قلت يا اختاه شيئاً فظيعاً لصديقي ، وكنت تتهمينني ، بل ماذا أقول ؟ لقد فوجئت بمسلكي .

— تصور ، لقد شهرنا بين الناس ، لقد ذكر حتى الاسماء .

نعم لقد نشرتها امام الناس وكتبت عنك وعني وعن حياتكم في ذلك البيت الذي يحتل حيطانه كل شهر ساكن جديد ، يبدأ صراعه العميق معكم ، وكنت اتصوركم امامي .. امك الحبيبة بثيابها الواسعة ، واباك المتعب الكليل الذي يأتي كل يوم بنفس شاكية ، واخاك المتعصب الذي استطعت ان اروضه ، واخوتك

الصغار الذين يعبدونني .. كتبت عنكم لأن حياتي كانت عريضة عندكم كالبحر في اشهر ثلاثة من الزمن .

يا صديقتي !! انك تنتظرين فارسك الذي ستعطينه ، ببلاهة ، مفتاح قلبك وستسعدين ذات يوم وتنسينني ، اقسم انك ستنسين حتى الشخص الذي أكونه ولكن ، ذات يوم ، والسماء صاحية كيوم الخلاص ، والأزهار يانعة كصدر عذراء ، سينبعث من صميم نفسك صوت غريب يقول لك بحيرة :

– ترى ما الذي يريد هذا اليوم ان يذكرني به ؟

في هذا اليوم بالذات سأكون جالساً اتساءل وانا سابح في غيبوبة اثيرية :

– لست ادري لماذا اشعر بالفراغ والضيق ؟

اترين كم هي الحياة معقدة يا اخت ؟.

سيعذرني بعض الناس ، سيقولون ، انه يقص علينا قصة عاشها ولكنهم يظنون انني اسلمتهم حقاً مفتاح قلبي وقلت لهم :

– دونكم فانظروا !!.

فيركضون متهافتين وينسون ان هناك ، وراء اسوار مجهولة غامضة ، اعشاباً برية وحشية الجمال لم تحصد بعد ، ولم تقدم كبضاعة مكشوفة امام الاعين الفضولية .

هل تظنين حقاً انني كتبت قصتك يا صديقة ؟

اذا استطاع احد ان يعرف نفسه كما يعرف مكان علبة الكبريت التي وضعها امس فقد استطعت ان اكتب قصتك !.

التجربة الحية يا صديقة ، ستبقى دائماً على درجة من الحرارة بحيث لا يستطيع احد ان يجمدها في حروف مهما بلغت من الدفء فلن تكشف الا قليلاً عن نفسها بقدر ما يكشف برقع المسلمة الكثيف عن المحاسن المختفية المجهولة .

انني اعرف انني تجرأت على اسواركم المتينة ، واستطعت ان ازيح منها لبنة ينفذ منها النور والهواء ، مهما تكن صغيرة فانها عمل عظيم في هذا السور الذي بنيتموه مطمئنين ، ونمتم على اخلاصه لكم ، ولكن .. اعترفوا معي بانه سور هرم .. سور لن يقاوم الحرارة طويلاً .

قلت له : كم كنت اظنه نبيلاً !.

وقلت له ايضاً :

– صديقاتي واصدقائي يلوحون بالمجلة في وجهي نابحين : لقد تسلى معك زمناً ، وكنت ترددين حانقة :

– لقد بكت امي ولعنت اليوم الذي استأجر فيه الغرفة الفارغة عندنا .. اما ابي فلم يصدق ما يقرأ .. كان يقرأ ويقرأ ويقف دائماً عند قوله : وسمحت لي بتقبيل يدها . وكان ينظر الي ويحدق ، ثم يترك الغرفة في صمت اليم ، وكنت ابكي في سكون الليل ، واخي يسمعني ويتناوم وهو يتمنى ان يراه لكي يقول له انه نزل . وكنت تختمين فورات حديثك دائماً قائلة لصديقي : تصور .. لقد ذكر حتى الاسماء .

*

اليوم سأزوركم وستنتظرونني كالعادة ، صغيرتكم تنط على كتفي كهرة اليفة ، بينما القط (عنبر) يتمسح بي في خمول ، وكنت اتصور نظراتك الدافئة ونظرات اهلك التي تلفني بحنان وانتشي طويلاً .

ولكني وجدته ، صديقي ، جالساً يرقبني بنظرة غريبة ، وكان يتكلم ، ثم ذكر كيف دافع عني .

هل احتاج الى دفاع عندك يا صديقة ؟

كم كنت اريد ان اضحك في وجهه ضحكة وقحة مجلجلة واقول له بتشف : كم كنت ساذجاً باعتذارك !.

سأذهب اليوم اليكم ، يا اصدقاء الثلاثة اشهر ، وسأتلمس بيدي هاتين ، تلك الجدران الصلدة لغرفتي التي آوتني ودفعت عني رياح الخريف . اني اعرف انكم لن تستقبلوني كما اعتدت ، وستزجر عنا امك ، الصغيرة ، حينما تتعلق برقبتي ، بينما تبعد يداها القط وهو يهرع ليتمسح بي ، وعند ذلك سأتجلد وسأجلس انتظر ان تفتح فمها بالكلام ، اما انت ، فلن اراك حتماً ، اذ ستختبئين في زاوية من زوايا البيت وتجترين احزانك .

وسأجلس ، واجلس طويلاً ، غير عابىء بانشغال امك عني مراراً واعتذارها بالطبخ والرتق ، وساحاول ان ابدو طبيعياً لن اسأل عنك ، وستتجاهل امك السؤال الذي تفضحه عيناي وسنتكلم في التوافه حديثاً طويلاً ثقيلاً على نفسينا معاً .. ثم انهض بتثاقل ، فتودعني امك بتثاقل متحاشية هذا الاعتذار البليغ الذي يتساقط من كل خلية في جسدي . واحاول الا ألتفت الى الوراء وانا أبتعد في الدرب العتيق ، وحيداً ، مضاعاً كقروي في مدينة مع انني اعرف انها هناك على الباب ، واقفة ترمقني وتودعني عيناها الدامعتان اللتان ملتا التمثيل .

أبداً يا اصدقاء الثلاثة أشهر .. لم استطع ، ولن استطيع ان اكتب قصتكم بعد .

دمشق — سعيد حورانية

لقاء

✳

لعلك ما زلت مثلي تعيشين ، في رعشة الليلة الخالده !
فقد كان ملء الفضاء عويل .. وملء عواطفنا الجاحده
وكان لقاء حزين .. حزين كأوجـه أيامنا الراكده
عرفنا به كيف يبكي التراب .. وترتعد الجثث الهامـده

وحدقتِ فيّ بوجه غريب ، عميق الكآبة ، عاني القلق
رأيت عليه خمول الرماد ، وذل الأنين ، وحزن الغسق
فشردت عينيّ في كل وجه ، وأطلقت روحي فوق الافق
وألصقت فوق فمي بسمة .. كأني بها جذوة تحترق

ورحت أغـــني بأغنية .. ملوثة بدمـــاء الخطايا
ترددها صرخات السكارى اذا طوفوا ببيوت البغايا
ورحت أجرر خطوي بعيداً ، لاخفي عن الذكريات أسايا
لكي لا أراك .. لكي لا أرى الثلوج تغطي الحقول العرايا

لكي لا أرى جثةً ميْتة تطل بعينين نحـــو الحياه
بعينين عذبتاني طويلاً ، وعلمتا كبريائي الشكاه
بعينين كنت أرى فيهما ، خضوع العبيد ، وبطش الطغاه
وكنت اذا ما سئمت ترابي ، حلقتا بي نحو الاله

وغبتِ .. وغبتُ بقلب الزحام ،زحام الطريق الطويل القديم
وكل الذي بــين اجفاننا سماء مكفنة بالغيـــوم
وكل الذي خلـــف اعماقنا مقابر معشوشبات الهموم
وكل الذي سوف يبقى لنا من العمر .. رعشة حب عظيم .

القاهرة — محمد الفيتوري
من رابطة النهر الخالد

بودلير كما يراه الدكتور ناجي

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي

لنا ان نقدم الى قراء العربية* هـذا البحث السيكولوجي القيم عن الشاعر الفرنسي الاصيل « شارل بودلير » الذي دبجه صديقنا الشاعر الموهوب ابراهيم ناجي قبل وفاته ، ولم يتح له القدر القاسي مراجعته قبل ان يشهد النور.

ولقد رأت رابطة الادب الحديث بمصر نشره واذاعته على رجال الفكر والثقافة ، لما جمع من فكرات سيكولوجية نيرة عن شخصية بودلير ، وترجمات صادقة لكثير من قصائد ديوانه الشهير « ازهار الشر » .

والحديث عن فن هذا الشاعر وحياته قد شغل كثيراً من الكتاب والنقاد في جيله ، ولا يزال يتجدد على ولاء الاجيال، لما تميز به فنه من نباغة واخلاص واصالة وعمق . وما تفردت به شخصيته من تعقد وغرابة ، وما تلونت بـه آراؤه من جرأة ومخالفة لابناء عصره .

وقد يختلف كثير من الكتاب اختلافاً بعيداً في النظر الى موضوعاته الشعرية ، ويتناقضون اشد التناقض في تعرف شخصيته وفهم آرائه واتجاهاته ، ولكن هذا الاختلاف يمتنع في تقدير فنه النابغ ، وتفكيره المتعمق ، واستقلاله الادبي ، وانسانيته العاطفة على صرعى الحياة من اية طبقة او لون .

والبحث الذي نقدم له قائم على شقين : الشق الاول دائر حول شخصية بودلير على ضوء علم النفس الحديث ،والشق الثاني ترجمة عدد من قصائده لالقاء النور على هذه الشخصية. ودراسة الشخصية الشاعرة ، ومحاولة فهمها وتحليل مكوناتها ، غنم في ذاته كما يقول الناقد الفرنسي الكبير سانت بيف . كما انها واجبة في العصر الحديث لدعم الادب واغنائه .

ومثل هذه الدراسة جديرة بحفاوة ادباء العربية ، والتمعن فيها ، وبخاصة اذا تناولها اديب مثل الدكتور ناجي ، الذي تخصص في السيكولوجيا ، وانفق عمره في سبر اغوار النفس .

والملحوظ من تلاوة هذا البحث ، ان مؤلفه سجل آراءه عن شخصية بودلير ، على افتراض معرفة القارئ لحياة بودلير والمامه بها ، وعلى افتراض درايته بالمصطلحات السيكولوجية الذائعة بين الجمهور المثقف ، ولهذا رأيناه يصدر احكامه دون مقدمات من حياة الشاعر ، ودون بيان لمراحل هذه الحياة ، وكأنما يكتب للفاقهين الدارسين .

وازاء هذا نرى لزاماً علينا ان نضع تخطيطاً لمراحل حياة بودلير ، لامكان النظر في آراء المؤلف ، واول مرحلة هي مرحلة الطفولة ، وهي اهم مرحلة سيكولوجية في حياته ، وفيها لقي اما شابة مليحة ، وابا شيخاً محباً للفنون ،كانت الام «كارولين» مشغوفة بحبه ، وتغار عليه حتى من مربيته « مارييت ».وكان الغلام يبادلها حباً بحب ، ويهيم بعطرها واناقتها ، وكان الأب « فرانسوا » بمثابة الجد يجول به في الحدائق ، وبخاصة حديقة لكسمبورج العامرة بالتماثيل ، وينبهه في جولاته الى جمال المعمار والنحت . ومن المقطوع به — كما نرى عند ستـاركي في كتاب « بودلير » — ان حب شارل لأمه كان غير طبيعي .. ومما تجدر الاشارة اليه ان شارل — كما يقول فرانسوا بورشيه في كتابه « حياة بودلير الحزينة » — امتلأ سخطاً على ابيـه ، عندما وقعت عيناه على اخ لابيه كان يدعو كارولين امه !

وتبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الصبا ، بموت ابيه وهو في سن السادسة ، وزواج امه بالقومندان اوبيك . وقد كان هذا الزواج سهما مسموماً مصوباً لقلبه الفتى ، ملأه غيرة وحقداً عليه ، ونقمة على امه .

ويرى بورشيه ، ان الغلام اعتبر هذه الفعلة خيانـة ، وفي رأي ستاركي انه من المحتمل ان الغلام شعر بالغيرة عندما وجد غريباً يشترك معه في حبه ، وانه ليس في هذا شيء غـير عادي . وفي المرحلة الثالثة ، ذهب شارل الى مدرسة داخلية بليون ، ولكنه نفر منها ومن نظامها الشبيه بالنظام العسكري ولم يكن فيها سوى الخلق ، وترك دروسه ، واهـتم بالشعر وبقراءة الكتب المحرمة في ذاك الوقت : « الرغبة الجامحة » لسانت بيف وغيرها من روايات العشق وانتهى امره بالفصل لسبب غير معروف ، وقد كان هذا الفصل — كما نرى عنـد ستاركي — مفاجأة له وصدمة عظيمة وكان لها نتائج خطيرة على جهاز بودلير العصبي في هذه المرحلة الدقيقة من حياته .

وتنتهي هذه المرحلة بنيله البكالوريا،وذهابه بعد ذلك للاستجمام في باريس ، حيث قضى فترة في الحي اللاتيني ،وعاش عيشة تحذلق وغندرة ، وفسوق ، واصيب بالداء الخبيث ، ولما عاد اقترح مجلس الاسرة ان يذهب في رحلة الى الشرق ، فاستقل الباخرة

* مقدمة كتاب بودلير للدكتور ابراهيم ناجي الذي يصدر قريباً .

ونزل بجزيرة موريس بالمحيط الهندي ، وضاق ذرعاً بالرحلة ، وألح في العودة الى باريس ، وعاد بعد ان غنم من هذه الاجواء إلهامات ، وصوراً رائعة ، كانت ركيزة لصوره الشعرية الاصيلة .

وبعد ان بلغ بودلير سن الرشد ، استولى على ميراثه ، وفارق اسرته خفية ، حيث ذهب الى باريس ونزل في فندق جميل على نهر السين ، وهنا تبدأ مرحلة الشباب ، وفي شطرها الاول عاش عيشة تبذل ، وانفقها في متعات حسية ، اذ احب السمراء جان دوفال ، حباً جنسياً ، واضاع نصف ماله عليها . . وقضى الشطر الثاني في تصوف وحب بريء ، فاحب الآنسة ماري دوبرين حباً عذرياً ، واستلهم مدام سباتييه كثيراً من شعره العفيف ، وفي هذه المرحلة ، توزعت نفسه بين الشر والخير والشهوة والصوفية ، وتجلى ازدواج شخصيته ، وانعكس هذا الازدواج على شعره .

وفي نهاية هذه المرحلة اخرج ديوانه الخالد « ازهار الشر » عام ١٨٥٧ ، فاحدث ضجة وهزة في البيئة الادبية ، وصودرت بعض قصائده ومن بينها « النساء اللعينات » ، وقد رفع هـذا الديوان ذكره ، واذاع اسمه وكشف فيه النقاب عن نفسه المتوزعة بين حب الفضيلة والميل غير المرغوب في الرذيلة ، وبين الحب الجنسي والحب العذري ، وبين اللذة والالم ، اللذة التي لا غناء من ورائها ، والالم الذي لا غنى عنه في اخصاب العبقرية وإزهارها كما يقول .

وفي المرحلة الاخيرة من حياته لاذ بالمخدرات ، وافرط في الشراب ، وساءت حاله فذهب الى بروكسل ، وفيما هو يزور احدى الكنائس انتابه الشلل ، واعتقل لسانه وقضى السنتين الاخيرتين في المصحات ببروكسل وباريس حيث وافاه الاجل في اغسطس ١٨٦٧ .

هذه هي مراحل شارل بودلير في كلمات : طفولة منعمة ، ويفوعة قلقة متبرمة ، ومراهقة أليمة متمردة ، وشبوبة مقسمة موزعة ، وكهولة متحسرة متصوفة .

حياة رجل ، لقي الحب الجم ، والحنان الوارف طفلاً ، وفقدهما يافعاً وسعى اليهما في كل طريق شاباً ، ووجد عزاءه في الفن والجمال والادب كهلاً ، والفى فيها جميعاً مثابة وجوده وملاذ انسجامه .

اجل ، انه الرجل الشقي الذي اصابته « عين القدر » ، كما كان يقول عن نفسه ، والذي اسعد الناس بشعره ، وشدههم بجرأته في كشف القناع عن نفسه المفرطة في الحساسية ، فازدراه من لم يعرفه ، وخافه من قرأه في سطحية ، ووضعه في صف عظماء الشعراء من تعمق فنه ، وفقه اخلاصه واصالته ، واختلف الكتاب في تعرف شخصيته وتحليل نفسه اختلافاً متفاوتاً ، وسيظلون على هذا الاختلاف ، حتى يغوصوا في اغواره ، ويتعرفوا حوافزه ، ويقترنوا بتجاربه ، ويدرسوا دقائق حياته ولطائف شعره في تأمل وتمعن وزكانة .

وهذا الكتاب الذي بين ايدينا ، بما وعى من نظرات سيكولوجية ، وترجمات شعرية يمدنا بمادة صالحة لهذه الدراسة ، ويضع في ايدينا المفتاح السري لباب هذه الشخصية المغلق .

ومن رأي الدكتور ناجي ان بودلير كان يكابد من مركب اوديب اي حبه لامه حباً بالغاً ، وكراهيته لأبيه وان هـذا المركب لازمه طوال حياته باعراضه ونكباته المسمومة ، وان هذا المركب يقترن به الشعور بالاثم والشعور بالندم والحب الجارف ، كما يصاحبه سعي وراء العقاب طلباً للراحة عن طريق الالم - ومن لوازمه شعور بالنقص وكراهية لذوي السلطة - وهذا الشعور بالنقص دفين في المصاب بهذا المركب ، ولهـذا تظل حياة المريض به متأرجحة بين حقد ملازم وحاجة ملحة للتعويض تتخذ صوراً شتى - ومن بينها اثارة النزاع بطريقة استعراضية ، فبودلير كان يحقد على زوج امه ، وكان في بعض الاحيان يستثيره ، ويتعمد فعل ذلك علناً ، تنفيساً لمكتوم حقده ، وتلمساً للعقاب . . وكم قامت بين بودلير وزوج امـه مناوشات ، وكم قذفه بالفاظ عوراء على مشهد من الناس ليعوض ما يشعر به من نقص .

وقد فسر ناجي هذه الظاهرة بأن بودلير كان مازوشيا ، او كما يقول مازوكيا ، اي انه كان يحب التعذيب للتنفيس عن نفسه كما كان سادياً اي محباً لتعذيب غيره وقد ظهرت آثار هذه السادية في افعاله ومناوشاته ، وفي تفكيره في الهدم ، والدماء والموت والفناء .

ويضيف الدكتور ناجي - الى ما تقدم من لوازم لهـذا المركب - ان المريض به يبتدع سلوكا واسلوبا في الحياة يناقض ما لدى الاديب او بديله تمام المناقضة ، مع الاحتفـاظ بشيء واحد وهو المنافسة في السيادة ، فاذا كان الاب يعيش في النور عاش الابن في الظلام ، واذا كان يعيش عيشة منتظمة عـاش الابن عيشة مضطربة .

وتبعاً لذلك سار بودلير سيرة معوجة في المـدرسة ، وفي الحياة ، وخف الى حياة الظلام ، فاحب الزنجية جان دوفال حباً

جنسياً ، وكره الصحة والاستقامة فشبع عللاً واسقاماً ، وقد اوضح الدكتور ناجي اتصاله بهذه الزنجية وغيرها بقوله : إن بودلير كان يبحث عن شقية خاطئة تجمعه بها صلة الشقاء والخطيئة فيجد في هذا العامل المشترك ما يبعث الشفقة والحنان عند كليهما » .

ويعاود الدكتور ناجي الحديث عن شخصية بودلير ، وعن حبه العذري لماري ومدام سباتيه ، ويرجع ذلك الى ان بودلير وان خلع العذار ، ومرق في طريق الغواية والفساد ، فان هذا الفساد لم يكن اصيلاً فيه ، ولا كان نزاعاً اليه ، ومع مقارفته اللذة الجنسية فقد كان يصفها بابشع الاوصاف ، ويتأفف منها واخيراً يضع ناجي يدنا على حقيقة سيكولوجية كبيرة ، هي ان بودلير كان موزعاً ، مقسم الشخصية ، اي يكابد من الشيزوفرانيا ـ الفصام انقساماً بين الروح والجسد ، وهذا المرض يؤدي الى ضعف جنسي كامل او جزئي ، وهذا ما ايده بعض الكتاب ، ومن بينهم ، بورشيه .. وعلى اساسه يمكن الحكم على كثير من تصرفات بودلير ويمكن تأييد قول القائلين بأن بودلير كان مصاباً بمركب اوديب . وهذا العجز الجنسي الدائم او المؤقت من ظواهره .

هذه هي بعض فكرات الدكتور ناجي عن شخصية بودلير ايدها بواقعات من حياته ، واسانيد من شعره ، وقد سايره فيها بعض الكاتبين الغربيين ـ عن شارل بودلير ـ وخالفه فيها البعض الآخر ، ومن بينهم انيدستاركي في الكتاب القيم عن بودلير ، والذي اشرنا اليه في هذا البحث : « كتب كثير من القصص لتأييد هذه النظرية ، ولكن ينبغي ان نذكر ان معظم هذه القصص ابتدعها ذاته في اواخر حياته ..

« ليس هناك شك ان بودلير اضنى نفسه في تفحص اعمال القلب البشري والكشف عن اغواره ، ولا شك ايضاً في انه كان ضحية لهذا الفحص والكشف ، وانه عذب نفسه في غير مقتض ، ولكن هذا لا يرجع ـ كما زعم احد المحللين النفسيين ـ الى ميول مازوكية ، ومن الحق القول بانه لم يكن عابداً لفشله » . وقد نقل هذا الرأي الاستاذ عبد الرحمن صدقي في كتابه « الشاعر الرجيم » ، كما نقل عنه معظم اقواله ، دون ابداء رأيه ، اذ قال :

« ولقد تكرر منه الحديث في مستأنف حياته ، عما كان يجده وهو طفل من لذة كانت تؤثره ، وفي شم مساحيق زينتها وشذا عطورها ، على انه ليس من مقتضى ذلك ان تكون هذه الحال حجة على بوادر الانتكاس في طبيعته ، ومثالاً من الامثلة على ما لم يفتأ يلوكه « فرويد » واتباعه اصحاب مذهب التحليل النفسي في نظريتهم المرموزة بمركب اوديب » .

ونود ان نلاحظ ان كتاب ستاركي اشار في اكثر من مكان الى انحراف طبيعة بودلير ، والى انه كان مشكلة ، والى ان امه مسؤولة عن هذا الانحراف لحبها الغيــور له . ونحن اذا رجعنا الى الكتّاب السيكولوجيين : من امثال ادلر ، او الدر في كتابه « سيكولوجية الخلق » نجد ما يؤيد ان تدليل الطفل قد يؤدي به الى الضلال البعيد ، واذا رجعنا الى واقعات حياة بودلير ، نجد ان الاحداث زادته تيها وقلقاً وضلالاً ، فزواج امه حرمه من الحب والحنان ، وارساله الى مدرسة داخلية زاد من آلام نفسه ، وفصله من هذه المدرسة كان صدمة له قاسية ، وهذه الاحداث واشباهها وامثالها تؤكد ان بودلير كابد من مرض نفسي ، قد يكون مركب اوديب ، او يكون عقدة الام ، وقد يكون غير ذلك ، وهذا المرض لازمه في شبابه ، ودفع به الى الرذيلة ، ولما اصيب بداء الزهري بلغ قلقه وعدم استقراره الذروة ، ومن نتائج هذا المرض كما يقول ـ لويس برج في كتابه ـ ان يجعل المصاب به دائم التجــوال ، لا يستقر في مكان . ولا غرو اذا انتاب بودلير في قابل ايامه توزع نفسي شديد ، وانفصام بين روحه وجسده ، ولعله يكون قد كابد من الفصام البسيط ـ ومن مظاهره مقارفة الرذيلة والفرار من الواقع ، والاخلاد الى الاحلام والخيالات ـ ما كابد .

وفي هذا البحث شواهد على هذا الفصام لدى بودلير استخرجها الدكتور ناجي من واقع حياة بودلير ومن القصائد التي ترجمها ، فعلى حين نراه يسعد بالخمر في مثل قصيدته « روح الخمر » او يناجي خليلته جان دوفال الزنجية في مثل قصيدته « المجنون » نراه يهيم بالعالم الروحي ؛ ويتملى بجمال ماري وحبها العذري ، او يستلهم مدام سباتيه إلهامات صوفية في مثل قصيدته « الفجر الروحي » او « أغنية » اذ يقول : الى اغلى الناس واجمل الناس التي تملأ قلبي بالضياء ، الى الملاك ، الى الخالد ، سلام الخلود .

ويستحيل علينا في هذا المقام ان نورد الاسانيد الشعرية التي اعتمد عليها مؤلف هذا الكتاب في تبيان صحة كثير من نظراته السيكولوجية ، وتحليلاته العميقة لشخصية بودلير .

وسوف يكون لهذا التحليل العميق المركز ، اصداء قوية لدى قراء العربية .

القاهرة — مصطفى عبد اللطيف السحرتي

صيف قصير

✳

جئتُ وحدي إليكِ أسألُ عن نفسي وعنْ حبّنــا الذي كادَ يخبو

لم أجدْ غيرَ بسمةٍ تتداعى   ورؤىً في خليجِ عينيكِ تكبو

وبقــايا نوازعٍ مَسَحتهـــا   عبراتٌ بناظريكِ تصبّ

***

أمسُنا ، يا لنا ، لعينيكِ منه   ولعينيّ ، أيّ شيءٍ نحب

سوف تبقى ذكراه تأكلُ   قلبينا كأنّا طعامُه المستحِب

وستبقى ترنّقُ الغدَ ذكراه   فلا فجرَ لا تغشّيــه سحب

كل شيءٍ قد لفّه منكِ ظلٌّ   هو في أسرةِ الكواكبِ درب

غرقتْ في غموضهِ أنجمُ الليلِ   ومـــا عادتْ الظلالُ تهب

***

قلتِ والليلُ ساكنٌ تتروّى   فيه من أمسِنا نجومٌ وشهب

أيّ شيءٍ أتيتَ تنشدُ من حبٍّ   ظلالُ النسيانِ فيه تدبّ

لم يكن حبُّنا سوى ومضاتٍ   في زوايا الضلوع كانت تشبّ

عشنَ في ناظريكَ صيفاً قصيراً   لم يزلْ للرياحِ فيـــه مهبّ

النجومُ التي أصاختْ لنجوانا   تلاشتْ ، حتى الكواكبُ تخبو

***

قلتُ والذكرياتُ ؟ قلتِ سواقٍ   لم يزل في قلبي لهم مصبّ

الشراعُ الذي أقـــلّ هوانا   فوق تيارهن صمتٌ وحبّ

لم يزل ظلُّـــه الذي يتراءى   بين جفنيكَ ، في عيونيَ يحبو

بغداد   صفاء الحيدري

العقدة السابعة

بقلم ثريا ملحس

احدّق بجبينه ، بناصيته ، احدّق بناصيته . وهل تدري ما الناصية ؟

تحدثني عن كل ما يضمر في اعماقه ، في زاوية سمّاها الناس الضمير . وكثيراً ما يظهر الضمير على الناصية فيبدو امامك فلان منافقاً او اميناً ، وفلان خاملاً او ذكياً وكثيراً ما يرتسم على الناصية نوع من الحيوان فيبدو امامك حمار أو ثعلب او كلب او قط او افعى او حرباء او بقرة .

لوحات ، كلها لوحات ، وقد تكون تلفزيوناً لذوي الارواح العميقة التي تحس بأعماق الانسان المضمرة ، تجرّ من سبع طبقات ما يحاول ان يخبىء .

– وأنت من اي فئة ؟ — ماذا تقول ؟

– اقول .. وأنت من اي فئة ؟ — لم افهم ما تقول ..

– اذن كنت اتحدث مع نفسي . أكنت في حلم عميق ؟ ماذا قلت لك؟ الم اسألك من اي فئة انت؟

– هراء ، هراء يا اخي ، لماذا تمثل ادواراً ترعبنا ؟

– انت لا تصدق ما اقول! وقد يجيء يوم تصدق فيه ما اقول ، وتؤمن بكل حرف من حروفي .. انا تعب من الحياة ومن رتوب الحياة .

– قل ما شئت ، وماذا تريد ان تقصّ عليّ ؟ لماذا تحدق بي كلّما رأيتني ؟ ماذا تريد ان تخبرني ؟ هل اكتشفت شيئاً جديداً لا يعرفه النــــاس ؟ لا تنسَ ان لا جديد تحت الشمس ..

– واي شمس تقصد ؟ — شمس الناس .

– شمس الناس . لا آبه لشمسهم ولا لاسمائهم ولا لوجودهم .

– اذن ، لماذا تعيش ؟

– اتريد ان تسمع ما حدث لي ؟ ما اضعفني يا اخي ! كلّما صممت على الا اسمعك شيئاً لانك لا ترى ما ارى - وكثيراً ما تتظاهر بالسمع والفهم حتى انك تذهب معي كل مذهب – انفتل عن وعدي عندما اراك واحاول ان اجد فيك انساناً يرضى عني ، اما ناصيتك ..

– دعنا من الناصية ، وابدأ بقصتك ..

– لو كانت الجباه تتحدث ، لو كانت الناصية تتحدث الى الناصية لامّحى الكذب والنفاق واصبح الانسان وجودياً مؤمناً بما يقوم به من اعمال او ما يفوه به من حروف ومن كلمات ، ولقامت ثورة اساسية تهزّ البشر هزاً ، ثورة في اعماق الانسان وفي وجوده . ولما عرف الانسان فشلاً في اختيار صداقة مخلوق او عمل ، فالاختيار لا يعرف الفشل لان الانسان حرّ ، ومن طبيعة الحر الحركة الدائمة والصعود المستمرّ ..

– اتريد ان تقول انني منافق ؟

– لم اقل هذا بل انت الذي قال ..

– اذن دعنا من الناصية وفلسفتها .. اريد ان اسمع حكايتك .

– قصتي غذّيتها من لحمي ودمي ومن اعصابي ، قصّة هائلة رائعة . حدثت لي في ليلة من الليالي العاصفة الصاخّة ، انها قصة .

– وبعد .. اريد ان اسمع كل شيء . إبدأ بقصتك .

– وهل تصدق ما حدث لي ؟ اتصدق كل شيء ؟ اتصدق ان ما حدث لي هو من روعة الحقيقة ؟ هل تستطيع ان تسمع كل قصتي ، قصتي المرعبة التي هدّت كل عصب فيّ ؟ في تلك الليلة العاصفة ، شعرت بخوف شديد ، واحسست بالسماء تنزل على الارض فتنتهي قصة الارض والسماء .. وسمعت صراخات وعويلاً ، كل صوت منها يناديني باسمائي التي عرفت بها ، وكلما سمعت اسماً كانت ستائر غرفتي تتجعد ، وتتقلص فيبين قسم من الشبابيك ، ومن كل شقة عين مستطيلة ، واحدة تؤنبني وثانية تضحك مني ، وثالثة تشمت بي . تنفث شرراً لم ار مثله طول حياتي ، وبعد ان كملت اسمائي كانت ستائر غرفتي كلها قد تلاشت وظل منها خيوط سوداء ، تترنح ذات اليمين وذات الشمال ، ومعها تترنح العيون المرعبة التي تنوس من سقف الغرفة الى اسفلها .. تجمّد كل شيء فيّ .. جفناي شدّا معاً ، ومن آن لآن كنت افتح من عينيّ شقين طويلين لأرى إن تلاشى الهول وانطوت اناملي متيبسة ، احاول ان امد إصبعاً ، غير ان اصابعي لم تنمد كأنها مشدودة باوتار تطويها كلما تمطت احسست عروقي في داخلي مثقلة بالصخور ، وصدري ملآن بالهواء الذي لا يتزحزح من رئتي خوفاً من أن يزيد الضجيج حولي ، وكان العرق يسح سحاً من جبيني ومن جسدي المرتعش .



كلها كانت تنظر إليّ ، وتمنيت لو أعرف

سبباً لذلك..لم أكن في حياتي منافقاً ولا كذاباً، وصراحتي التي تعرفها كانت سبباً في اتهامات لم أرضَ عنها، وأقلّ ما كان يقال عني «مجنون» لانني لا أسير في طريق الناس ولا أرضى بحياتهم.

مالي أشرد عن قصتي .. تمنيت لو أعرف سببـــاً لتلك العيون المحدّجة بي .

طوبى للذين لا يحسّون فهم دائماً في نعيم .

تستأهل يا هذا تستأهل ، هكذا قالت تلك العيون . أما قدماي فكانتا مربوطتين ولا أدري من ربطهما ، وأحسست بحركة ثقيلة تدب في قدمي ، وصرخت وأنا جاحظ العينين ..

هذه الكائنات الصغيرة من اين جاءت ؟ كيف جئت الى هنا ؟ من تكونين ؟

أناس..بشر..أقزام ، اقزام بحجم الذباب والصراصير !

يا الله ، يا الله .. لماذا تربطون قدميّ ؟ لماذا ؟

لماذا تزّجونني في سجون مرعبة ؟

لا ستائر تحميني ولا جار يرعاني .

وانفردت أناملي لتسوطهم واحداً واحداً ، فيبست يدي وظلت واقفة ، وقفت كالجبل .

اما الكائنات الغريبة فتلاشت تاركة وراءها شقاً طويلاً في جدار غرفتي ،وتدفق علي المطر.ماذا فعلت؟أي ذنب اقترفت؟

يا اخي لا تفكر كثيراً بل كن في الحياة كسائر الناس والا اضنتك الكائنات ، انها تضنيني غير اني أجد غبطة في الانتصار عليها ، في مصارعتها حتى النهاية ..

تركت الكائنات وراءها أثراً عميقاً في الحائط ، وهممت بالنهوض ، فاذا بي كتلة من لحم متجعدة ، يابسة ..

ومن يحميني من المطر ومن العيون ؟

وعدت اغمض عينيّ وأربط جفوني برموشي ..

كنت كتلة من لحم متجعدة ، يابسة ، لم أتحرك مرة ثانية..

اما البرَد فكان كرات كبيرة ، وانفجرت واحدة منها على شباكي، ففككت رمشين فاذا العيون تذوب واحدة واحدة

شعرت بحرارة تنبعث من الزاوية،قد تكون حرارة الموت وقطعت كل رجاء من الحياة ، ولكن ساعتي لم تأت بعد ..

حرارة سمّ ! ماذا ارى ؟ اهول جديد ؟

كأن الخيط الاسود تقلص وأصبح عقداً كبيرة كالصخور السوداء . اما الخيط فيتحرك.. اذن ، ليست من الستائر ولا من الخيط، انها كائن يتحرك ، فيه حرارة، تشع في غرفتي بقوة الشمس ، حتى انني احسست بانتهاء العاصفة ، بانتهاء الشتاء كله!

كائن بعقد سبع ..

فانتفض جسدي من جديد ، وانفردت التجاعيد، ووقفت زاعقاً بالفضاء ، ولا جواب لزعيقي ، ورحت انادي ولا نجدة لندائي الا صدى وحدتي وشقائي .. وفككت كل رموشي عن جفوني ، وحدقت بالهول الجديد .

لماذا امتد على حائط غرفتي؟لماذا هرع ينفث سمومه في هوائي؟

حدقت بالكائن النازل ، حدقت به بقوة روحي وايماني ، فاذا عقدة واحدة منه تنحل وتتلاشى ..

ماذا ارى ، هل أنا ساحر ؟

اذن انا ساحر ، انظر كيف ذوبت عقدة واحدة..يا الله.

جرّبت مرة ثانية .

ها .. ها...عقدة ثانية تنحلّ ، تذوب ، تروح .

جرّبت ثالثة ..

اذن أنا ساحر ، انا ساحر .. ما هذا ؟

وعدت الى الرابعة والخامسة والسادسة فانهارت واحدة واحدة،ذابت تاركة وراءها صوتاً،زعيقاً،ازيزاً سمّه ما شئت.

لم آبه للصوت غير ان عزمي ضعف،واحسست بدوار شديد زحزحت العقد كما يزحزح بقوة الايمان الجبل ..

ذوّبتها كما يذوب البوكان جلاميد الحجر..اما السابعة فظلت وتمددت على الارض اتمرغ في برودتها بعد ان ألهبتـــني حرارة العقد .

اما السابعة فتبدو متأججة ، ثائرة ، ونهضت مرة ثانية بعزم احدّج بالعقدة السابعة ، احدّج بها .

اما العقدة السابعة فلم تتحرك لعل عينيّ اضناهمـا التحديق وذهب بقوتهما .

وعدت مرة اخرى أجرّب ، اغمض عيني وافتحهما .

وعادت الستائر كما كانت ، اما العقدة السابعة فظلت تغـلي وتفور ، وحاولت .. اين صديقي ؟

هل سمع قصتي او ترى لم يسمعها ؟!

لماذا وعدني ان يسمعها ويصغي الي حتى النهاية ؟

الم اقل له ان ناصيته بعيدة كل البعد عن ناصيتي ؟

وهذه ورقة بيضاء من اوراق صديقي وفي هـذه المرة لم تكن فارغة :

انتَ مجنون يا هذا ، ابحث عن مجنون آخر.

ثريا ملحس

فضل المقارنة الالسنية السامية

بقلم الاب مرموجي الدومنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري الفرنسي بالقدس
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

تمهيد : العلايلي في الميزان

منذ بضعة اشهر ، صدرت كراسة* قوامها مئة صفحة يقال انها الاولى من عشرين كراسة مركب منها كتاب عنوانه « المعجم » لصاحبه الشيخ عبدالله العلايلي الى الآن لم يُلحق بهذه الكراسة غيرها . وقد جرت لهذه الكراسة دعاية ، واقيمت حفلات مطنطنة ..

على أن المألوف المعقول ان لا يُتناول مؤلف من المؤلفات نقداً او مدحاً او قدحاً ، الا عقيب نشره كله او جله . ولذا لا نبدي في الامر رأياً الا متى رأينا الوقت مناسباً .

غير ان ما لا يسعنا غض الطرف عنه هو القاء العلايلي حجراً في بستاننا اي تحرّشه بنا بالطعن في نظرياتنا واساليبنا ودونك ما ورد في الصفحة ١٥ من كراسته المشهورة : «وفي هذا المسعى التاريخي للجذر اللغوي ، جنبت نفسي الوقوع فيما يقع به بعض الباحثين ويعتدونه اعتداداً صارماً . وهو اتخاذ«هوَس المقارنة» بين اللغات السامية سبيلاً الى معرفة الكلمة في اي منها جاءت أصلا ، لأني بعد التفحص وجدته سبيلاً واهنة . ثم لا يؤدي الا الى نتائج « مضحكة » ، مثل نتائج من يبحث عن الاصل بين الاخوة بمقارنتهم ، على الثقة بان الاصل قدر شائع فيهم » .

هذه هي « ترّهة الشيخ الضحكة » التي تكرّم بها على ما دعاه « هوَسنا بالمقارنة !ولا شك انه قصد شخصنا ونظريتنا « بهزئه هذا اللطيف المهذب !! » وان لم يذكر اسمنا . اذ مما قد اشتهر عند القاصي والداني ، في البلاد العربية ، اننا وحدنا من بين اللغويين والالسنيين قد تفرغنا لتطبيق « المقارنة الألسنية السامية » . ولم يقم بعد بين خصوم نظريتنا احد تمكن من دحض آرائنا دحضاً علمياً شافياً مقنعاً . ولذا نتحدى اياً كان من اللغويين ، داخل المجامع اللغوية ، المصري والسوري والعراقي ، وخارجاً منها مستنزلين اياهم الى هذا المضمار ، غير حائدين عن منهجنا قدر ذرة ، ونترك الشيخ العلايلي الشامي ومن كان على شاكلته كالبطريرك بوصوم الذي رمي بسكانة وصماتة والشيخ المغربي الافريقي الذي القم الحجر ، وسامي الدهان الوأوائي المتطفل ، وشرذمة بقايا الاستعمار الفرنجي المقيت ، المحتلين قصر العظم في دمشق . اجل ندع هؤلاء الضحكات في ترهاتهم يتيهون ، وهم ذاكرون قصة الثعلب وعنقود العنب ..

ان « علم المقارنة » من العلوم التي نشأت على يد ارباب البحث في كل زمان . فلولا المقابلة بين الحيوان والانسان التي اظهرت الفرق العظيم بين ابناء آدم وبين مواليد البهائم ، لجاز لنا ان نسمي الرجل المدعو « عبدالله » ثعلباً ، وبطرس ذئباً وبالعكس ، لامكننا ان ندعو الحيوان انساناً،والكلب زيداً والحمار يعقوب . لكن بفضل المقارنة نحكم بان الحيوانات خلائق غير ناطقة اي عادمة الادراك والاختيار ، وان البشر حيوانات ناطقة اي ممتازة بخاصة العقل والحرية .

وفي عصرنا هذا ، قد طبق العلماء « المقارنة»على شتى الفروع العلمية . فنجم عن ذلك حقائق ثمينة ومفيدة كانت بقيت مجهولة لولاها . فهناك اليوم علوم مقارنة الفلسفات ، والشرائع ، والآداب ، والحضارات ، واللغات ، وضمن دائرة اللغات تولدت مقارنة الصوتيات ، والصرفيات ، والنحويات ، والمعجميات . ومن جملة ذلك كله فرع «المقارنة الالسنية السامية».

ومعلوم عند ذوي الاختصاص المتضلعين — ولا الادعياء المتطفلين — ان « المقارنة الالسنية السامية » غير متوقفة على البحث في لغة واحدة من الساميات ، بل في جميعها ، مع ما يلحق بكل منها من اللهجات ، ثم يتحتم على المتقصي المقارن اعتبار هذا المجموع كلة واحدة قد تفرقت خواصها واسرارها في مختلف هذه اللغات . مما يقتضي معه انارة الغامض في هذه اللغة بما هو واضح وصريح في تلك . ولا يكفي ، والحالة هذه وضع اصول الساميات الأخر بازاء المادة العربية . لان مثل هذا العمل ، مع ما فيه من الجودة ، لا يلقي على المواد المبحوثة الا نوراً ضئيلاً،ولا يأتي الا بفائدة جزئية،لعجزه عن ايضاح التناسق المعنوي المنطقي،وازالة التضارب والتنافر،ليس بين المفاهيم العربية فحسب، بل بين مداليلها ومداليل غيرها من الساميات البواقي.

غير ان هناك من يدعون — مثل شيخنا العلايلي الترهي الميثولوجي — ان اللغات السامية « اخوات لهن ام واحدة » .

* ان تبعة هذا المقال واقعة عليّ وحدي انا واضعه، ولا على هذه المجلة الغراء

ويزعمون ان الالفاظ السامية يجب ان ترجع كلها الى هذه «الام» وقد فاتهم ان « المستيسمين الألسنيين » انما يستعملون عبارة « اللغة السامية الام » و « اللغات الساميات الاخوات » من باب الافتراض والتشبيه والتوسع في اطلاق المعنى . ولا من باب التدقيق والتخصص والتقييد . اذ ان الواقع في التاريخ اللغوي لا يدلنا البتة على وجود « لغة سامية ام » تولدت منها هذه الالسنة . ومهما رقينا في سلم التاريخ الالسني السامي ، لا نلقى سوى مجموعة السن مستقلة بعضها عن بعض — دعاها العلماء العصريون « لغات سامية » ، لان المتكلمين بها شعوب تنسب التوراة جلهم الى سام بن نوح . وهي فصيلة من الالسنة متصفة بخواص ومزايا عامة تشمل جميعها او اغلبها ، مع وجود فروق أخر تمتاز بها كل واحدة عن الاخرى . فاذا عنينا « بالسامية الام » هذه الخواص الشاملة ، جاز ذلك . اما الزعم بان قبل نشوء هذه اللغات ، وفي حقبة محدودة من الزمان ، قد وجد قديماً لغة واحدة قائمة بذاتها ، عاشت وحدها ، مخلفة آثاراً لغوية وادبية ، وان منها تفرعت اللغات السامية المعروفة — كما هي الحال في اللغة اللاتينية ومتفرعاتها الرومانية كالفرنسية والايطالية والاسبانية وغيرها — فمثل هذه « اللغة السامية الأم » ربما كان لها وجود في المريخ ، لكن ليس في التاريخ .

بعد هذا التمهيد ، لنعمد الى منهجنا المعروف لتبيان «فضل المقارنة الالسنية السامية » على المعجميات السامية ، ولا سيما على المعجمية العربية .

مادة « عَرَب » واصل اسم « العرب »

لقد قلنا في شتى المناسبات ، وما زلنا نكرر اثبات قولنا بالبرهان النظري والعملي بان « المواد المعجمية العربية » ، كما تظهر في المعاجم ، ليست الا بمثابة برقشة ، واخلاط مكدسة ولولا حب المعجمي المتقصي للغته العزيزة ، وشوقه الى خدمتها باخلاص وغيرة ، لانف من العمل ، وهجر كتب اللغة ، لما يشتم من خلالها من روائح البعر والبعران ، ولما يصادفه في اكثرية موادها الساحقة من الفوضى والبلبلة ، والتضارب والتنافر والتناقض ، مما يحار فيه العقل ، ويمجه الذوق السليم ؛ ولما يسمعه من لواذع السخرية والتنديد على افواه الاغراب واعداء العربية القائلين : « اهذه هي اللغة التي يفاخرون بكونها افصح اللغات واتقنها ، واجملها ، واقدسها ، لا بل بانها « لغة الله وملائكته »؟!!

اما نحن فلا نقول قطعاً عن العربية او العبرية او السريانية او اية لغة كانت من اللغات بانها « لغة الله وملائكته » لان هذا من غير المعقول ، لا بل من قبيل الترهات التي ينفر منها العقل الصحيح . لما تتطلبه اللغة من اعضاء للتكلم . والاعضاء تفترض وجود الجسم . والله وملائكته لا جسم لهم ولا اعضاء للكلام.

ثم اننا لا ندعي ان اللغة العربية « لا يحصيها الا نبي » . لانها كبقية اللغات ، قد وضعها البشر لاستعمالهم العام . فهي ليست من اختصاص الانبياء ، ولا من محتكراتهم . وهم اذا ارسلوا الى البشر كلموهم كسائر البشر بلغة بشرية . ولا نقول ايضاً « ان اللغة العربية واسعة جداً ولم تدوّن كلها . ولو دوّن ذلك لجاءنا شعر ونثر لا يحصى عديده ! » الواقع ان هذه الكثرة التي يأسف عليها بعضهم ليست الا خيالية ، اذ لا وجود لها الآن . ولان الموجود عينه يحوي كثيراً فكثيراً من الفاحش والنافل والغث والمهجور . مما يكوّن منه ، لو جُمع على حدة ، ثلث المواد الواردة في الامهات . اما المحفوظ من اللغة في دواوينها فقد اثبتنا ولا نزال نثبت ان حالته هذه المصيبة المكروهة ليست الا « ظاهرية » . ولا تلقى تبعتها على كاهل اللغة ذاتها ، بل على ظروف الازمان القديمة ، واساليبها السقيمة . ومن ثم على الذين اساءوا جمعها وتدوينها ، اي المعجميين الاولين المتأثرين بعقلية عصرهم والمناهج المألوفة فيه . فبعملهم هذا البدائي — شاءوا ام ابوا — قد ظلموا اللغة ظلماً شنيعاً منكراً .

وها نحن اولاء ساعون اولاً في سرد مادة « عرب » كما هي واردة في العربية وغيرها من الساميات ، ثم نعمد الى تنسيق وتعليل معانيها المختلفة ، حسب نظرية « الثنائية ، وطريقة الألسنية الساميّة » .

العربية : « عَرَبَ » الطعامَ : اكله . و — النهرُ : غمر وعَرُب : تكلم بالعربية فصاحةً ، وعَرِبَت المعدة : تغيرت وفسدت . و — الرجلُ : فصح بعد لكنة في لسانه . و — الجرحُ : نكس وغفر وتورّم وتقيّح . و — البئر : كثر ماؤها و — الرجلُ : غرق في الدنيا . و — نشط . وعـرُب : كان عربياً خالصاً .

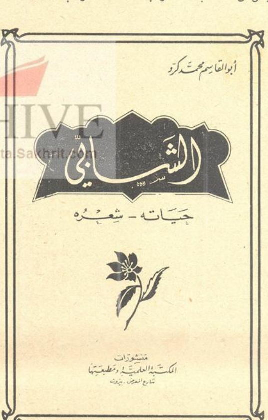
« عَرَّب » الرجلُ : تكلم بالفحش . و — اتخذ فرساً عربياً او قوساً عربية . و — المشتري : اعطى العربون . و — الاسمَ الاعجميَّ : تفوه به على منهاج العرب . و — منطقه : هذّبه من اللحن . و — النخلةَ : قطع سعفها وشذبها . و — البيطارُ الفرسَ : بزغ على اساعره ثم كواها . و — قولَ فلان : قبّحه

وردّه عليه . و ــ الرجلُ : اكثر من شرب الماء الصافي . و ــ الرجلَ العرَبُ : مرّضه الذرَب ، اي فساد المعدة .

« أعرب » الرجلُ : وُلد له ولد عربي اللون . و ــ الشيء ابانه . و ــ الفرسُ : صهل فعرف عتقه . و ــ كلامه : حسّنه و ــ فلاناً : ردّه عن القبيح . و ــ الكلمة . بيَّن وجهها من الاعراب ، او ازال عَرَبَها اي ابهامها (سلب) و ــ زيدٌ فرسَه : احضره واركضه . و ــ فلانٌ : ملك ابلًا او خيلًا عِراباً . و ــ اعطى العربون . و ــ عن حاجته : ابان عنها .

« تعرَّب » : تخلق باخلاق العرب . و ــ اقام في البادية . و ــ المرأة : تحببت الى زوجها . « استعرب » الرجلُ : تكلم بالفحش و ــ فلانٌ : صار دخيلًا بين العرب .

« عرَبٌ عاربة » : صُرَحاء . « العرَاب » : الخَزَم ، وهو شجر يفتل من لحائه الحبال . « العرَابة » ، واحدة العرَاب . و ــ واحدة



العرَابات ، وهي شُمُل ضروع الغنم . و ــ الفحش ، و« العِرْب » يبيس البُهمى . « العرَبُ » : مصدر عرِبَ . و ــ جيل من الناس خلاف العجم . و ــ الماء الصافي . « العرِب » : الذرِب « العرِبَة » : العَروب والعَروبة . وهي المرأة المتحببة الى زوجها . و ــ الذَرِبة . و ــ بئر كثيرة الماء . و ــ النهر الشديد الجري ، و ــ النَفْس . و « العرَبات » : سفن رواكد . « العرّاب » : عامل العربات . و ــ كفيل المتنصّر « العَروبة » : الجمعة « العرُوباء » اسم السماء السابعة . « عَريب : احد . » العُرَيْب : الماء الكثير الصافي .

العبرية : « عَارَبْ » : خلط ، نسج تجمع ، ضمن ، كفل بادل ، تاجر ، لذ ، يبس ، جدب .

« عَرُوبا » : كفالة ، « عَرَبَانْ » êrabau' : عربون .

« عَرَبْ » : برّ ، صحراء ، ــ « عَـرَبَا » : صحراء .

« عَارَبْ » : غَرَبَ ، توارى ، افل ، امست ، اظلمت .

« عَرَبَا » : غيــاب ، أفول ، « عَيْرَيب êrèb' مساء ، غروب .

« مَعْرَبْ » : غَرْب . « عُورَيب » (ôrèb') : غراب اسود

السريانية : « عْرَبْ » : غرَب ، غاب ، افل ، توارى .

« عَرَّب » (arrèb') : كفل ، ضمن ، كان عرّاباً ، غربل نخل ، خلط ، بلبل ، نفر ، فر .

« أعْرَبْ » : وارى ، اخفى ، ازال ، افنى .

« عَرّابا » : كفيل ، عراب ، اشبين .

« عُرْبا » : غراب .

الاكدية : êrabu : (عرَبُو) : دخل ، غاص ، غاب ، غرَب

èrèbu : دخول

mèrèbu : (مَعْرَبُو) : دخول ، وصول ، ابتداء

arîbu : (عَريبو) : غراب

الحبشية : « عَرَب » : غرَب ، افل ، غاب .

« أعْرَبَ » : أغرب ، انزل

« عَرَبْ » : غَرْب ، مَغرب ، مساء ، مساء السبت ، الجمعة

« عرَبان » : عربون .

« عربي » : مغربي ، عربي .

بعد هذا البسط ، اسألك ايها المطالع العربي النزيه ، وان كنت غير لغوي ، ولا من اهل التقصيات الالسنية ، الا تستغرب ، لا بل الا تنفر نفسك ، وذوقك اللطيف ، ومنطقك الطبيعي ، من هذا التباين والتنافر والتناقض ، ومن هذه البرقشة

والخلط في فحاوي هذه المادة التي منها جاء اسم «العرب والعربية» اسعَ . رعاكَ ربك ، ان وجدت لذلك سبيلًا ، في التوفيق بين مداليل اكل الطعام ، وغمر النهر ، وافصاح الكلام ، وبين فساد المعدة واعطاء العربون ، وبين تقبيح الكلام ، وقطع النخلة ، والاكثار من شرب الماء . وبين صهيل الفرس ، وتبيان الاعراب ، وانجاب الاولاد ، وبين الاقامة في البادية وتحبب المرأة الى زوجها ، وبين الحَزَم والتكلم بالفحش ، وبين العرّاب اي عامل العربات ، والعرّاب اي كفيل المتنصّر . وبين العَرَبَة اي الدَرِبَة ، والنهر الشديد الجريان . وبين العُروبة اي الجمعة والعَرُوبَاء اي السماء السابعة . وبين الخلط والكفالة . وبين اليبس والتواري ، وبين الغُراب والنفس .

هذه هي ، كما تتجلى لك ، حالة العربية على ما هي عليه في المعاجم المتداولة ، وعلى هذه الحالة يريد بقاءها اهل الجمود والاساليب المتحجرة ، بفعل التقليد المقدس الذي لا يمس ، اي الثلاثيون المكررون دون تردد ، منذ مئات من السنين ، بعد سيبويه ونفطويه وعفطويه وكل من انتهى بِوَيه ، بان «الاصل في كل كلمة ان تكون على ثلاثة احرف ، حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وحرف يكون واسطة بينهما» . ولو لم تكن العربية لغتنا الوطنية العزيزة علينا ، اما كنا كرهناها وقلنا «ما ابشعك من لغة ! فانت حرية بان يطبّق عليك المثل العراقي القائل : «خلطة ملطة مثل لغة مالطة» اما العلايلي الشامي الآرامي (لان الشام بلاد آرم) فسوف نرى كيف يحاول النجاة من الارتطام في رطمة هذه المادة ، حسب وحداته الترّهية الميثولوجية .

أما نحن فدونك مألوف طريقتنا في مثل هذه الابحاث على ضوء الثنائية والألسنية السامية :

تنسيق وتعليل

— في اللغات السامية الأخر ، ما عدا العربية ، لا وجود لهذه المادة الا بالعين ، لان الغين ليست في ابجدياتها ، اما في العربية فانها واردة بالعين والغين ، ومن ثم هناك في الالسن السامية الاخر معانٍ لهذه المادة بالعين ، يقابلها في العربية تارة بالعين ، وتارة بالغين ، مثلًا « عَرب » ، في السريانية والعبرية والحبشية والاكدية ، تدل على الغياب والافول والدخول والغوص ، وبهذه المداليل ينظر اليها في العربية المادة عينها ، لكن بحرف الغين عوض العين ، فيقال « غَرَبَ » : أفل ، بعُد ، توارى . ثم ان الطير المدعو في السريانية « عُرْبَا » ، وفي العبرية « عُورَيبْ » وفي الاكدية « عَرِيبُو » اي بالعين يسمّى في العربية « غراباً » بالغين .

— حسب نظرية « الثنائية » يلزم ان نقول ان مادة « عَرَبَ » مشتقة من رَسٍّ (base) ثنائي . لكن الظاهر من تسلسل الاشتقاق ان هذا الاصل الثلاثي متأت من رسَّين ثنائيَّين ، حسب اختلاف معانيه ، اولهما الرَسّ « عَرْ » تولّد منه « عرَبَ » بزيادة الباء تذييلًا ، وثانيهما الرَسّ « عَبْ » جاء منه (عَرَبَ) باضافة الراء اقحاماً ، وهذه هي فحاوي الثنائيَّين في الساميات .

الرَسّ الاول (عَرْ)

العربية : (عَرْ) ومتوسعه المضعّف (عَرّ) : جرب ، شان ، لطخ ، باشر ، ومنه (العُرّ) : العيب ، الشر .

الممدود الثاني من الثنائي الخفيف (عَرْ) هو (عرى) : نزع ، جرّد ، ومنه (العراء) : الفضاء لا يستتر فيه بشيء . ومنه (عَرِيَ) من ثيابه : خلعها وتجرّد منها ، وعَرِيَ من العيب : سلِم ، واعرى فلانٌ : سار في العراء ، (العَرِيَّة) : النخلة أُكِل ما عليها اي جُرِدت منه .

السريانية : (عَرْ) : بدّد ، افنى ، (عَرْعَرْ) افترس ، بدد . (عُرِيَ) : عَرِي ، ضُعف ، — (عْرَا) : اصاب ، نزع . عَرْعَر ، وعُور ، وعارَر : ترك ، تعرّى .

العبرية : عَاوَرْ : كشف ، عرّى ، جرّد ، — عَرْعَر (ʿarʿer) خرّب اتلف .

الرَسّ الثاني (عَبْ)

العربية : (عَبْ) الثنائي الخفيف ، ومتوسعه بالتضعيف (عَبّ) الماءُ : ارتفع وكثر موجه ، و — شرب الماء بلا تنفس — العُباب : كثرة السيل .

السريانية : (عَبْ) : تعبأ ، غلظ ، ورم ، (عِبِي) : عبأ : ورم ، « عَبْيَا » : كثيف ، سمين ، عبي . « عْبَا » : غاب ، — عُوبَا » : عبّ ، حضن ، بطن ، داخل .

تفاصيل الاشتقاق

أ) معاني « عَربَ » المشتق من الثنائي (عَبْ) .

(عرَب) : اكل الطعام ، اي عبأه في معدته .

(عَرِبَ) : فسدت معدته من كثرة تعبئة الأكل فيها ، فتخمت .

« (الجرحُ : نكس وغفر وتورّم وتقيّح ، لامتلائه بالمدة ، وانتفاخه ، ولبقاء غدّة منه بعد البرء .

« (البئرُ : كثر ماؤها ، اي امتلأت ، ففاضت .

(عَرِبَ): (الرجلُ : نشط وعلا ، و ـ فلانٌ : غرق في الدنيا ، تشبيهاً بكثرة الماء المعبأ الذي يغرق فيه .
(عَرّب) : اكثر من شرب الماء الصافي ، اي عبأه في معدته .
« (الرجلَ العربُ : مرّضه الذَرَب ، اي فساد المعدة ، من التعبئة .
(اعرَبَ)زيدٌ فرسَه : احضره اي نشطه واركضه من عبّ : ارتفع .
العَرَاب : واحدته العَرابَة : حَمَّل الخزَم وهو شجر يفتل من لحائه الحبال ، اي تُعبّأ خيوطها بعضها على بعض بالفتل .
(العَرابَة) : واحدة العَرابات ، وهي شُمُل ضروع الغنم اي اكياس تُدخل او تعبأ فيها هذه الضروع .
(العِرْب) : يبيس البُهمى ، واليابس يتجمع بعضه على بعض
العَرَب : الماء الصافي المعبّأ بعضه على بعض .
العَرِب : الماءُ الكثير الصافي ، (بئر عَرِبة) : كثيرة الماء ، وفي الكثرة تعبئة .
(معدة عَرِبة) : ذَرِبة ، لامتلائها بالطعام .
(العَرَبون) : ذات البطن ، اي المادة المتعبئة في البطن .
(العَرَبَة) : النهر الشديد الجري ، لكثرة الماء المتعبىء فيه

(العَرَبَة) : النفْس ، لانها تملأ الجسم بوجودها في كل عضو من اعضائه .
العربات : سُفن رواكد كانت في دجلة ، والراكد : الساكن المتعبىء بعضه على بعض .
العُرْبُ : الماء الكثير الصافي ، ما في الدار (عريب) اي احد ، وهو الذي يستقر في البيت ويركد فيه ، كذلك (ما في الدار (مُعرِب) اي احد .

ب) مداليل (عَربَ) المشتق من الثنائي (عَرْ) وممدوده (عرى)
(عرُب) : تكلم العربية بفصاحة ، والفصاحة هي البيان اي اظهار المعنى وذلك بازالة ابهامه ، والثنـــائي الممدود (عَرَى وعَرِي) : خلع ، نزع ، جرّد (فعرُب) يدل على تجريد الكلام من الغموض والابهام .
(عَرَّب) تكلم بالقبيح والفحش ، وهو مشتق من (عرّ) ومضعّفه (عَرّ) شان ، لطخ بالشر ، والعيب ، والفحش هو الكلام المعيب ، لانه مكشوف اي مجرّد من كل حشمة وحياء.
(عَرَّب) النَخلةَ : عرّى اي جرّد سعفها وقطعه .
« البيطارُ الفرَس : بزغ على اشاعره وكواها .
« قولَ فلان : قبّحه اي وصفه بالشر والعيب ، او جرّده من الخير .
« منطقَه : هذبه ونزع عنه اللحن .
« عنه لسانه : ابان وافصح اى عرّاه من الغموض .
(أعرب) بالكلام : بينه اي ازال ابهامه .
« الشيءَ : ابانه وافصحه .
« الكلمةَ : بيّن وجهها من الاعراب ، وهو ازالة عَرَبها اي ابهامها (للسلب) .
« الفرسُ : صهل فعرف عتقه وسلامته من الهجنة .
« تكلم بالفحش والقبيح : اظهره اي جرّده من الحشمة .
« أعرب » فلاناً : ردّه عن القبيح والفحش ، اي منعه من اظهاره .
« تعرّبت » المرأة لزوجها : تحببت اي اظهرت ما تكنه له من الحب دون مواربة .
« استعرب » : تكلم بالفحش .
« عَرَبٌ عارِبة » : صُرَحاء خُلّص ، اي منزهون او مجردون عن العيب والهجنة .
« العَرابَة » : الفحش والكلام القبيح المكشوف .
« العَرَبَة من النساء والعَروب والعَروبة » المتحببـــة

المظهرة عواطفها .

«رجلٌ عرْبان» فصيح اللسان، اي مجرد من اللكنة والعجمة.

« المُعرب » من الخيل : الذي ليس فيه عرق هجين .

ت) فحاوي (عَرَّبَ) الفعل المُرتجل من (اسم العرب)

(عرّب) : اتخذ فرساً عربياً ، او قوساً عربية .

« الاعجميُّ تفوّه على منهاج العرب .

(أعرب) الرجلُ : وُلد له ولدٌ عربي اللون . و — الاعجمي : بمعنى عرّبه .

« فلانٌ : ملك إبلا او خيلا عِراباً .

(تعرّب) الرجل : تشبه بالعرب وتخلق باخلاقهم . و — اقام في البادية وصار اعرابياً .

(استعرب) فلان : صار دخيلا بين العرب . و — الاعجميُّ فهم كلامه بالعربية .

(رجلٌ عَرْبانيٌ) : عارف بلسان العرب .

(العربي) : الذي له نسب صحيح في العرب .

(اللغة العربية) : لغة العرب ، او ما نطق به العرب .

الأعراب: سكان البادية. والاعرابي: البدوي. وواحد الاعراب.

(الاعرابية) : البداوة . (عرَبٌ متعرِّبة ومستعربة) دخلاء ليسوا بخُلَّص .

ث) (عرَب) في العبرية والسريانية .

في العبرية ، يشتق (عرب) من الثنائي الخفيف (عبْ) الدال على التعبئة والتكويم. فمن ذلك ورد الفعل (عارَبْ) : مزج. ضفر، نسج. وفيه معنى الجمع وضم الاشياء الى مثلها . ثم يعني (عارَبْ) : بايع ، تاجر. وفي ذلك مبادلة البضائع. فتمتزج بعضها ببعض. ومن فكرة المبادلة عموماً ، نشأت فكرة مبادلة المقام والوضع . من ذلك (عارَبْ) في العبرية : ضمن كفل. وفي السريانية (عَرَبْ) : كفل. كان عرّاباً. و(عرّابا) الكفيل العرّاب ، الاشبين. وفي العبرية (عَرُوبا) : كفالة. ومن ذلك ايضاً في العبرية (عرَبان): العُربون: اي الشيء المتبادل بالرضا ومنه (الرهن) وعلى رأينا ان (العرّاب والعرَبون) ليسا من العربية بشيء ، بل هما دخيلان من العبرية والسريانية .

ج) يقابل (غرَبَ) العربية (عرَب) في الساميات الأخر. وهو مشتق من (عَبْ) الدال على التجمع والتلبد والتكوّم والتعبئة. ومن تراكم الشيء على بعضه يحصل الظل والظلام. ومن الظلام لون السواد، ومن السواد ورد اسم (الغراب) لسواد لونه.

ومن (عرب) جاء معنى الدخول، والغوص ، والتواري. ومنه الابتعاد. فورد اسم (العَروبا) اي السماء السابعة، وذلك لقصائها وتواريها في العلاء. وكذلك جاء فحوى (المساء والغروب) ومنه (العَروبة) في السريانية اي غياب الشمس، ثم معنى (المساء) ثم (المساء الخاص) اي مساء ليلة السبت. لان (اليوم) كان عند الاقدمين، والى الان عند اليهود والمسلمين والنصارى الشرقيين يبدأ مساءً عند غياب الشمس ، ولهذا دلت (العروبة) على يوم (الجمعة) ، لانها ليلة السبت .

ح) من مداليل « عرَب» في العبرية معنى اليبس، والذبول والجدب. فجاءت «عارَبْ» دالة على « البر، والصحراء ». ومن ذلك « عرَبْ وعرَبا » بدلالة البرية والبادية. ومن ذلك ايضاً في الحبشية «عرَبات» فلاة. وفي العربية « عرَبة » : برية جدباء وهذا الحرف « عرَبْ» المراد به اليبس والجدب ، مشتق من «عَري»: نزع، خلع، جرّد. وهنا يُعنى به نزع الرطوبة والمائية من الارض، فتزول منها الخضرة والعشب والشجر . من ذلك يحصل الجدب. والارض الجدباء هي الجرداء القحلاء، وهي «العرَبة»

اصل اسم « العَرب والعربية »

ان لفظة « عرب » قد تطورت تطوراً كبيراً على مدى العصور . على كلٍّ ، لم يكن لها في الزمان القديم المدلول الشامل الذي يطلق اليوم على كل سكان شبه جزيرة العرب ، والبلاد المجاورة لها ، وكل الامصار التي مُصّرت بعد الفتوح الاسلامية. والعرَب انفسهم لم يطلقوها على ذواتهم الا قبيل الاسلام وبعده فانهم في عصور الجاهلية لم يكونوا يدعون الا باسم كل قبيلة من قبائلهم ، او ناحية من نواحيهم ، او مدينة من مدنهم والقرآن نفسه ميّز بين « العرب » وهم قطان المدن ، وبين «الأعراب» النازلين في البوادي .

وقد ورد اسم (العرب في النصوص الاشورية والبابلية دالاً على مشيخة من المشيخات ، واما اليونان والرومان فقد عمّموه على اهل شبه الجزيرة ، وفي اسفار الكتاب المقدس لم ترد كلمة (عرَب) دالة على اسم شعب خاص . بل جاءت مرادفاً لاسم البادية . وكان اليهود يعنون بها البقعة الواقعة بهيئة وادٍ بين البحر الميت او بحر الجليل الى خليج العقبة ، ومع الزمان ، امتد هذا الاسم ، فعمّ شبه جزيرة سيناء ؛ ثم القسم الشمالي ثم الجنوبي من شبه جزيرة العرب كلها . لكن لا اهل الشمال من هذه الجزيرة ، ولا سكان قسمها الجنوبي ، قد اطلقوا على ذاتهم

اسم (عرب) ولا على جزيرتهم اسم (الجزيرة العربية) هذا من الناحية التاريخية .

اما من حيث الاشتقاق فقد رأينا ان مادة (عَرب) تنشأ اولاً من الثنائي (عَبّ) نظراً الى طائفة من دلالاتها . ثانياً من الثنائي (عَرّ) وممدوده (عرى) بالنسبة الى طائفة اخرى من هذه المداليل . على ان الفحوى الاولى ، والرسّ الاصلي ، الصادر عنه معنى العَرب والعربية (بمدلول) البر ، اوالصحراء او البادية ، هو ظاهر كل الظهور في العبرية ، كما رأينا اعلاه في الفقرة (ح) .

اجل ان لفظ (عرَب وعَربة) وارد في الحبشية والعربية بيد ليس في المادة الفعلية ، اما العبرية ففيها الاشتقاق سائر بانسجام بدءاً من الثنائي « عَرّ وعرى ومنه عري » الدال على النزع والتجريد ، وقد توسّع في « عرَب » بزيادة الباء تذييلاً. وقد دل على الجفاف اي نزع الرطوبة والمائية من الارض ، وبهذا النزع نزع المائية والنداوة يتولد اليبس والجدب . فيستحيل المكان قفراً ، او صحراء او باديّة ، وهذا هو معنى (عَربَة) في العبرية ، وعند اليهود دلت على (وادي العربة) المذكور آنفاً ، وهي صحراء خاصة عرّفت بها التعريف ، فقيل (هعَربة) ولاجل ذلك اطلقت الكلمة على سكان البادية ، ومن هنا جاء اسم « العرَب » مراداً به في البدء مرادفاً لاهل الصحراء . ووردت بعد ذلك التسمية المرتجلة من اسم العرَب ، وهي « العربية » اي البلاد العربية ، او بعبارة اخرى « البقاع الصحراوية او البدوية » ومن ذلك تولدت ايضاً عبارة « اللغة العربية » اي لغة سكان « العرَبَة » او البادية .

اما في العربية ذاتها ، فما عدا كلمة « العرَبَة » الدالة على البادية لا نرى في مجرى الاشتقاق ما يدلنا على ان اصل اللفظة صادر عن اليبوسة والجدب والقفر ، لكن من جملة فحاوي « عرَبَ » فحوى « أعرَب » اي ابان وافصح . وقد نسبوا ذلك الى اللغة العربية ، اشارةً الى انها فصحى ومعربة . بيد ان هذا التدليل ليس بقديم ، بل وضعه اصحاب المعاجم بعد الاسلام اجلالاً للعربية وتفخيماً لها ، اما الاصل القديم فهو ناشيء عن المعنى المطلق في العبرية على « عرَب » اي الدال على المكان القفر* .

الخلاصة ، من حيث التأريخ ، لم تطلق قديماً كلمة « عرَب » على العرب جميعهم ، وهم ذاتهم لم يسموا بهم بلادهم ولم يعتبروها اسم علم لشعبهم الا قبيل الاسلام ، ومن حيث الاشتقاق ، ليس في العربية ما يدل على ان اللفظة مشتقة اشتقاقاً منسجماً عن الرس « عرى » المتوسع في « عرب » والدال على النزع والتجريد ومن ثَمّ على اليبس والجدب ثم على البر والقفر ، فالباء ان حرف « عرَبَة » ليس من صميم العربية ، وكذلك اسم « العرب والعربية ، واللغة العربية » فكل هذه الالفاظ اوالصيغ غريبة عن الاشتقاق العربي . ومن المحتمل انها دخيلة فيه من الاشتقاق العبري هذا ما نراه صادراً صدوراً طبيعياً معقولاً من البحث الذي بسطناه على ضوء « الثنائية والمقارنة الالسنية السامية » . وقد زال بذلك ما يظهر في هذه المادة من الخلط والبلبلة والتنافر والتناقض .

ولا ريب ان اراءنا هذه تزعج فريقاً من الباحثين ، لا بل تهيج اعصاب المحافظين المقدسين القديم لانه قديم ، فيرشقونا بسهام الملام ، ان لم نقل بسهام الحرم المحفوظ لاهل البدع والهرطقات اللغوية ، لكن هذا لا يهمنا اذ اننا في ابحاثنا لا نسعى وراء المديح والاطراء والشهرة ، وليس من قصدنا ارضاء اهل المناصب والمجامع العلمية واللغوية . ان جل غايتنا خدمة العلم واللغة والاوطان العربية ، وفوق كل ذلك ارضاء الحق ، سواء كان لنا او علينا ، او على اعز اصدقائنا ، « انا صديق افلاطون . لكن فوق افلاطون ، انا صديق الحق ، وساع في خدمته ونشره والدفاع عنه » .

مسك الختام اوجه الكلام اليك ، ايتها العربية لغتي العزيزة مستميحاً منك العذر والمغفرة عما صدر مني في حقك من الالفاظ الجارحة . بيد ان ذلك ليس بمصوّب الى كنهك وقوامك الحقيقي بل الى ظاهر هيئتك المشوّهة الممسوخة التي ابرزك فيها ظالموك الشيوخ المقدّسون مذهب « الثلاثية » . على حين ان « الثنائية والالسنيّة الساميّة » نزعت عنك هذه الاطمار البالية فتجليت بجمالك وبهائك واتقانك وفصاحتك وبلاغتك ، فسلام عليك والف سلام من اخلص ابنائك ، وادامك المولى عزاً وفخراً للبلاد العربية جمعاء .

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

* في شأن اصل لفظة « العرب » يراجع كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » الجزء ١ ص ١٦٩ — ١٨٥ . وهو تأليف نفيس يجدر ان يوجد في جميع المكتبات العربية وان يقتنيه كل مشتغل بتاريخ العرب . ومؤلفه هو وطنينا العلامة الدكتور جواد علي الأمين العام للمجمع العلمي العراقي . وقد صدر من الكتاب الجزء الاول والجزء الثاني . فنتمنى لواضعه ان يتم نشره باقرب وقت وقد طبع في مطبعة التفيض في بغداد .

جمال الذكرى

لمحمد علي الحوماني

مصر الجديدة

✱

من وحي مصر الجديدة في كتاب « انت انت » الماثل للطبع

●

كيف انسى الهوى ،وحشو اهابي كل حرّان من دم وشباب ؟
أفأجفو الصبا ، ومهبط آمـــالي ، ومجلى خيالي الوثاب ؟

✲

كيف اسلو « شقراء »[١] و« الوردة »الغنّاء فيها ،وجنة الاعناب؟
اوَ اسلو ، ما عشتُ ، مشمشها الحاني على لمةٍ من الاصحاب ؟
كيف اسلو تلك الليالي ولا ابكي لها كل سيدٍ غـــلاّب ؟

✲

اوَ اسلو « وادي السلام[٢] »وليل السطح فيها ،وضحوة السرداب؟
وصباح النخيل في « الجزرة » الفيحاء يغري يديّ بالارطاب ؟
والاخلاء من « شرارة » و « الزين »نشاوى الثغور والاكواب
او سلو «حاروف»[٣] اغرودتي الاولى وملهى لِداتي الاتراب؟
كيف انسى «ظهر البيادر» و«البيّاض»فيها و«حوطة» الالعاب؟
يوم كنا نروح بالنرجس الضاحي ونغـــدو به على الكُتّاب

✲

كيف اسلو « لبنان » والافق الضاحك فيه وعندليب الغاب ؟
اوَنسى مصيفنا تحت « بكفيّا » على «العين» فوق «بيت شباب»؟
اوَ انسى « الشاغور » في رأس « حمّانا » ومجرى عقيقه المنساب؟
كيف انسى «وادي العرائش» و«البردون» ينساب كاللجين المذاب؟

✲

اوَ انسى « حواء » في رأس بيروت ،ودنيـــا جمالها الخلاب ؟
اوَ انسى إذ وسّدتني ، ما اضفت على ناظريّ من اطيـاب ؟
كيف انسى بها ليالىّ بيضاء الدراري نقية الجلباب ؟
اوَ اسلو « العهد »[٤] الذي شق عنها شفتيّ شاعر وصدر كَعاب؟

✲

كيف أسلو « نويرك » والشفق الحائر فيها على جبين السحاب ؟
اوَ انسى جاراتيَ الهوج اذ اطرق ابوابهـا وتطرق بابي ؟
اوَ انسى « بحيرتي »[٥] والعيون الزرق في ظل موجها الصخّاب؟
والفتاة اللعوب اذ وقفت مني على « الصخر » موقف المرتاب ؟
صخرة شد ما افأنا مع الصبح الى ظلها وقبـــل الغياب

✲

افأنساك انتِ ؟ انتِ التي وحدك الهمتني جديــــد كتابي ؟
انتِ انتِ التي حجبت « سراريّ » واغلقتِ دونها ابوابي ؟
انت اصليتهن كل جحيـم وتحملت دونهن عذابي
انت انت التي نظرتِ فأسدلت على ناظريّ كل حجاب
لم اعد ابصر الحياة سوى عينين مفروشتـــين بالاهداب
وبنان يطوي على الخلد كفين خضيبـــين من دم العناب

✲

تسأليني : ماذا افدت من الحب وماذا جنيت من احبـابي ؟
افيرضيك انني سابغ العيش واني كحفنة من تراب ؟
لم يضمني عصف الشباب ، ولا اخنى على جدتي ولا ازرى بي
أعلى الحب لُمتِني ، وبه خف الى قمة الخـلود عقابي ؟
صفقتني به عباقرة الشعر وروّت كؤوسها اثوابي
سلحتني امي الطبيعة بالحب ، وشدت على الاثـــير ركابي
ثم قالت : حلق الى الافق الاعلى ، الى حيث سدة المحراب
حيث يملي ناموسَ ارضك « جبريل » على عبقر من الكتاب

---

(١) شقراء اول بلدة هاجر اليها الناظم موظفاً في جنوب جبل عامل.
(٢) وادي السلام هي النجف في العراق حيث درس الناظم علم الفقه.
(٣) حاروف مولده ومنشؤه الاول وهي من قرى جبل عامل « لبنان »
(٤) هو عهد بالوفاء كتبته بخط يدها ولا يعلم ما فيه الا الله ونحن .
(٥) هي بحيرة مشغن في الولايات المتحدة حيث انفق الناظم شطراً من شبابه مع « حوائه » التي اصدر فيها ديواناً معروفاً باسم « حواء » ولهذه البحيرة في مقدمته اثر خالد .

الطفل العنيد

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني



ان أغلب الأمهات يجدن صعوبة كبيرة في اخضاع أطفالهن للقيام بفعل معين ، ونلاحظ مراراً معركة حقيقية بين الام والطفل : الاولى تريد شيئاً والثاني يريد شيئاً آخر ، وتتوتر الأعصاب ويظهر الانفعال وتبدأ المعركة بالأفعال التهديدية. وتتكرر أحياناً هذه المواقف الى حد أنها تثير أعصاب الحاضرين وتؤدي الى النفور من هذا الجو . واشير هنا الى موقف الأب الذي يشاهد هذه المعركة ويحاول التدخل فيتعقد الموقف لأنه لا بد من ان يحدث تحيزاً الى ناحية من طرفي النزاع فتراه أحياناً يؤيد الام وأحياناً اخرى يناصر الطفل . وتكرر هذه الأزمات يترك حتماً أثراً في خلق الطفل وتكوين شخصيته كما انها تؤثر أثراً مؤكداً في العلاقة العاطفية بين الطفل وأهله. ولا نكون مبالغين اذا أثبتنا ايضاً ان هذا التوتر قد يؤدي الى فساد عاطفي بين الزوجين لأن التوتر الناشىء عن الخلاف في معاملة الطفل يتحول الى خلاف في أمور اخرى بين الزوجين .

ولهذا أعتبر موضوع عناد الطفل موضوعاً هاماً قد يؤثر في سعادة الاسرة كلها بتأثيره المباشر في العلاقة الزوجية وبدلاً من بحث مشكلة الزوجين في موقفهما من الطفل : هل يجب اتفاقهما في «التأديب» او اختلافهما لتخفيف الوطأة على الطفل ، يجب بدلاً من ذلك كله ان نزيل اساس المشكلة وهو عناد الطفل ، لأن الاتفاق في «التأديب» يعطي الطفل شعوراً بالحرمان من العطف ويترك في نفسه بذرة الشعور بالاضطهاد ، وموقف الاختلاف يجعل الطفل يميل الى من يؤيده ويربي شعوراً عدائياً ضد من يتجه الى قسوة التأديب . كما ان التغيير المستمر والخلط بين القسوة. واللين يعطي الطفل شعوراً عاطفياً مضطرباً ، ويتولد في نفسه ميل الى عدم الثبات وينتهي الامر الى الحذر وعدم الثقة .

وهنا نتوقع صرخة الامهات حائرات معبرات عن ثورة ضد اتجاهنا في « تعقيد » التربية . ولقد تعودنا سماع هذه التعبيرات الثائرة ، ولكنها لا تستطيع تغيير الحقائق العلمية ولا تستطيع تكذيب المشاهدات اليومية التي يقدمها لنا التحليل النفسي . ونقول للامهات اللائي يجدن في اتجاهنا تعقيداً ان قصدنا هو الهدم الكلي لهذا الاتجاه المعقد ، بل المستحيل ، للوصول الى تكوين طفل سليم النفس سهل القيادة .

ولكي نضمن هدم الطريقة الفاسدة في التربية وبناء الطريقة الصحيحة يجب ان نذكر حقيقة واضحة في معاملة الطفل وهذه الحقيقة تقول لنا : ان الطفل لا يريد ، وانما هو يندفع. وعندما أتحدث عن الطفل أشير الى ما دون العاشرة تقريباً فانه يكون دائماً مقاداً اما بالحاجات البيولوجية واما متأثراً بالمواقف الخارجية التي توحي له بأعمال معينة . ولكي نضمن سلامة السلوك وعدم التعرض الى فرض ارادتنا عليه واثارة عناده وثورته وما يتبعها من انفعالات يجب ان نراقب دوافع الفعل . وهنا نحتاج الى التزود بمعلومات نفسية في الفعل الارادي . ويجب على الام ان تترك الفعل في حد ذاته لتراقب أسبابه . مثلاً طفل لا يريد الاكل والام تخاف على صحته فتندفع بحماس تفرض عليه أكلاً معيناً ، والطفل يرفض ، والام تحتد وتهدد او تنفذ التهديد ، ويدخل الطفل في طور جديد ولا يأكل ليعاقبها ويلجأ الى الامتناع

عن الاكل كوسيلة لتحقيق مطالبه ان رفضت مطالبه ، وتتعقد المسألة .

واما الطريقة السليمة فانها تبتعد عن كل هذا ، وتتساءل الام الحكيمة في اول مرة امتنع فيها الطفل عن الاكل عن سبب الامتناع وتراقب بعد ذلك مباشرة برازه ، ويكون في الغالب غير طبيعي : اما ان الكمية تكون ضئيلة ويبدأ الطفل يتعرض الى امساك واما ان الرائحة تنبيء عن تأخر الفضلات في الطرد وان هناك عسر هضم ناشيء عن برد او عن تعب او انفعال. فبدلاً من ان تقاوم الام ارادة الطفل التي لم تنضج بعد فيجب ان تلجأ الى طبيب العائلة او تسعف ابنها بما يقضي على الامساك لتشاهد الطفل يطلب الطعام تحت ضغط الجوع كما تقضي الطبيعة الحيوانية .

وهناك معارك اخرى تنشأ عن تنظيف الطفل ، اذ يرفض بعض الاطفال الاستحمام وتتعرض الام الى صراع عنيف ، وكثيراً ما تتم العملية في جو مزعج وضجيج يصل صداه الى أسماع الجيران. والطبيعة تثبت ان عملية الاستحمام محببة لأنها تحدث راحة والشعور بالماء شعور لذيذ . وطريقة الضغط هذه تكرّه الطفل بالحمام والنظافة ، ويبقى هذا النفور الى سن الكبر. ونشاهد الغرائب في سلوك بعض الناس البالغين الذين لا يكترثون بنظافتهم بحجة كاذبة ان ليس لديهم وقت للاستحمام والواقع أن هناك عقدة ناشئة من الطفولة، لأن الام كانت مهملة في البحث عن الوسائل التي تجعل طفلها ينفر من الحمام . وهذه الوسائل بسيطة لا تتطلب بحثاً عويصاً لأن اغلب الامهات لا يعرفن تكييف الماء بالنسبة لجسم الطفل فاما هو حار يؤذي الجسم واما هو بارد يصدم الاعصاب. ففي كلتا الحالتين يشعر الطفل بصعوبة التعرض الى هذه المشاعر المقلقة لراحته. وكثيراً ما يحاول الطفل أن يفر من هذا الجو الحار المؤذي او البارد المقلق فتحقد الام وتلجأ الى السرعة وتضغط في الحك ، وهذه العملية تؤذي الطفل طبعاً وتزيد من أسباب النفور. ولا ننسَ ايضاً نفسية الام التي تكون مطالبة بتحميم اربعة أطفال مثلاً وتكون مضطرة الى القيام بهذه العملية الشاقة في يوم واحد وفي وقت واحد لكي لا تضطر الى تسخين الماء مرات عديدة في الاسبوع. لا يفوتنا هذا الموقف الذي يعطي بعض العذر للأم ، ولكنها لو اتبعت طريقة اللين وتكييف حرارة الماء وبدأت بغسل الاطراف مثل اليدين أو الرجلين الى ان يطمئن الطفل لدرجة الحرارة فان عملية الاستحمام تكون سهلة ويمكن للطفل ان يطلبها من نفسه. وفي سن الرابعة يمكنه أن يغسل نفسه بنفسه وتستريح الام من الكبير لتقوم بتحميم الصغير في جو مريح لها ولطفلها .

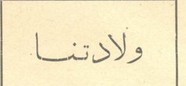
وأصعب المواقف في العناد بين الطفل وأهله تكون حول عملية النوم. اننا نهمل الطفل اهمالاً تاماً في السنوات الاولى ولا نخضعه لأوقات نوم معينة ، ويأتي يوم فجأة نريد من الطفل ان ينام لنتخلص منه لأي غرض من الاغراض ، ويشاهد الطفل استعدادات خاصة ويفهم أن ضيوفاً سيحضرون ويأكلون ويسهرون ، وفي هذا اليوم يفاجأ الطفل بطلب شاق يأمره بالنوم ، فالطفل يرفض وتحت الضغط يثور .

وفي ظروف اخرى شاهدت أطفالاً يرفضون النوم لأنهم يرغبون في مجالسة الاب الذي كان غائباً طول اليوم خارج المنزل ، ولكن الام تحت نفس الرغبة تريد التخلص من أطفالها وتحدث معركة تؤثر في أعصاب الجميع واعصاب الاطفال بطريقة اسهل واخطر ، ويكون النوم قلقاً ويتعود الطفل هذا القلق الأمر الذي يؤدي الى كره النوم .

وهناك امهات يطلبن من أطفالهن النوم بعد الاكل مباشرة ويكون الأكل دسماً بدافع التقوية وضمان الصحة الجيدة ، فيصاب الطفل بعسر الهضم ويتعرض الى أحلام مزعجة تربي الخوف في نفسه وتجعله يكره النوم ، ويقترن النوم بالصور المخيفة التي تحدث عن سوء الهضم وتصبح عملية النوم شاقة ويضطر الطفل الى طلب امه مرات عديدة بالليل ويؤدي ذلك الى احتجاج من طرفها لا يفهمه الطفل. وتكتفي بعض الامهات بلوم الطفل وتأنيبه على عدم النوم وتكرر الجملة « نام بلاش دلع » والله يعلم في أي حالة نفسية يكون الطفل من الخوف .

والخلاصة انه لا يجوز لنا أن نفرض وجود ارادة قوية عند الاطفال تدفعهم الى العند والعصيان ، ولا بد في باديء الامر من البحث عن أسباب الفعل وعن دوافع امتناعه. وبذلك يمكننا ان نتفادى مواقف العصيان وما ينشأ عنها من حدة انفعالية لدى الطرفين. ويجب على الام ان تزود نفسها بمعلومات عن مباديء الصحة لتفهم بنفسها اسباب العصيان والا سارعت الى أقرب طبيب ليرجع الامور الى ظروفها الطبيعية بدلاً من التعرض الى اخطار الثورة .

القاهرة أبو مدين الشافعي



بقلم صدر الدين شرف الدين

°°°

ولادتنا

ولادة[1] هذا الانسان العجيب تكررت مراراً كثيرة ، بعد وفيات كثيرة ، فهي في المجتمع ، وفي الشعب ، مثلها في الفرد بفارق واحد : هو أنها في المجتمع تطول ، وفي الفرد تقصر. بناء على هذا لم تكن ولادتنا الاولى على يد آدم هي الأخيرة .

✲

في عتمة التاريخ لفظ المجتمع البشري الأول أنفاسه ، او لفظ مجتمع هذه الرقعة من شرقنا الادنى انفاسه ، فالهند والصين القديمتان تزعمان أنهما نجتا من مخالب الموت يومذاك .

ولم يدفن ذلك العالم المجهول كي نستخرج آثاره ، او نستنطق (عظامه) — انتروبولوجيا — ، فقد قدم للاسماك والحيتان ، وارسل من اجوافها الى قبر ابدي .. الى فناء مطلق !

✲

كان المجتمع الآثم المسكين يعالج سكرات الموت في تلك الظلمات الموحشة .

وكان الحياة العنيدة ترسل أشعتها من اقصى الطوفان[2] .

فوق الأنين الصامت .. المخنوق في الاعماق ، زغردت الحياة العنيدة في (سفينة نوح)[3] وهي تستقبل ولادتنا الثانية .

فوق الماء نولد ابدا . وعلى الرفاة ندوس ابدا .

ومن البكاء نضحك أبدا .

✲

الطوفان كان خطاً بين عالمين منا : عالم مضى ، وعالم جاء عالم مات ، وعالم ولد .. كان الطوفان ستاراً ارتفع عن تغيير مشهد من مشاهد مسرحيتنا البشرية .

ونوح هو ابونا الثاني . صنع (السفينة) مهداً ، وكان فألاً حسناً كان اماناً من الغرق ، ورمزاً للانتصار ، بل كان قهراً للطبيعة قارن ولادتنا الثانية ، فاذا هي ولادتان !

كانت السفينة جسراً لا للعبور فقط ، بل للاعتبار كذلك .

✲

« وقيل : يا ارض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقضى الامر » .

فاذا برزت التلال ، ولمعت اليابسة ، وذُعرت الحيتان ، ترنحت السفينة ، ومالت على نفسها ، ثم ألقت ثقلها فهبط الرواد !

« .. وبعداً للقوم الظالمين »

رددها (نوح) — وهو يتنفس الصعداء — حين غادر السفينة على (الجودي)[4] وذهب يؤسس ويبني .

خرج (ببذوره) القليلة يغرسها ، وصوفته الصغيرة يغزلها ، الى دنيا خالية ، ولكنها لم تكن موحشة ، لقد كانت مطمئنة بالفراغ من الانسان !

غرس بذوره في (مشتل) ، ثم نقلها منه (سوقاً) .. أغصاناً وغرزها هنا وهناك . وكانت الارض عجيبة الخصب . كانت كالارض الافريقية مجنونة العطاء . احطابها تنقلب غابات كثيفة في سواد ليلة !

وغزل « صوفته » خيوطاً دقاقاً مريرات الفتل ، ولفها حول مكوك ساحر ، واندفع المكوك يذهب ويجيء طي النول بجنون كجنون المصانع !

ولم يمض كبير وقت حتى امتلأت دنياه ، وغصت ، واستوحشت ! شعوب لا يقع عليها الحصر ، هامت على وجوهها ، بعضها يهزم بعضاً ، وبعضها يفر من بعض .

✲

ما تزال الدنيا محتاجة الى تطهير ، ما تزال محتاجة الى (طوفان) !

ولكن الطوفان ظل غائضاً ، بعضه في اعماق الارض ، وبعضه في اطباق السماء ، لم يغر (تنور) ولم يندفق جو .

نعم امتدت عتمة أخذت تنتشر ، وما لبثت أن عادت

---

(١) من كتاب جديد يقدم للطبع قريباً بعنوان : « فجرنا العربي »

(٢) كان ذلك — عند المسعودي — يوم الجمعة ١٩ آذار عام ٣٣٧٦ قبل الميلاد

(٣) في الكشاف : صنع نوح السفينة في سنتين . طولها ٣٠٠ ذراع هاشمية — متر — وارتفاعها ثلاثون . خشبها ساج . بناؤها ثلاث درجات : الاولى للانسان ، والثانية للحيوانات الاهلية ، والثالثة للحيوانات البرية ، وقيل : طولها ٢٢٠٠ ذراع ، وعرضها ٦٠٠

وفي البداية والنهاية لابي الفداء اقوال لابن عباس والحسن البصري والثوري تختلف في التقدير وتتفق في تأسيس السفينة .

ويقول المسعودي : أقام نوح في السفينة خمسة أشهر ، وكان معه عند خروجه منها جسد آدم وابناؤه : سام وحام ويافث ، وازواجهم ، واربعون رجلاً واربعون امرأة ، وزاد العدد غيره .

(٤) هو جبل في الموصل ، وقيل بل هو جبل ارارات في طرسوس .

ظلاماً أخذ يتقدم ... زحف وئيد رهيب يبتلع الكون كله ، فلا تشبعه الاودية والجبال ، ويغطي العقول والالباب ، فلا يكتفي باطفاء النجوم والكواكب .

ليل اعمى .. ضرير .. شرس . عشرات القرون حزمها بيد وحشية والقاها الى أرهب من اجواف الحيتان !

رماها للفناء مجففة منتنة !

وحش ذلك الليل !

اما الحياة العنيدة فكانت أقوى منه .

كانت تصنع عشها هذه المرة في (مكة) على ربوة حمراء ، وكان في العش (أم) طريدة[1] تزق طفلها وحيدين في صحراء تجدب الا من عين ماء !

٭

كان المجتمع يعالج سكرات الموت في تلك الظلمة الموحشة . وكانت الحياة العنيدة ترسل أشعتها الذهبية من (زمزم) . فوق الأنين الصاخب هذه المرة .. الهادر في جنبات الليل ، أطلقت الحياة العنيدة هتافها من جوف (الكعبة) ، وهي تستقبل ولادتنا الثالثة .

فوق الماء نولد ابدا . وعلى الرفات ندوس ابدا
ومن البكاء نضحك ابدا .

٭

كان الليل الوحش خطاً ثانياً بين عالمين منا : عالم مضى ، وعالم جاء ، عالم مات ، وعالم ولد . كان ستاراً ارتفع عن تغيير مشهد من مشاهد مسرحيتنا البشرية .

واسماعيل ابونا ، ابو الامة العربية الثالث . انه ابونا بالتغليب وابو نصفنا او ثلثنا بالتحديد[2] . صنع لنا السرج ، وبرى لنا النبل ، وكان فألاً حسناً ، كان فروسية في مواجهة الهول ، واستخداماً للعقل في حفظ النوع ، وتحصين البقاء بل كان انتصاراً على الخوف بأمان الآلة .. بما تحدثه الالة من طمأنينة ازاء العدوان المتوقع ، وكان انتصاراً على الجوع بما توفره الآلة من كسب .

٭

ثم لم يمت المجتمع بعد اسماعيل بيمنه ، ولكنه عانى معركة موت وحياة ، وكانت ضارية . أضرى معركة يمكن أن تدور ، وكان النصر للحياة الباسلة .

لبنان — صور صدر الدين شرف الدين

(١) حكاية هذه الام مفصلة في غير هذا الفصل من الكتاب .
(٢) يتضح هذا في الفصول الآتية .

مساء الخير يا جدعان

بقلم بدر نشأت
من رابطة النهر الخالد

°°°

— جبت الصنف ؟

لم يجب مدبولي ومسح المكان بنظرات سريعة خاطفة وانسلت يده الى جيبه واخرجها بورقة مفضضة صغيرة في حجم عقلة الاصبع ، وتركها بين اصابع توفيق في خفة وهما يسيران في زقاق السقا ..

الدنيا ظلام ، والزقاق معتم ضيق ، يفوح برائحة كريهة لعلها رائحة الزيت المغلي آتية من محل الطعمية والفول في اول الزقاق مختلطة برائحة النفايات ومياه الغسيل القذرة التي القيت من النوافذ الواطئة على جوانب الطريق .

الطريق يتعرج ويتلوى ويشع من حانوت الحاج سيد الاعمش ضوء هزيل يلمع في رقعة المياه الكبيرة امام مدخل الحانوت .. وفي جدار بيت ام علي التصقت عربة يد صغيرة وظهر فوقها جسد مسعود وهو نائم يشخر وقد تعرت ساقاه وانزوى الجلباب فوق بطنه .

وخلف بعض الشبابيك يضوي بصيص انوار كابية ، وصوت امرأة ينبثق في الصمت الساجي فجأة . ثم يتلوى بضحكة مائعة تتراخى بغنجة ، فتثور اعصاب الصديقين وتسري فيهما رعشات غريبة ، ويغرس مدبولي ذراعه في جنب توفيق ويهمس في لؤم : صاحبك شايف شغله !!.

فتنفجر من فم توفيق ضحكة لعينة صدئة تعوي في انحاء الزقاق الصامت ، وبعد سكون قصير يقول مدبولي في تحسر : يعني الواحد مش حيلاقي له جوازة ؟

ويرد توفيق متهكماً : هيء .. جوازة .. هو احنا لاقيين ناكل .

ثم ينظر الى مدبولي نظرة واجمة طويلة تسري فيها معان كثيرة ، ويلوذ بالصمت ... وتنبسط عليهما سحابة من الوجوم وهما يتابعان السير ويتجنبان رقع المياه اللامعة في ارض الطريق ..

وحين يجتمع الصديقان ببقية الرفاق في حجرة عبد المتعال على السطح وتهبط ضجة السلامات والتحيات يتهالك على الكنبة الاسطنبولي في مواجهة الباب ويجذب توفيق احدى الحاشيات الصغيرة ليسند اليها ذراعه ، وتتعالى من ارجاء الغرفة اسئلة الرفاق المختلفة عن الصنف ، بينما يكون محمود قابعاً على ركبتيه

في ركن الغرفة ينفخ في نشاط واصرار في جمرات النار وقد احتقن وجهه وجحظت عيناه ، وعبد المتعال في منتصف الغرفة منتصب القامة يعمل للحجر (تخشينة) من ورقة صغيرة نزعها من احدى (باكوات المعسل) .

وبعد برهة اخذ يختبر (الجوزة) بعد ان ملأها بالماء ويجذب منها انفاساً متعاقبة ، فيعبق مذاقه برائحة الدخان القديم العالق بجوف (البوصة) ، وتكركر (الجوزة) وتضطرب فيها المياه وتحدث صوتاً ينسل الى تلافيف عقله ، فتتراخى اطرافه وينبسط وينتشي على الفاضي .

ويسأل الرفاق عن الصنف ويلحون ، وبعد ان يطمئن توفيق الى انه قد اثار لهفة الرفاق يمد يده في بطء ويخرج اللفافة المفضضة العجيبة ويرسم على شفتيه ابتسامة بطل فتتجمع عليها العيون وتتنقل اللفافة من يد الى يد وتنزل من انف الى انف تلاحقها التعليقات المختلفة حتى تصل الى يد عبد الصمد الذي يقلب الصنف بين اصابعه ثم يرفعه الى انفه ويسحب منه شمة عميقة وتتلبد ملامحه في تفكير ووجوم .

وتتجمع اللهفة على وجوه الرفاق وهم يترقبون الرأي الاخير على وجه عبد الصمد بينما يكون مدبولي منخرطاً في حديث طويل مغالياً في مدح الصنف وتلفيق الاساطير عن جودته وعظمته ويشاركه في ذلك توفيق من باب المجاملة او على سبيل الاشتراك في احضاره وحمله جانباً من الطريق .

يقول مدبولي : حتة بنج ، مفيش بعد كده ، دا جمال رفعت ضابط المباحث ما يشربش غير من الصنف ده ..

فتسري في الجماعة انفعالات مغالى فيها .. ترتفع الحواجب وتبزغ العيون ويهمس احدهم في صوت غليظ متعجباً : يا سلام !!

ويقوم عبد الصمد ليرّص اول (كرسي) فيفترش الارض ويخرج من جيبه مدية صغيرة وينحني عليه توفيق ويصيح فوق رأسه : مية مسا يا بو عبده ..

ثم يتجه توفيق الى النافذة المغلقة ويفتحها ، فيهب من الظلام هواء رطب منعش ويعلو في السكون الشامل صوت نغشة الفراخ من عشة مجاورة ... وصوت وابور غاز يوّش في نغم مستمر من الحجرة المقابلة ...

وحين يستوي عبد الصمد على قدميه ، والجوزة بين يديه والبوصة في فمه يسحب منها نفساً عميقاً اثناء قيامه ، ويظل يجذب هذا النفس وهو يلف بجسده نصف لفة في منتصف الغرفة ، ثم يعتدل ليخرج من أنفه شريطين طويلين من الدخان الرمادي الكثيف .

ويقترب من محمود اول الجالسين على يمينه ، فينزل امامه على احدى ركبتيه ويحول وجهه الى الرفاق ويقول بلهجة عتاب جدّي واجفانه نصف مسبلة .

— مساء الخير يا جدعان .. ما توحدوه امال ?...

وتصدر من الجماعة بعض الهمهمات والحركات ويعتدل بعضهم في جلسته ويقول عبد المتعال : هو عثمان ما جاش ليه ?..

فيرد محمود — يمكن بيذاكر يا اخي ..

— يذاكر ! يذاكر ايه ? دي الليلة ام كلثوم ... هيّ الساعة بقت كام معاك يا مدبولي ?

— تسعة ونص .

— طيب ما تقوم تقول لجابر يفتح الراديو .

ويسرع مدبولي الى النافذة الصغيرة فيمد جسده منها ويصيح : جابر .. جابر .. والنبي تعلي الراديو احنا كلنا فوق ، وتبقى تيجي شوية ..

ويتعالى من الحجرة سعال شديد متعدد ، بينما يضج الزقاق بصوت الراديو الصاخب من محل بقالة النجاح ، وتسري في الجو نغمات هادرة تهز اركان الزقاق الضيق .

وما ان ينتهي عبد الصمد من المرور بالجوزة على الصف كله حتى يطرق الباب طرقات سريعة مفاجئة ، فيتسمر الخوف على الوجوه ، ويذهل الرفاق ويغشاهم وجوم غريب ... وتمضي برهة قبل ان ينبثق صوت عبد المتعال صاحب الحجرة قائلاً في بحة خاطفة : مين .? — انا عثمان .. افتح .

وتتراخى الاعصاب ، وتهدأ الجماعة وتنطلق بعض التنهدات ويدخل عثمان ويلقي السلام فيضرب محمود كفاً بكف ويقول بحركة تمثيلية : يا خيّ افتكرناك المباحث ، جاك نيلة ...

ويلقي بجملة (جاك نيلة) مقلدة نغمة ماري منيب في تمثيليات الريحاني ، فيضج الرفاق بضحك صاخب متواصل ، لا تبعثه هذه الجملة فيهم ان كانوا في غير هذا المجال .



وتهدأ الجماعة الا توفيق الذي يظل يضحك ويضحك حتى تدمع عيناه ، ثم ينقلب الضحك الى سعال حاد تكاد تزهق منه أنفاسه ، بينما يكون عثمان قد أخذ مكانه بين الجماعة وهو

يبتسم في تكلف ...

ويقعي عبد الصمد فوق الارض الى جوار اناء الجمرات ليرص "(الكرسي) الثاني ، ويتحدث عبد المتعال مع عثمان في السياسة ، ويشترك معهما توفيق ، ويميل مدبولي على محمود ويتهامسان ... يسأله مدبولي في صوت منخفض :- انت رحت فين بعدما رجعت من الورشة ؟ انت زعلان معاهم في البيت ؟

فيرد محمود دهشاً : ليه ؟

— اصلي قابلت امك عند جابر البقال النهار ده المغرب ، وسألتها عليك ، قالت لي ، ما شفتوش ، داهية لا ترجعه ...

فتلتوي ملامح محمود وهو يقول : والله يا مدبولي ، دي حاجة تضايق ، والواحد مش عارف يلاقيها منين والا منين ؟ العيشة بقت زفت ...

ويرد مدبولي : بس الواحد يطوّل باله ، دي امك برضه ، أي حاجة ترضيها ، ومفيش أشد من غضب الوالدين .

ولم يقل محمود شيئاً ، وظل عابس الوجه . وحين جاء دوره ومرت عليه الجوزة جذب منها نفساً سريعاً قصيراً أخرجه من أنفه ثم اعقبه بنفس آخر طويل واعتدل في جلسته ، مسنداً رأسه الى الحائط ، وترك النفس يخرج في هدوء ولذة ملتوياً ضائعاً .

وكان عثمان ينقل نظراته وأفكاره بين الرفاق ، ولما وصلت اليه الجوزة واستقر اول نفس في جوفه ، انشق ثانية الى الخارج متقطعاً مع سعال حاد اهتز له جسده مرات ..

وكان الراديو في الخارج قد ابتدأ يعصف باصوات تصفيق حاد ونغمات موسيقية يطغى عليها صوت المذيع وهو يصف ثوب ام كلثوم ووقفتها وحركة المنديل بين يديها .

وابتدأ الرفاق يتكهنون بما ستغنيه ام كلثوم في هذه الليلة ، قال عثمان : حاتغني يا ظالمني ، علشان الاغنية دي جديدة ، ومقالتهاش غير مرة واحدة .

بينما قال مدبولي : لا ، يمكن تغني جددت حبك ليه .

وحين ابتدأت ام كلثوم في الغناء ، واخذت تردد ، يا ظالمني يا هاجرني . أخذ الرفاق يهدأون رويداً حتى استكانوا ، وتوحدت مشاعرهم في الانصات لام كلثوم ...

وكان عبد الصمد صامتاً منتشياً ، يحرك رأسه مع النغمات في تأثر بالغ وهو يرص (الكرسي) الثالث في ركن الغرفة .

وانفتح الباب ودخل جابر البقال ، فتعالت التحيات والسلامات ، واسرع جابر يجلس على حافة الكنبة بين محمود ومدبولي ، فابتعد محمود قليلاً ليفسح له مكاناً ، بينما رفع مدبولي ذراعه ، فاحتضن جابر ومال به الى الامام وهو يغني بصوته الاجش قائلاً مع ام كلثوم : واقضي العمر أتمنى ...

وأسرع عبد الصمد يحيي الضيف الجديد ، ويقدم اليه الجوزة فأخذها جابر في لهفة وبدأ يجذب منها انفاساً سريعة متعاقبة ، ثم انتصب واقفاً يهم بالعودة ويقول انه قد ترك المحل لوحده .

وطلب منه الرفاق ان يأخذ نفسين آخرين ، لان التعميرة تمام والمجال صحّ ... الا ان جابر انفلت يعدو على السلم في خفة كما صعد .

وكانت ام كلثوم قد ختمت احدى مقاطع الاغنية وعلا التصفيق والصفير وصيحات الاستحسان ، حين شق الهدير صوت انثوي رفيع ينادي من اسفل الحارة :

-- عثمان .. يا عثمان .

وشعر عثمان بالارتباك واحمر وجهه واسرع يطل من النافذة ليجد امه واقفة في الظلام تنادي عليه .. فانقبضت ملامحه وصاح غاضباً : طيب .. امشي انت وانا جاي وراكي اهوه ..

الا ان امه ظلت تناديه وابت ان تعود بمفردها ، فلم يجد الا ان يلقي السلام على الرفاق وينصرف ..

وفي الطريق ، قالت له الام بصوت دامع : يا بني الامتحان قرّب .. انت مش كنت قاعد بتقرا في امان الله .. نزلت ليه ؟ دانت نزلت من هنا ، وابوك رجع من هنا .. وعاديك عمل لي خناقة لرب السما .. وفتح علي صوته قد كده ، فين ابنك ، الساعة حداشر دلوقتي ، روحي شوفيه في انهو غرزة ، الواد ده قليل الادب ، صايع ، حشاش ، اخلاقه فاسدة .

وتلوت في عثمان احاسيس ثائرة حانقة ، فالى متى يفرض عليه زوج امه سيطرته ويسبه ويهينه من وقت لآخر .

وصاح عثمان : ايه القرف ده ؟ الراجل ده ماله ومالي ؟ طيب والله العظيم تلاته ، تعرفي ان قالي بم ، ليلته دي مش حتعدي على خير ...

وقالت الام ملتاعة : ليه يا بني ، معلهش ، علشان خاطري برضه الراجل قلبه عليك ، وزي ابوك .

وساد الصمت بينهما ، ومضى عثمان عابساً حانقاً الى جوار امه ، وصوت ام كلثوم يردد من بعيد ، يا ظالمني ، ويخفت ويتباعد كلما اوغلا في السير ...

القاهرة — بدر نشأت

الرمزية في الشعر

بقلم الدكتور بديع حقي

°°°

ليس من شك ، ان دراسة الرمزية* كتيار جديد في الشعر يستدعي مراجعة تاريخ ظهورها في آثار بعض روادها ، ويعنيني في هذا المجال ، ان ادرس هذه الحركة في الشعر الفرنسي ، فقد ألقيت تلك البذرة في تربة الشعر الفرنسي الخصيب ، فنجمت نبتة صغيرة ثم ربت ونمت وبسقت اغصانها ، وتفيأ في ظلالها ، مدارس وحركات شعرية شتيتة ولا تزال حتى الآن تبسط اوراقها ظليلة ، طرية ، تهتز للحياة .

غير ان استقراء هذه الحركة في الشعر الفرنسي وايضاً في الاصول التي قامت عليها لا يخلو من عسر ومشقة ، فلئن قدر للمدرسة الرومانتيكية ان تحظى بأصول مرسومة نافح عنها اتباعها ، فان الرمزية كحركة في الشعر بدأت متزايلة السير لا يعرف اتباعها انفسهم انهم رمزيون ، حتى لقد سمح فيرلين لنفسه وهو من روادها الاوائل ان يقول : « لتسقط الرمزية ، لا لست رمزياً » . ولعل السبب الذي يفسر ذلك ان الروافد الخصبة التي انحدرت الى الرمزية ، واختلاف نحيزة الشعراء الرمزيين وتباين امزجتهم وطبائعهم واضطراب شعرهم بين الوضوح والغموض جعل الاختلاف في اساليبهم ظاهراً فصعب الجمع بينهم في مدرسة واحدة ، فانت تستطيع ان تجد فروقاً ضئيلة بين اساليب الشعراء الرومانتيكيين او البرناسيين ، غير ان هذه الفروق ظاهرة بين اساليب الشعراء الرمزيين .

من هنا ، نجمت هذه الصعوبة في تحديد الرمزية وتعريفها ، مما اعده انا ميزة وفضيلة . الرمزية ليست حركة ذات قوالب جامدة ، وانما هي حركة طيعة ، تتلاءم مع روح الشاعر وتلين اصولها — ان كان ثمة اصول — لنفسيته وشخصيته . هي حركة نابضة بالحياة ، تجمع بين بودلير بحواسه المستوفزة ، وفيرلين بعفويته الحلوة ورامبو برؤاه الملتاثة ، ومالارميه بصوره وتهاويله وكلوديل بصوفيته العميقة ، وفاليري بصفائه وعنايته باللفظ وفيرهارن بوصفه للحياة : وسامان بعفويته . ومع هذا ، فيمكننا ان نقول : ان الشيء الذي يجمع بين هؤلاء الرمزيين كلهم هي عنايتهم وكلفهم بالموسيقى التي تنتظم شعرهم . يقول فاليري : يمكن ان نلخص الرمزية ببساطة « انها تلك النية المشتركة بين اسرة الشعراء في ان يعيدوا للموسيقى ثروتها وحقها » .

يمكننا ان نضيف الى ذلك ان الرمزية بغموضها هي اتجاه الى الداخل ، الى الاعماق ، الى اللاوعي ، يقول نوفاليس : « ان الطريق الغامضة تنتهي الى الداخل » .

ولم يكن ظهور هذه الحركة مفاجئاً . ان ثمرتها الطيبة لم تأت أكلها الا بعد ان حظيت ، حين كانت زهرة ، بنقلات مختلفة من جماعة النحل ، وهينمات سخية من النسيم ، توافيها باللقاح المطلوب .

كذلك تناهى الى الرمزية قبل ان تثمر ، نقلات افكار مبدعة . كانت فلسفة افلاطون ترى في عالم المثل رمزاً اعلى لعالمنا هذا ، وكانت الميثولوجيا اليونانية نفسها ترى في الآلهة نفسها رموزاً للصفات الكاملة عند الانسان ، فثمة إله الجمال وإله الحب وإله الحكمة ، وكلها رموز مجردة ، خلقها اليوناني القديم من خياله وقلبه ثم عبدها ونحتها تماثيل واجراها ملاحم واساطير .

تلك نظرات بعيدة تأدت الى الرمزية ، وجاء بعض الفلاسفة المحدثين كهيجل وكانت ، ليرفدوا الرمزية بألوان جديدة من تأملاتهم . حتى ليقول الناقد غي ميشو : « يعد كانت بنظراته

* محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق باشراف منتدى سكينة الادبي .

العميقة ممهداً للرمزية » .

وجاءت الرومانتيكية الالمانية لتتحدر بمفهوم الشعر من عالم الفكر الى الحياة والطبيعة فنقرأ لنوفاليس : « الشاعر هو نبي الطبيعة التصويري ، فالطبيعة ليست الا رمزاً وسيعاً ، وكل شيء كائن بين الفكر والمادة ليس الا علاقة بينهما » .

إن هذه العلاقات التي تربط بين الاشياء برموز وتجعلها وحدة متصلة قد حدت بـ«هوفمان» الى القول : «ليس في الحلم فحسب ، بل في اليقظة أجدُ وانا اصغي الى الموسيقى علاقة ووحدة بين الالوان والانغام والعطور » . وتتناهى فكرة العلاقات الى بودلير حيث يعتبرها جذع فنه الشعري ، كما سنرى في قصيدته (العلاقات) .

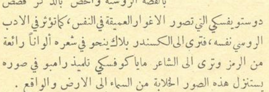
الفنون كلها اذن تتسلسل ، كما ترى الرومانتيكية الالمانية من نبعة واحدة ، فهي التي تجلو للانسان الحقيقة الكامنة في قلب الاشياء ، وهي تتناوب في التعبير حتى ليمكن ان نقول مع لودفيغ تييك : « لنجعل من الموسيقى افكاراً ولنفكر انغاماً » .

الى جانب الرومانتيكية الالمانية العميقة ، وفدت الرومانتيكية الفرنسية العاطفية المتدفقة ، تصحبها وعود قلقة من لامارتين في اصداء آلامه وومضات خاطفة من دوفيني في انكفائه على اغوار نفسه ، وترسّب الى الرمزية من كل ذلك دفقات خيرة حتى لقد قال بيير مورو : « ولدت الرمزية في قلب الرومانتيكية » .

الا ان مدرسة اخرى ، هي المدرسة البرناسية ، سبقت الرمزية وصاولت الرومانتيكية وناجزتها ونعت عليها عنايتها بالعاطفة السطحية المصحوبة بالزفرات والدموع . وقد تميزت المدرسة البرناسية بنزوعها الى الوصف الواضح الدقيق للطبيعة ، لقد كانت تضحي بالعفوية والموسيقا الشعرية امام كلفها بالتفاصيل . فالشاعر البرناسي ، كالمصور الفوتوغرافي لا تظهر في آثاره روحه ولا شخصيته ، انه يعنى بصوره فيجسمها ويجلوها ، بيد انه يظل بعيداً عنها ، ومن هنا جاء شعر البرناسيين جافاً قصياً عن حرارة القلب ودفء الاعماق .

واهلت الرمزية ، لا لتهدم البرناسية ، ولكن – كما يقول مكسيم فورمون – لتتممها وتضيف اليها ايماءات حلوة وتمنحها النغم الذي فقدته والدفء الذي احتاجت اليه وان تجعل صورها متحركة ملتاثة بعد ان كانت جامدة واضحة ، وما ننسى ان بواكير انتاج كبار الشعراء الرمزيين كفيرلين ورامبو كانت برناسية ، وان اقلامهم كانت غميسة بمداد الصور البرناسية حين فزعوا الى الرمزية ووجدوا فيها ضالتهم .

هكذا تغذت الرمزية من كل التيارات الفكرية والشعرية التي سبقتها او واكبتها ، وانها لتلتقي مع التيارات العلمية في الابحاث النفسية عن اللاوعي والحدس والايحاء فلا تصطدم معها ، بل تلين لها وتنضاف اليها ، وتؤيدها ، فنرى الى اللاوعي الذي كتب عنه فرويد واضرابه ، يدخله الشاعر الرمزي بعصاه السحرية فينفضه لنا شعراً رائعاً ويسبره العالم النفسي بعينه الناقدة الفاحصة يفسره ويجلوه .



الدكتور بديع حقي

وتتسلسل الرمزية من الشعر الفرنسي ، لتغمر بفيضها الادب الاوروبي كله وتتأثر بالروح الشرقية العميقة في آدابها واساطيرها المنقولة لتستمد منها وتتجاوب معها ، فترى الى رمزية انسانية كرمزية شاعر الهند رابندرانات . طاغور تلامح رمزية كلوديل ، وتتأثر الرمزية بالقصة الروسية واخص بالذكر قصص دوستويفسكي التي تصور الاغوار العميقة في النفس ، كما تؤثر في الادب الروسي نفسه ، فترى الى الكسندر بلاك ينحو في شعره ألواناً رائعة من الرمز وترى الى الشاعر ماياكوفسكي تلميذ رامبو في صوره يستنزل هذه الصور الخلابة من السماء الى الارض والواقع .

هكذا طاوعت الرمزية الواقع ولانت له ومتحت من الحياة واغنتها ، ولعلها لو لم تأخذ من الحياة وتهب لها ، لما قدر لها ان تعيش وان تدخل في الادب الانساني كله هذه الرعشة الجديدة .

لا بد لي ، بعد ان جلوت تاريخ هذه الحركة في الشعر الفرنسي ، من ان ازجي لكم باختصار مميزات شعر روادها العظام مع امثلة مقتطفة ، اتناولها ، في حذر وقلق ، فما احسب ان ترجمة الشعر الرمزي تتسق في يسر ، لأن النقل ينفي اهم

عنصر في الشعر : عنصر الجرس والموسيقا .

بودلير

لعل بودلير هو اول من فجر ينبوع الرمزية في الشعر الرمزي ، فخلق ديوانه « ازهار الشر » كما قال عنه فيكتور هوجو ، هزة جديدة في الشعر الفرنسي ، وقدم من الالوان والعطور والرؤى ، اكثر مما قدمته آلاف الدواوين مجتمعة ، فكأن بودلير برهافة حسه ولقانته وابداعه قد تيسر له أن يسحق ازهار الشر كلها ويستصفي منها خلاصة لا ينيعطرها يضوع ويذكو .

في هذا الديوان تنعكس حياة بودلير كلها ، بما فيها من ضعة وسمو ، من ألم عميق دفين وغبطة متدفقة جامحة ، من شوق الى المجهول وانطلاق الى عالم امثل ،تجد فيه المرأة التي عذبته واسعدته تجد فيه المجتمع السادر في الوحل والحمأ ،تلفي فيه الطبيعة تنفسح كغابة ملأى بالرموز والرؤى ،لقد تأثر بودلير بالشاعر الاميركي ادغار آلان بو ، فاستعار منه كثيراً من صوره الغريبة وكان ، مثله ، يرى في هذه الصور مفزعاً وانعتاقاً من الواقع ، فهي التي تنقلنا الى عالم امثل ، وتتم هذه النقلة بموسيقا الشعر المجنحة .

لقد وعى بودلير قيمة اللفظ وما تحتويه من اصداء والوان وعطور ، فجاء شعره مشحوناً برعشات عنيفة ،تتمثل فيها شهوة الجسد الغريض وحلاوة النغم المعربد ورجفة اللون الصارخ وعبق الرائحة الجارحة المسكرة .

يقول بودلير في قصيدته « العلاقات » .

الطبيعة هي معبد تنبت فيه اعمدة حية
تتناهى منها احياناً همسات مبهمة
ويجوزها الانسان عبر غابات الرموز
التي تلاحمه بنظراتها العطوف
وكالاصداء الطويلة التي تمتزج بعيداً ،
في وحدة غائمة عميقة
فسيحة كالليل ، كالنور
فان العطور والالوان والاصوات تتجاوب .

رامبو

يمثل هذا الفتى العبقري حالة فذة في تاريخ الشعر العالمي كله ، فقد بدأ يقرزم الشعر وهو بعد في الخامسة عشرة

الأديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 : Tél.

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير تحرير مكتب القاهرة : محمد يوسف نجم

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

من عمره ، وكانت آثاره الاولى تتجـاذبها الرومانتيكية والبرناسية ثم تحرر منها وانشأ اسلوباً جديداً في الشعر الفرنسي .

وفي السن التاسعة عشرة توقف في غمرة من اليأس عن النظم بعد ان احدث في الشعر الفرنسي والشعر العالمي المتأثر به اتجاهاً لا مثيل له ، ويعد بحق ابا الشعر الفرنسي الحديث .

ولنا ان نتساءل عن القوة العجيبة الخلاقة التي اوتيها هذا الفتى العبقري والتي تجعله في قرن واحد مع كبار شعراء فرنسا كان شعره ثورة حقيقية على القواعد المرسومة ، وكانت حياته العنيفة نفسها صورة صادقة عن هذه الثورة ، فقد لزم فيرلين وهام معه ، ثم انبت ما بينهما ، وتركه ليضطرب في كل مراد من الارض فكان لاعب سيرك فجندياً ، فنوتيـاً فمهرب مخدرات في افريقيا فبائع قهوة فتاجر اسلحة . ثم عاد الى وطنه حاملاً في عطفيه بذرة الموت ، وتخترمه المنية في مرسيليا دون ان يدري شيئاً عن شهرته التي ملأت الدنيا وشغلت الناس .

يمتاز شعر رامبو بتلك الصور الغريبة القلقة المتنافرة التي ترفع الذهن الى عالم جديد . كان خياله ينشط بهذه الصور حتى ليريك الجنة في اشراقات مفاجئة ويجلو لك الجحيم في ومضات ساحرة . وكان يتخيل ان للالفاظ اصباغاً ويتمثل للاحرف الواناً لخصها في قصيدة سماها الأحرف الصوتية Les Voyelles يقول فيها :

A, Noir. E, blanc. I, Rouge. U, Vert. O, bleu, Voyelles
Je dirai quelque jour vos naissances latentes.

وكتب رامبو « الاشراقات Illuminations » وفصلاً في الجحيم فاحدث ظهورهما ضجة كبيرة وتدارسها بعده النقاد والشعراء. يقول كلوديل : « لقد ردني رامبو الى الايمان وانا اقرأ الاشراقات » .

وقامت المدرسة السريالية (ما فوق الواقعية) في الادب الفرنسي دون ان تجانب كثيراً صور رامبو واوهامه وامتد تأثيره الى الشعر العالمي . يقول روبير كوفان احسن من كتب عن رامبو : «لو لم يكن رامبو لما كان في فرنسا كلوديل وايلوار ولما كان في روسيا مايا كوفسكي ولما كان في اميركا آمي لويل» .

مالارميه

جاء مالارميه وصرح الرمزية يكاد يكتمل ، فدعمه وامسك بمسح البناء الحاذق يرمم ما تداعى منه حتى استوى قوياً شامخاً فعد بحق معلم الرمزية الاكبر .

كانت احاديثه ، يوم الثلاثاء ، تتشقق فنوناً والواناً من المتعة الخصبة وتتدفق غزيرة ثرة لتغذي افكار جيل كبير من الشعراء وعلى رأسهم فاليري .

كان يرى ان الحقيقة تكمن في الحياة الداخلية ومهمة الفن ان يسعى اليهـا ويستشرفها من الاعماق . انصور الاشياء تترادف امـامه ، لتترك انطباعها كالنسيم الرخي اذ يمر فوق صقال الماء ويترك خلفه انطباعه ينداح دوائر تغيب وتذوب ويأكل بعضها بعضاً . ووظيفة اللفظ هي ان يطاوع هذه الصور في حركتها حتى تنفسح للشاعر آفاق الحلم اللامتناهية .

ان القصيدة كما يتصور مالارميه هي كالسيجارة يتلوى دخانها ، حلقة في اثر حلقة ، ويتهاوى رمادها بعد ان يحظى بقبلة النار النقية . ان الرماد هنا يمثل الشيء المادي الذي تتسامى منه فكرة الشاعر كما تتسامى حلقات الدخان ، وما دام هذا الشيء المادي ، هذا الرماد زائلاً فيجب ان يختفي في الاثر الفني ويبقى رمزه ، يبقى هذا الدخان المتلوي الصاعد

ولذلك ، جاء شعر مالارميه غامضاً ناشزاً على الفهم ولكنه زاخر بالموسيقا اللفظية الرائعة حتى لقد شبه احد النقاد قصائده بسمفونيات شعرية . وشعره ، على ابهامه ، متماسك . انه هندسة لفظية متناسقة ، يختفي وراءها جهده وعرقه ولياليه البيضاء في البحث عن اللفظة المناسبة .

واورد الآن مقاطع من قصيدته : نسيم بحري .

اللحم حزين ، اواه لقد تلوت كل الكتب .
فلأهرب ، لأهرب ، الى هنـاك حيث احس بان طيوراً سكرى .
ترفرف بين الزبد المجهول والسموات .
لا ، لا الحدائق القديمة التي تنعكس على العيون .
اواه ايتها الليالي ، لا ، ولا الضياء الخاوي من مصباحي والمنسرح على الورق الفارغ يناجزه البياض .
ولا المرأة الصبية التي ترضع ابنها .
تثني هذا القلب عن الانغماس في البحر .

في هذه الابيات ، وهي برأيي من اوضح ما نظم مالارميه يصور الشاعر اشمئزازه من الحياة العادية وعزوفه عنها بعيداً ، الى حيث يزهو فنه الخلاق ، منتشياً كالطير بين البحر والسماء لا شيء يصده عن الدخول الى البحر الى الاعماق ليستلهم منه ، لا الطبيعة المعلقة بنظراته ولا بياض الورق الذي يصد ريشته ولا الحياة العادية العائلية تتبدى في صورة امرأة ترضع ابنها .

فيرهارن

هو اكبر شاعر بلجيكي . ولعله اعظم الشعراء الرمزيين الذين استطاعوا ان يصفوا الحياة ويلتزموا تصوير الواقع في شعر رمزي ساذج معبر ، لقد جلا حياة المدينة بصخبها وقسوتها وطغيانها ، ونفذ الى اغوار النفس الانسانية بافراحها وتعلاتها واحزانها فهو يمثل الرمزية الاجتماعية كما يقول عنه غي ميشو،انه المثل الاعلى للشاعر الرمزي الذي لا يتعلق بالاوهام البعيدة وانما يفيء الى الحياة نفسها ويأخذ عنها . فجاء شعره وكأنه يسري في دمه وبواكب وجيب قلبه . وانه ليصف نفسه حين يستلهم الشعر فيقول : « حين افزع الى النظم فان اقطار جسمي تهتز وتتألم وتنتشي ، وتتمشى الاوزان في عضلاتي واعصابي » . وشعره يتسم بغموض لطيف شفاف ، انه دعوة وايماءة وتلويحة من عاطفته المتقدة الصادقة الى الحياة .

يقول من قصيدة له « حين تغمضين عيني »

حين تغمضين عيني في النور
قبليها طويلاً . فانها سيمنحانك
كل ما هو سبيل الى الحب المتقد
في النظرة الاخيرة من جذوتها الاخيرة
وفي بريق الشعلة الخامدة
احني لوداعها وجهك الجميل الحزين
حتى تنطبع وتخلد فيها الصورة الوحيدة
التي يدخرانها الى القبر
واما مضيت بقلبي بعيداً
قلبي الذي يحتفظ بشعلة قوية
فان الموتى سيشعرون بوقدتها
عبر الارض الصلدة الميتة .

***

اقتصر بما ذكرت من دراسة مميزات اكبر رواد الرمزية وقد آثرت هؤلاء بالعناية لأن كلاً منهم يمثل طابعاً خاصاً يتميز به وكنت اتمنى ان اتناول بالدراسة رتلاً كبيراً من الشعراء الرمزيين كفيرلين ورينيه وفاليري وكلوديل وغيرهم الا ان الحديث عنهم يتجاوز ما قدر لي من وقت في هذه المحاضرة ، ثم ان اكثرهم قد تمم هؤلاء الرواد وكرر صورهم والوانهم . فشعر فاليري مثلاً هو نتيجة رائعة ساحرة لشعر مالارميه في عنايته بتنخل الفاظه وتماسك اسلوبه ونقائه وغموض معانيه .

يطيب لي ان امثل بناء الرمزية في هذه الصورة الجامعة : لقد وضع بودلير اللبنة الاولى في الرمزية وارتفع البناء على اعمدة من الموسيقا والضباب كأسطورة فاتنة ثم اتى فيرلين فمنح هذا البناء وهو يغيب في متاهاته دفء عاطفته وانغام قلبه ، ورواد رامبو حواليه فزوّق جدرانه بصوره الغريبة ووميض لشراقاته وبث فيه فيرهارن الحياة فسعى الناس في جنباته يسعدون ويشقون وفسح له البير سامان السماء وزرع فيها النجوم وغنى في حناياه هنري دورينيه غناءه العذب الناعم ، واغرى غوستاف كان الحسان الرعابيب يتنقلن فيه بخطى جديدة ، خطى الشعر المرسل ، واحاطه فرانسيس جيمس بحديقة يحلم فيها بالريف والطيور والحياة الساذجة البسيطة وجاء مالارميه وفاليري ليجلو للناس القواعد الهندسية العقلية التي قام عليها البناء ، وبنى فيه كلوديل معبداً يصله بالنرفانا ويترنم فيه باغانيه الدينية العميقة وانشأ فيه ماترلنك مسرحاً تلعب فيه بدلاً من الاناسي رموز واساطير .

ولا يتسع الوقت للتحدث عن الجداول التي تفرعت عن نهر الرمزية الكبير في الادب الحديث وانما اكتفي بلمحة وجيزة عن السريالية وهي مدرسة انبثقت عن الرمزية ، وتعتمد على تعاقب

الصور الغريبة في الخاطر وتسجيلها دون اي تمحيص . انها ترتفع وتحتوي الحياة وتتجانف عن الواقع فهي فوق الواقعية . فقد انشأت هذه الحركة بناءها فوق السحاب فهي اكثر من الرمزية التواء وغموضاً ، ومما لا شك فيه انها تحدرت من رمزية رامبو الغريبة العجيبة وقد قويت واستمسكت اصولها في اعقاب الحرب الاولى ولعلها نشأت كرد فعل لمآسيها ، واعظم من اخذ بمدرجة هذه المدرسة ايلوار واراغون . الا ان الحرب الاخيرة قد شدت هذين الشاعرين الكبيرين الى الحياة ، الى الواقع ، واستنزلتهما من السماء الى الارض ، فظل جناح لهما يلعب في الفضـــاء وداعب الجناح الآخر التراب ، فقد بقي لهما تلك الصور الآبدة من السريالية ، الا ان نسمة الحياة والواقع والحقيقة دبت فيها لتنضح وتشرق .

***

بعد ان تكلمت عن الحركة الرمزية وتاريخها وسقت طرفاً من مميزات شعر روادها ، اعود لادخل غابتها الملأى بالظلال واجلو الاصول التي تقوم عليها ، ولقد ابديت رأيي في الشعر الرمزي كما احب ان افهمه في المقدمة التي صدرت بها ديواني « سحر » عن فن الشعر ، واراني مضطراً ان اجمـل نظرتي واضيف اليها بعض الخطوط ايضاحاً وتفسيراً .

إن امام الشاعر هذه المنابع الثلاثة للوحي : النفس والطبيعة والحياة . فكيف ينظر اليها الشاعر الرمزي ؟

النفس

النفس الانسانية لغز معقد ، يحتاج الى يد لبقة صناع لتسبر اغواره وتجلو ما يصطرع فيها من بدوات ونزوات . النفس ، كالبحر ، اذا رأيت اليه يمتد منبسطاً وينسرح النظر في مداه البعيد ، فلا يرى الا زرقة تجاذب زرقة ولا يلمح الا مداً يناوحه جزر وموجة تأكل موجة . ولكن هناك الاعماق التي لا يقدر النظر ان ينفذ اليها ، هناك الاعماق التي يمور فيها التيار وتنسرب فيها الاسماك والحيتان وتلتقي فيها الصدفة التافهة باللؤلؤة النضرة .

وكذلك الشاعر حين يمد بصره الى النفس ، انه لا يجتزىء بما يصافح عينيه ، ولكنه يغوص الى الاعماق ، الى اللاوعي ، وفي هذا المضطرب الوسيع يصطبغ شعره بالوان حائلة ويمتح من الرعشات الدفينة ليكون مبهماً رمزياً .

وليست مهمة الشاعر ان يريق النور على فكرته التي ظفر بها ، ولكن ان يحياها ، انه يترك هذا الجهد للعالم النفسي الذي يستشرق مثله اعماق النفس ، متكئاً على منطقه البارد ليستنتج ويحلل ويسفح فوق طريقه النور .

الطبيعة

يجيل الشاعر بصره في طبيعته ، فتتبدى له ، كما تبدت لبودلير غابة ملأى بالرموز ، تتعانق فيها الظلال ، ويشتبك فيها اللون والنغم والعطر ، لتكون كلا متحركاً مفعماً بالحياة . ان وراء كل مجلى في الطبيعة سراً يشير ويومىء ، وعلى الشاعر ان يبحث عن هذا السر ، فالشاعر هو الذي يتأمل ، كما يقول اندره جيد « وماذا يرى ؟ انه يرى الجنة نفسها ، فالجنة مبثوثة في كل مكان ، وينبغي ان لا نحفل بالظواهر البادية ، فالظواهر غير كاملة ، انها تغمغم بالحقائق التي تعكسها وما على الشاعر الا ان يعي هذه الحقائق ثم يقولها باسلوبه وطريقته ، والعالم ينظر ايضاً الى الطبيعة ويبحث عن القوانين التي تنتظم حوادثها ولكنه يجلوها باسلوبه الواضح البين » . ان وراء الظواهر المختلفة ، كما يقول مالارمه ، يوجد تعبير خفي ، وما على الشاعر الا ان يمس هذا التعبير وينفضه بألوانه الاصيلة الاولى .

الحياة

وتتدفق الحياة بمشاكلها وواقعها امام الحياة ، ولكن الشاعر ليس عالماً اجتماعياً يحلل ويشرح ويحدد العلة ، بل يصف الحياة الهادرة الخيرة ، انه يشير ويومىء ، فيمنح للبؤس صوراً من الظلام ، ويجنح آمال الشعب وأوهامه ويرمز لقسوة الواقع المرير .

الرمزية تلين للحياة ، السعيدة او الشقية ، انها كما يقول فيلي كريفان ، تتلاءم مع لحظات الليل والنهار ، المتغيرة دوماً ، انها خصبة غنية كالموجة والنار ، زاخرة خيرة كالارض ، عميقة شهوى كالسر الغامض .

ولعل فيرهارن اعظم من نفذ بين الرمزيين الى الحياة فجلاها في صدق وحرارة .

هكذا يغيب الشاعر في استغراقه ، يطوف حول منابع الوحي الخالدة : النفس باحلامها واوهامها . الطبيعة بصورها وتهاويلها ، الحياة بواقعها ومشاكلها ، انه كتلك الفراشة التي تعشق النور وتطوف حول المصباح وانه ليغرف من منابع الوحي معانيه السرية ثم يسكبها قصيدة خالدة كما تسكب هذه الفراشة ظلها الوسيع الذي يحبو على الارض .

حول المصباح، بعوضة تهوّم مسفة، مصعدة، انها لا تترك ظلّاً يدل عليها، انها كبعض الشعراء الذين يحومون حول تلك المنابع الثرة من الوحي ثم يعزفون عنها فرقاً وعجزاً، ولا يتركون وراءهم ظلّاً يشي بان هناك حياة تعيش وتتحرك وتتجدد

الرمزية والموسيقا

ان الموسيقا التي تتسق في الشعر هي «السحر» الغريب الذي يقود الشاعر الى اغوار النفس، تلك الجنة المخضلة بالاخيلة ويفسح للشاعر طبيعة رائعة فيرى الى صورها كيف تتزوق لعينيه والى عطورها كيف تضخ مواعيده، والى انغامها كيف تركب غوارب حلمه الحبيب. ويشد الشاعر الى الحيـــاة ليجلو مشاكلها ويفصح عن امانيها ويترع غدها بدفقات من الامل الباسم.

فالموسيقا تفتلذ جناعاً ناعماً وتبسطه في فضاء الخيال فتوقظ الذكريات وتهز الوجد والحنين وتنقل السامع الى عالم رحيب.

والموسيقا بالحانها ونغماتها المتساوقة مقتبسة من الطبيعة وان بدت من عالم غريب عنها. فالموسيقي لا يقدر ان يخلق نغمات جديدة لا تجد لها مكاناً في السلم الموسيقية. مهارته هي في ضم هذه النغمات وتنسيقها دون ان يشي طبيعته، فيأخذ منها ويصعده ويتمثله في اعماقه، مهارته ليست في تقليد الطبيعة وانما في ايجاد نغمة تفسح امامه صورة مناسبة لها، فلا يمكن ان يكون هزيم الرعد في الطبيعة وفي السمفونية الريفية لبيتهوفن شيئاً واحداً ولكن النغمـة المناسبة لهزيم الرعد في هذه السمفونية تخلق في خيال السامع صورة مقارنة لهزيم الرعد الحقيقي فكأن هذه النغمة رمز الرعد وصورة مجردة له. كذلك يفيء الموسيقي الى اعماقه فيصور ما يجيش فيها من مرارة وحب وشك ويستعير نغمات مناسبة لها، يستعير رموزاً صوتية.

وكما ان الموسيقا هي تصعيد لما في الطبيعة من اصوات، بعد تنسيقها على نحو ما، فان الشعر هو تصعيد للكلمات بعد تنسيقها، او هو كما يقول فاليري: «لغة جديدة في اللغة نفسها» والموسيقا في الشعر تتسق في الالفاظ والاوزان المنتخبة.

مهمة الالفاظ

ان اللفظ في الشعر، يقترب من الموسيقا ويؤدي مهمتها في اشاعة النشوة وبث الرعشة. واللفظ في الاصل، هو اصطلاح صوتي يرمز الى شيء، وحروفه هي مجموعـــة من الاصوات الصغيرة التي تخلق هزة جديدة ان عرف الشاعر ان يجمع بينها على نسق يلائم المعنى الذي قصد اليه. فالمعاني ليست كافية وحدها في الشعر. لانها ان لم ترتد ما يناسبها من الانغام فان النثر بها اجدر. وعلى اللفظ حين يزجي المعنى المتداول المحبوس فيه ان يبذل في جرس حروفه صوراً ممتدة تتمم معناه المعروف المبذول وتضيف اليه حياة.

ولعل المعنى وهو يتسق في اللفظ كالعطر الذي يكمن في البرعم، قد يكون الشوق اليه قبل ان ينوّر البرعم في قرن واحد من النشوة مع طيب شميمه. الم يقل فاليري: «ينبغي ان يختفي المعنى في القصيد كاختفاء قوام الغذاء في الفاكهة، فالفاكهة وهي غذاء، لا تتبدى لنا سوى متعة ولا نستجلي منها سوى لذة، غير اننا نتلقى منها في الحقيقة مادة مغذية، فيواري التشهي والاستطابة ذلك الغذاء الخفي الذي تقصد اليه الفاكهة».

مهمة الاوزان

ان مهمة الاوزان هي في ضبط رعشات الالفاظ وتنسيقها وجرها الى قرار يستريح اليه السمع.

اني اتمثل الالفاظ التي تحبو على الاوزان كفرسان يمتطون صهوات جياد. الفارس الذي لا يستطيع ان يمسك بلجام جواده المنطلق في المدى المنفسح امامه، كاللفظ الذي لا يستطيع بما يحمل من معنى، ان يتلاءم مع وزنه. انه يتعـــثر ويسقط. الالفاظ الرائعة تنطلق مع الاوزان المتجاوبة معها في الروعة والاسر، وعلى ذلك الفارس الذي يعلو جواده وهو يسير في تلك الغابة الملأى بالرموز والظلال ان يؤتى احساس التوازن ومرونة القيادة لئلا يكبو جواده الوزن، كما يقول فيرهارن، هو حركة الفكرة فاللفظ قد يعبر عن اللون او الرائحة او الصوت والوزن هو حركتها.

الرمزية والغموض

ليس الغموض في الرمزية شرطاً مطلوباً للغموض نفسه. على الشاعر ان لا يطلب الابهام كلفاً بالابهام وحده ولا الوضوح ايثاراً منه للوضوح فقد تغني الاشارة او الايماءة عن الافصاح. عليه ان يضع الظل حيث ينبغي ان يكون الظل وان ينسل النور ويثبته حيث يستحسن ان يلعب النـــور، فلا يتحيف الظل من النور لئلا تصبح القصيدة لغزاً واحجيـــة ولا ينال النور من الظل لئلا تصبح القصيدة، بعد ان قتل الفهم

معانيها وانكفأ عنها ، خطوطاً بارزة باردة .

على الشاعر ان لا يقبس من ألق النـور فحسب . النور المتلألىء قد يعشي بصره ويلويه وهو ظامىء ، عن النبع الذي ينشد . عليه ان يتسلل الى اعماق النفس ، وان ينفذ الى اغوار الطبيعة ، وان يساوق تيار الحياة ، ليظفر في طريقه بالواضح والمبهم ، وينفضها في شعر يتعانق فيه النور والظل ، ويحظى فيه اللفظ والمعنى بلقاء لا تهيئه الصدفة ولكن حظاً سعيـداً خلاقاً هو الذي يهيئه ويعد اسبابه .

ان وراء الشمس المحتجبة بالغيوم وعوداً من الروعة ووراء الثوب الذي ينكشف عن إهاب الغادة الحسناء جمالاً ينبغي ان يظل مضمراً ، وانحسار ذلاذل الثوب كانكشاف المعنى دون جهد ، في كليهما فهم واكتفاء . فوراء تصوير الحياة برمز تختبىء اذن خميرة من الممكنات .

ومرد الغموض الذي يتسم به الشعر الرمزي انه - كما يقول احد النقاد - يبحث عن المشابهات الخفية بين الاشياء المتنافرة في الظاهر ، ومن هنا اتت تلك التعابير المبهمة التي لا يسيغها الخيال القصير كان نقول : صوت الرائحـة ولون النغمة وعطر الفكرة .

ولقد غمز النقاد من غموض الرمزية والتوائها وتأبيها على الفهم كما غمزوا من قبل ، من الرومانتيكية الالمانية نفسها التي كانت تتسم بالغموض ، كان نوفاليس يرى ان الانطباعات الغامضة والاحساسات المبهمة والمشاعر غير المجددة تستطيع ان تهب الشعور بالهناء وان من واجب الشعر ان يوحي بهذه الانطباعات الغامضة في اسلوبه وفي فكرته

ويختلف نصيب الغموض في آثار الشعراء الرمزيين . وانه ليصعب ان نعين كمية الغموض ، لتسهل المقارنة فهو كيفية واسلوب ، ومع هذا ، فاننا نجد ان الغموض في شعر فيرلين ضئيل قريب الى الفهم ، وان غموض مالارمه عميق ، بعيـد المدى . وقد يختلف الغموض في قصائد الشاعر نفسه ، تبعاً لاشراق اللحظة التي يواتيه فيها الالهام ، فلفاليري قصائد عديدة كقصيدة (الخطى) ، تتبدى واضحة مشرقة امام (مقبرته البحرية) الغامضة العصية على الفهم .

وقد يحدث للشاعر ، حين ينتهي من نظم قصيدته ان يعجز نفسه ، عن تفسيرها ، وقد روي ان رابندرانات طاغور شاعر الهند العظيم قد استعصى عليه نفسه ان يشرح قصيدة له عنوانها : الصدى ، لأن قصيدته هذه ، انما تخاطب القلب ولا تعبأ بالعقل وفهمه ومنطقه .

الرمزية والوحي

ما اجمل اللحظة التي تنفسح فيها للشاعر آفاق الوحي والالهام انه يسير في مهمه بعيد ، ناسياً ذكرياته واوهامه الماضية ، ولعله لا يستطيع ان يبدع اذ ألحت عليه كلها ، ولكن صدى كلمة خفق خطوة ، ظل ابتسامة ، سلسال دمعة تلخص وهو في رحلته السعيدة الى الاعماق ، ماضيه كله ، تجاربه كلها . افلم يقل الشاعر رينه ماريا ريلكه : « ان القصيدة بالنسبة اليه تمثل تجربة ماضية عاشها ورآها ونسيها ثم اشرقت عليه معانيها في لحظة سعيدة » .

ان الشاعر الرمزي الذي يغوص الى الاعماق الى اللاوعي ، ليتصيد صوره ، يستطيع بلمسة خفية مبدعة ان يظفر بما يريد من الفاظ ملائمة لمعانيه ، انه باحساسه الرهيف واستعداده ولقانته وذاكرته ، يأخذ اللفظ المناسب ، كقطعة المغناطيس التي تجذب ما يلائمها لتتحد معه .

في هذه اللحظة السعيدة ، يسمـع الشاعر الحروف تلهث باصدائها ويرى الحياة تتسع وترحب وتمد له ذراعيها ، ويتملى أسراب الصور تترادف امام عينيه بالوانها الاولى ، فتعطو يده اللبقة لتأخذ لؤلؤة بين الاصداف المبعثرة ، وتفجر جدولاً بين الرمال المحرقة ، وتستنزل نجماً من السماء وترقأ دمعة واحدة ، تلخص آلام الانسانية كلها .

هذه اللحظة السعيدة الرائعة المبدعة هي لحظة الوحي ، وتبعاً لاشراقها يتسم شعره بالغموض او الوضوح . ان ومضة صغيرة من المعنى قد تغنيه عن تسجيل لهب المعنى فليكتف بها ، حتى في الحياة نفسها ، افلا تعبر الضحكة الخفيفة عن الفرحة الكاملة ؟

ارأيت الى ذلك الشاعر كيف يحشد الفاظه ؟ كيف يغري معانيه ؟ كيف ينتظر قوافيه ؟ انها التجربة الحية الخالدة التي يسمونها الشعر . الالفاظ تتسلسل في الوزن ، المعاني تومىء من بعيد وقد تؤثر ان تكون بعيدة ، ان تكون رمزية ، لا تقبل من برود الالفاظ الا ثوباً ينعرج في طيات مبهمة ، ينسدل تارة فيلتوي المعنى ويبهم ، وينحسر فيتضح المعنى ويبين ، ثم تأتي القوافي المرتقبة انها الكوى التي يطل منها الشاعر على موسيقا متناغمة مع اعماقه واغواره .

دمشق — بديع حقي

الذكرى

عن لامرتين

✻

لمحمود فتحي المحروق

•

العراق ـ الموصل

✻

عبثاً، تنطوي السنون وتهوي، راكضاتٍ، في مسرب الأزمانِ
عبثاً ! دون أن تثير بقلبي ذكرياتٍ ، مشبوبة النيران
لا غناء الطيور في الفجر يمحو أثر الحب والأسى ، من جناني
لا، ولا الجدول الملألىءُ يروي ظمأ الروح ، لارتشاف الاماني
آه ، إني أعيش في سكرة الوهم ، شريداً ، مغرورق الاجفان

وأراني ، وحفنة من سنيّ العمر تذوي ، مهوّمات ورائي
مثل عصف البلوط تنثره الريح ، هباء ، فوق الثرى والماء
دبّ فيّ الفناءُ ، وابيضّ يأساً مفرقي ، وامّحتْ طيوف رجائي
ودمائي كأنها الثلج ، تجري في عروقي ، بطيئةً الاصــداء
فكأني في الارض ماء غديرٍ ، عقلته الرياح قيدَ الفناءِ

غير أني أراكِ ملء حياتي ، صورةً تفـتن النواظر سحرا
صورة ، لن يمسّها حمأ الجسم ، وقد لألأت صفاء وبشْرا
تتخطّى المكان والزمن القاسي ، وتعلو على الحياة مقرّا
وتلفّ الوجود بالنغم العذْب ، وتسمو على الطبيعة طهرا
فهي كالروح حرة تملأ الارض سلاماً ، وتنفح الكون عطرا

يا رجائي الحبيبَ ، لم ينأَ عني طيفكِ الحلوُ ، كلّما الطرف صلّى
أتملاّكِ بين جنبيّ روحاً ، يخفق الشوق فيه نورا ، وظــلا
وأرى وجهكِ الطهور ، على الارض، وفوق السحاب، فجراً مطلا
كل شيءٍ اراه . دونكِ ، يبدو ، اثراً زائلا ، وقبحاً مملاّ
فخذيني اليكِ ، للخلد ... اني ذَبُلتْ زهرتي ، وعمريَ ولّى

آه من لوعة الرحيل ، الى الخلد ، على متن فجرك الازليّ
آهِ من ساعة الوداع ، وعيناك تشعّان بالسنا الابــديّ
والنسيم العليــل يعبث شوقاً بضفَيرات شعرك الذهبيّ
راقصاتٍ من نشوة الطيب سحراً، وهوىً ، فوق صدرك العاجيّ
آهِ ، قد مات ذلك الامس لكنْ ، هو حيٌّ، في عالمي السرمديّ

يا صلاتي اذا اعترتني ذنوب ، وسراجي اذا احتواني الظلامُ
وسمائي اذا العواصف ثارت في دمــائي ، تحفّها ، الآلام
انتِ ، انتِ التي تراءت لعيني عالماً ملؤه الهدى والسلام
انتِ ، انتِ التي تنضّر عمري ، من هواها ، وقد جفاه الغمام
فاذا ما الظلام ارخى سدولاً ، فعلى الأفق كوكب بسام

وسواء عليّ إن جستُ قفراً ، او تطلّعتُ نحو وجه السحابِ
فخرير المياه رَجْعُ اغانيكِ ، وخَفْقُ النسيم لحنُ عذابي
واذا الكون نام ، ينداح صوتٌ ، من وراء الآباد عبر الروابي
صوتكِ العذب ، ينفث الحب والشعر ، فواهاً لصوتك الخلاّب
واذا الشهب حفّت الأفقَ ليلا . فمحيّاكِ ومْض كلّ شهابِ

واذا ما النسيم هبّ رُخاءً ، حامــلًا عطر سوسن وأقاحِ
خلت اني استاف انفاسك الحرّى ، طيوباً زكية الارواح
واذا ما الهموم ألقت دجاها ، فوق عمري ، وحطّمت اقداحي
واستفاضت عيناي دمعاً ، وقلبي عبثتْ فيه عاصفات الرياح
كان منكِ العزاء ، للخافق الواني ، وكنتِ السلُوّ للملتاح

واذا ما غفوتُ ، كنتِ جناحين ظليلين ، يخفقان عليّا
فيرفّ الهناءُ حولي ، وتصحو سكرات الاحلام شيئاً فشيّا
وتمدّين لي ذراعيك نشوى ، فنغنّي ، وينطوي العمر طيّا
آهِ ، كيف اللقاء في الخلد ، حيث الحبُ والسحرُ والرؤى تتفيا
كيف احظى بجنّتي ، وفؤادي غارق في الظلام، ما دمت حيّا؟



من حظ امينة البائس ان زفت الى ذلك الرجل الظالم ، وأي ظلم هو ظلمه ، انها لم تسمع بمثله حتى في الاساطير التي كانت تتحدث بها الفتيات نقلاً عن جداتهن.. ولم يكن ذلك الرجل الغاشم ملكاً عظيماً مطاعاً لا يبالي ان يسير على نهر من الدماء تمسكاً بمجده ، ولا سفاك دماء او مجرماً لم تستطع العدالة اليه سبيلا ، بل كان من اولئك الرجال الذين يملكون ثروة لا بأس بها وقطعة من الارض وبضعة رؤوس من الخيل وقطيعاً من الماشية ، فهو ذو يسار ولكن يوجد في مقاطعته من هم اكثر يساراً واوفر غنى وانبل محتداً ، ويكفي ان تبخل السماء بمائها سنتين فقط ليتقلص ظل غناه ويصبح كأي فرد من الناس الذين يخدمون لقاء قوت يومهم ولباسهم !.

وكانت كل هذه الاسئلة لا تفيد امينة شيئاً ، فقد اصبحت لهذا الرجل ملكاً لا تعرف الا الطاعة والانصياع لاوامره ، واحناء رقبتها تحت نير ظلمه وعسفه وجوره.. ولم يكن هذا بعجيب ما دام عملته يذوقون ظلمه ويصبرون في وقت اصبح العامل فيه حراً لا يباع ولا يشرى ، ويغادر عمله حين يحلو له ذلك من غير حرج ولا لوم ! ولكنهم كانوا يخدمون ويخدمون ولا يتذمرون امامه بكلمة واحدة مهما ارهقهم ، ويقرنون النهار بالليل ليتم العمل الذي حدده لهم في الوقت المعين بدون اي تأخير .. وقد ساعد هذا على ازدهار ارضه فأخذ يجني منها اضعاف ما يجنيه الآخرون من ارض مثل ارضه في مساحتها وجودة ترابها .. فكيف تستطيع امينة اذن التخلص منه ؟ وهي امرأته الشرعية التي دفع بها اخوتها دفعاً اليه لقاء مبلغ كبير من المال بعد وفاة امها وتيتمها.. انها تلقي التبعة على هؤلاء الاخوة الذين كانوا يتذمرون للناس ويسخطون عليه ، ولكنهم لا يعرفون الا كم السنتهم حباله..وقد سمعت بدورها عن ظلمه من افواه الصبيان والفتيات حينما كانت طفلة صغيرة تسرح وتمرح وحينما علمت انها المصطفاة لقلبه لجمالها الساحر ، وكانت اذ ذاك في الرابعة عشرة من عمرها ، الا ان امتلاء قدها وامتداد قوامها كانا يبديانها اكبر سناً ، واغزر صباً.. جزعت وبكت وشكت بدون جدوى ، وقال لها احد اخوتها : ان ذلك الطاغي الذي تخافينه على السماع سيصبح اسيراً لك والا لما دفع هذا المهر الغالي ..

انك ستفعلين به ما تريدين ، سترين !. وان لم تعجبك الحياة فيما بعد فما عليك الا الرجوع لدار ابيك ، فهي مفتوحة الابواب امامك ، وسيبقى نصف المهر باسمك ، لن تمسه يد ، اذ هممت يوماً بالرجوع .



بقلم السيدة ناجية ثامر

فها هي قد زفت اليه وعاشت معه أعواماً وولدت منه الاطفال ، ولاقت من استبداده الشيء الكثير ، ولم يؤثر فيه جمالها وصباها الناضر الا وقتاً قصيراً ، سرعان ما استرد بعده سلطته المطلقة ، ولم يصبح اسير جمالها وصباها كما زعموا لها بل طغى على هذا الجمال ، وكسر غصنها اللدن بفظاظة ، وسخر من طيبة قلبها وصفاء نيتها ورقة عواطفها . وصارت عبدته المشتراة طول الحياة ..

ولم تقدر ان تهرب من دار الزوجية ، فخنجره منصوب امام ناظريها ليذيقها كأس المنون ، فلو غافلته وهربت فلن يعدم الوسيلة لاتباعها وهدر دمائها بدون شفقة ولا رحمة ..

وتحسست عظامها الناتئة وعروق يديها البارزة ، لقد اودى الهم والنصب بجمالها وصباها ، وافرغا في جوفيها ضحكها ومرحها وحبها للثرثرة والحديث .

وسمعت امينة خطوات زوجها في الممر ، فوجف قلبها وهلع فؤادها ، كان الخوف يعصف بها عصفاً ويشل كل حركة من حركاتها عند لقاء زوجها ، فكيف تفكر بالهرب منه ، ستموت او تعود مرغمة لهذه الدار لتذوق العذاب مضاعفاً ، واولادها؟



اجل اولادها المساكين ، هل تتركهم لابيهم القاسي وتحرمهم مما تعوضه عليهم من عطف وحنان ؟؟

– امينة !

– نعم سيدي !

– قدّمي الطعام ...

واسرعت وقدمت له ما يريد ، انه لا يأكل الا من يدها وتحضيرها ، وما ذاك الا ليزيد في تعذيبها وهوانها .

– قلت لك واقول انني احب الطعام ذا سخونة معتدلة ، فلست اريده بارداً يصقع الامعاء ، ولا حاراً يلهبها .. خذي طعامك انني لا أريده ، سأرقد هنية وتعساً لك ان لم اجده كما اشتهي . هاك هذه الصفعة !.. رنت الصفعة ، وانّت امينة انة المحزون ، كاتمة عبراتها في صدرها ، فهي لا تستطيع ان ترفع صوتها لئلا يكيل لها الضربات مضاعفة .. وقبعت جانب النار تراقب الطعام وتقلب رغيف الخبز من حين لآخر ،وتنزل القدر حين تسخن وتنتظر قليلاً ثم ترفعها على النار .. فهي لو تركته على النار لسخن كثيراً ، وهذا يلهب امعاءه ، ولو انزلته لبرد ، وهذا يصقعها ، وهو لا ينتظر ولا لحظة ، يجب ان يكون الطعام مهيئاً حسب رغبته لدى رجوعه من عمله ، او استيقاظه من نومه .. وهي تنفذ اوامره وتتلقى ضرباته ولا تحرك ساكناً وكيف تثور وقد بلغ من سلطة زوجها انه بات يتحكم في الحيوان الاعجم ، وقد رأت من الامور العجيبة ما حيرها وبلبل افكارها فهل سمع احد بخيل تسرح في مرعى تختلط فيه أعشاب القمح والشعير ، فتقضم الشعير ولا تمس القمح ؟!

انها تطيع اوامر مولاها ولا تقوم الا بما يسمح لها به .. وهل سمع احد بحصان يرفس كل من يتقدم منه بقصد السرقة ، ويجري بعيداً الى مكان معين ، لا تطوله فيه يد ؟ لو اقترنت بعامل بسيط ، واضطرت للخدمة في بيوت الناس ، لما لاقت مثلما تلاقي ، ولكانت اهدأ بالاً واسعد حالاً .

كانت هذه الثورة تتأجج صباح مساء في صدر امينة الهزيل فالى متى ستستمر هذه الحال الموجعة ، ومتى ستضع الايام حداً لجور هذا المخلوق ؟؟ ايموت كل من حوله ويمرضون ويتعذبون ويئنون تحت لسع السياط ، وهو ذاك القوي الساخر ؟ ؟

وفي يوم من الايام بعد ان سخنت امينة الأكل مرات ، وبردته مرات ، واصابتها بضع لطمات ، لأن زوجها كان غاضباً لموت حصان عزيز عليه ، ارتمت على الارض واهية القوى ، تبكي بجانب النار بصوت مخنوق ، وهي تستمع لشخير زوجها الناعم بالرقاد ، وترفع عينيها تارة الى السماء ، وتارة اخرى لمراقبة الطعام ... وكانت بجانبها الفأس التي رماها بها زوجها فافلتت منها باعجوبة ، ولولا اولادها لما امالت بجسمها لتفلت من الضربة ، ولمدت رأسها ليفصلها بفأسه عن جسدها ، وتستريح بالموت مفضلة ان تتجرع كأسه مرة واحدة على ان تتجرعها كل يوم ولحظة قطرات مُرة كاوية!ولا ستكانت لكأس الحمام طائعة مستسلمة ! انه يغط في نومه ، وسيستيقظ بعد دقائق ، وقد يلطمها مرات ومرات قبل ان يعود لعمله .. وربما ضربها بالفأس اليوم او غداً او بعد غد ليطفىء لهيب غضبه باخماد حياتها لموت حصان او شاة ! ولن يكتفي بهذا ، فسيثأر من اولادها بعد موتها ، وسيعاملهم بوحشية وقسوة كما يعاملها الآن ... الم يضرب اليوم ابنه الاكبر بوحشية لا لشيء الا لأنه زلق بابريق الماء ؟؟ لقد امتدت يده لأول مرة لاولادها وهيهات ان ترتد .. لم تعد وحدها مرمى لسخطه وهدفاً لاطفاء نار غضبه بقسوته وغلظته ! لا ، لن تترك اولادها له ، لن تموت وتخلفهم بعدها .. لن تمتد يده اليهم بعد الآن ! .

ونهضت مرتعدة مرتجفة ،وحملت الفأس بيدها وتقدمت منه وعيناها تلمعان لمعاناً غريباً ، واهوت بها على رأس سيدها ، وصدرت منها صيحة اقترنت بشخير يشبه خوار ثور مذبوح ، وسقطت على الارض مغمى عليها ... ومرضت امينة مرضاً شديداً ، وطمست المسألة وقيل ان القاتل هو احد الاعداء الذين يتربصون به الفرص ليتخلصوا منه بأية وسيلة .. وانقذت من المرض باعجوبة وورثت ثروة زوجها ... ولكنها بقيت مزعزعة العقل فقد كانت تنهض في اكثر الليالي صائحة مستنجدة لم تكن تصدق ان جسد زوجها قد طواه الثرى !

واطلق عليها اهل القرية اسم « الشاقورية» نسبة «للشاقور» وهو اسم يطلقونه على الفأس ، لأن شبح الشاقور كان ينغص حياتها وينكد عيشها .. فتستيقظ من اهنأ نومها وهي تصيح : الشاقور! الشاقور! عايز يضربني بيه! بعيشكم خلصوني من ايديه!

وكل هذا بسبب اخوتها الذين خدعتهم الاموال ، فانتهت الاموال من ايديهم ، ولم ينته شقاء اختهم وتعاستها حتى بعد ان قضي على الزوج الظالم .. فبقيت مزعزعة اللب تخيفها اقل صيحة واقل حركة حتى مماتها !.

تونس ناجية ثامر

بين المأساة والاصالة

بقلم الدوس هكسلي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

لقد التفت البطل اوديسيوس حين كان جالساً بين المجاذيف ، فرأى خيرة اصدقائه الستة واشجعهم. رآهم وهم يرفعون اجسامهم في كفاحهم ، يرفعونها في الهواء ، فسمع صرخاتهم وهم يرددون اسمه بيأس وقنوط ، ان الذين بقوا في قيد الحياة لم يكن في وسعهم الا النظر بحسرة في حين خرجت «سيلا» من فوهة كهفها لتبتلعهم ، وهم لا يزالون يصرخون ويندبون وايديهم ممتدة الي" في نضال مرعب وكفاح شديد . يستطرد اوديسيوس فيقول : « ان هذا المنظر هو اشد المناظر هولا ورعباً ومدعاة للاسى والفجيعة ، وهو منظر لم ير مثله ، في اكتشافاته في مضايق البحر » . لنا ان نثق بذلك ، اذ ان وصف هومير الموجز يقنعنا بوجاهته واما التشبيه الشاعري فهو حشو متأخر .

ثم مضى الخطر ، فوصل اوديسيوس وصحبه الى الساحل ، فمكثوا ليلتهم هناك وعلى الساحل الصقلي هذا اعدوا عشاءهم ، اعدوه بتفنن وحذق ، كما يقول هومير ، ينتهي الكتاب الثاني عشر من (الاوديسا) بهذه الكلمات : ولما انقعوا غلتهم واشبعوا بطونهم ، فكروا في رفاقهم الاعزاء ، فبكوا ومن خلال دموعهم جاء النوم متلصصاً حنوناً فهبط عليهم ، انك واجد هنا الصدق كامل الصدق ، ليس شيء غيره ، هذا الصدق الذي ، قلما نطقت به الآداب القديمة ، اجل ان كل كتاب صالح يعطينا نتفاً من الصدق ، والا لم يكن الكتاب صالحاً . اما الصدق الكامل فلا . ومما لا يسعنا تصديقه ، هو انك لا تجد بين عظماء الكتاب الا القليلين ، الذين يتوافر فيهم الصدق التام . وهومير ، مؤلف الاوديسا ، هو واحد من هؤلاء القلائل .

الحقيقة ؟ هل تعني معادلة رياضية مضبوطة او تحديداً تاريخياً لعصر الملكة فكتوريا ، او ان الضوء يسير بمعدل ١٨٧،٠٠٠ ميل في الثانية ؟ كلا فمن البداهة انك لن تجد شيئاً من هـذا الضرب في الادب ، اما (الحقيقة) التي اتكلم عليها ، فهي ليست اكثر من قبول ارجحية الصدق في (الاداء الفكري) . فمثلا عندما تسجل تجارب (معينة) في قطعة ادبية ، تتجاوب تجاوباً واقعياً صحيحاً مع تجاربنا الواقعية ، او ما نسميه تجارب ممكنة الحدوث ، تجارب يمكن ان نشعر بها (بنتيجة عملية استقرائية تستند الى الحقائق المعروفة) وعندئذ يمكن ان نقول بغير شك ولا ريب ، بان هذه القطعة الادبية واقعية ، وطبيعي ان هذا ليس كل القصة . اذ ان عرض قضية في كتاب من تلك الكتب المعتمد عليها في علم النفس ، اقول ان عرض مثل هذه القضية صادق صائب من وجهة النظر العلمية ، وذلك في نطاق معين لا يتعدى تسجيل حوادث خاصة . وقد تبدو للقارىء كأنها حقيقية وذلك فيما يتعلق بنفسه ، اعني ان تكون هذه الحقيقة محتملة الحدوث ، مقبولة ، لها صلة بتجاربه الواقعية او المحتملة .

ومع هذا لا يسعنا ان نعد الكتب المدرسة السايكولوجية كتباً فنية . وقد نحسبها فنية من ناحية عرضية ثانوية . فارجحية الصدق لا تعني تماثلا بين التجربة التي يسجلها الكاتب وبين ما يتصوره القارىء او يتذكره من هذه التجارب الكثيرة ، فذلك كله لا يجعل الفن (حقيقة واقعة) اذ ان الفن السليم فيه شيء ارفع من الصدق . فهو اكثر احتمالاً وقبولاً وقناعة من نفسه . وطبيعي ان الفنان له موهبة خاصة تمتاز بهذه الحساسية المرهفة ، والقدرة على نقل الافكار ، والكفاءة في وصف الاشياء ، وصفاً متقناً ، وهذه الاشياء في جريان الحوادث ، يمارسها غالبية الناس غير انهم لا يتمكنون من امتلاك ناصيتها ، (في طريقة عرضهم لها) لان التجربة تعلم من له قدرة على التعلم ، وهؤلاء ليسوا من الكثرة ، كما يذهب المثل المحبوب الذي ضربه ابو السيد

مكاوير ... ان الفنانين معلمون بداهة ، كما هم تلامذة فطرة . فهم يتسلمون من الحوادث اشياء اكثر مما يتسلمه معظم الناس ، وفي وسعهم ان ينقلوا الى الآخرين هذه التأثيرات بقوة متغلغلة خاصة ، هذه القوة التي تدفع ما ينقلونه الى اذهان القراء فتصل الى الاعماق .

واوضح رد فعل يمكن ان نجابه به قطعة ادبية ممتازة ، يتلخص في هذه القاعدة « هذا ما شعرت به دائماً وفكرت فيه ، ولكنني لم أتمكن من وضعه في كلمات بوضوح حتى بالنسبة لي » نحن الآن في مركز يمكننا من تفسير ما نعني ، حين نقول ان هومير يقول الحقيقة كاملة ، نعتقد بذلك لان التجارب التي سجلها (هومير) تماثل تماثلا واقعياً ، تجاربنا المحتملة والواقعية . وتشابه تجاربنا ليس في نطاق معين منها ، بل هي تشابه وجودنا الجسماني والروحي في مداره وسيره . ثم اننا نعني بذلك ان هومير لما سجل هذه التجاريب ، بقوة فنية متغلغلة ، جعلها مستساغة مقنعة من قبل الناس ، يكفي هذا في الدلالة على الصدق في الادب ، لانني اعيد فاقول بان هومير هو الصدق برمته .

تذكر ان ستة رجال اخذتهم « سيلا » فازدردتهم ، امام انظار اصدقائهم ، فانت اذا اردت ان ترقب معظم الشعراء ، فالحظهم كيف ينهون هجوم «سيلا» على السفينة العابرة . انظر الى كل قصيدة غير (الاوديسا) فماذا سيفعل الذين نجوا على قيد الحياة ، لا شك في انهم سيبكون كما جعلهم هومير يبكون هل ستجدهم يطبخون عشاءهم ، ويطبخونه في طريقة ممتازة ، ثم هل انهم كانوا سيشربون ويأكلون حتى الشبع والاكتفاء ؟ وبعد البكاء ، بل خلال البكاء ، هل كان في وسعهم ان يناموا في هدوء ؟ كلا ، اذ ان معظم هؤلاء الشعراء لن يفعلوا شيئاً من هذا . انهم سيبكون ويشكون من سوء حظهم ، والمصير المرعب الذي لقيه رفاقهم ، وستنتهي المقطوعة بين الدموع والحسرات المتقطعة ، غير ان هومير فضل ان يقول الحقيقة كاملة غير منقوصة ، لانه كان يعرف بان اشد الناس حسرة ولوعة ينبغي له ان يأكل ، فالجوع اقوى من الحزن ، والشبع اولى من الدموع ، وكان يعرف أن الخبراء لا بد ان يستمروا في تعلقهم بخبرتهم ، ولا بد ان يجدوا رضا في عملهم ، حتى اذا كان رفاقهم قد لاقوا حتفهم وحتى اذا كان عملهم لا يتعدى طبخ العشاء لانه عرف حتماً بانه متى كانت المعدة مملوءة (عندئذ فقط) يمكن للانسان ان يحزن ويكون الاسى ترفيهاً بعد العشاء ، واخيراً عرف (هومير) معنى تفضيل الجوع على الحزن ، ومغزى تدخل التعب وحلاوته لما يأتي به من نسيان للفجيعة . وجملة القول ، ان هومير رفض تناول الموضوع بصورة تراجيدية ، وبدلاً من ذلك ارتأى ترجيح كفة الصدق التام (والتزامها في عرضه) .

ثم ان فيلدنغ هو الآخر فضل قول الحق بكامله . فكتابه (توم جونس) يعد احد الكتب (الاوديسية) القلائل التي كتبت بين عصره وعصرنا الحاضر ، كتب اوديسية ، لانها لم تكن تراجيدية قط حتى اذا كان ما تتحدث فيه مؤلماً كئيباً ، وحتى اذا كانت الحوادث مشجية جميلة ، ففيلدنغ ، مثله مثل هومير ، يعترف بالحقائق باسرها من غير ان يستثني شيئاً منها . والحق ان المؤلفين في مراعاتهما لكل حادثة بدقة جعلا كتبهما في منأى عن التراجيدية ومن جملة الاشياء التي لم يتوانيا عن ذكرها هي تلك التفاهات التي تطيّب المواقف ، في الحياة الواقعية ، في حين يصر الكتاب التراجيديون على عدم الالتفات اليها وهدفهم في ذلك هو المحافظة على نقاء الحياة ولنضرب لذلك مثلاً ، قضية صوفي ويسترن ، تلك المرأة الساحرة ، التي تعد مثـــلا اعلى للشابات . ومن الواضح ان فيلدنغ اعجب بها اشد الاعجاب ، ومما يقال انه ابدعها على صورة زوجته الاولى التي شغف بها حباً ، ومع اعجابه أبى ان يجعل هذه (الصورة) نقية كل النقاء . كما

هي الحالة في الكائنات التي تكدح وتقاسي في عالم التراجيديا وعلى سبيل التمثيل، نرى ان نسأل هذا السؤال: ما هو الداعي الذي حمل صاحب الخان ليسقط على اثر حمله صوفيا الواهنة ورفعها من الحصان؟ فليس في التراجيديا ما يجعل هذا البهلوان ينهار تحت وطأة هذا الثقل: فالمفهوم التراجيدي لا يبيح هذه التفاهة، لانه يضع (البطلات) فوق قانون الجاذبية. وهذا ليس كل شيء، فعلى القارىء ان يتذكر الآن نتائج هذا السقوط ومن ذلك ان صاحب الخان لما سقط، سقط على ظهره فسحب صوفيا معه، ولما كانت بطنه وسادة مريحة، لم تتعرض صوفيا لاي سوء، نعم انه سحب رأسها اول الامر، واتبع ذلك ساقيها بداهة، وهذا شيء طبيعي. ثم كانت فترة انشراح وسرور بدت فيها الاوانس الحييات الخجولات، وهن يضحكن ويقهقهن.

مسكينة صوفيا، ان الخجل استحوذ عليها بشدة فوقعت في حيرة مربكة، من ذلك بعد ان تلقفها الناس ووضعوها على قدميها. كانت تلك الحيرة نتيجة لحشمتها الجريحة، وكل شيء في الحادثة محتمل عملياً، مع انطباعه بكل ميزات الحق في الادب. وهذه الحادثة مع واقعيتها، لا يمكن ان تقع قط بالنسبة الى بطلة في الكتب التراجيدية. غير ان فيلدنغ ابى ان يفرض حق النقض الذي يتمتع به التراجيديون، لانه لم ير سبباً للامتناع عن ذكر كل شيء – سواء اكان ذلك تطفل بعض العبث وتدخله في وسط الرواية ام النكبة – ام في تدخلات العبث في سير السعادة. فهو لم يرغب في ان يكون تراجيدياً. والحق ان منظر صوفيا (في سقوطها) كاف لان يطرد إلٓهة التراجيديا من (توم جونس) تماماً كما حدث ذلك قبل خمسة وعشرين قرناً في ذلك المنظر الذي فيه نرى ما اصاب جماعة (اوديسيوس) فاكلوا اولاً وتذكروا كارثة رفاقهم فبكوا، ثم نسوا ادموعهم في الرقاد، الذي اضطر (إلٓهة) التراجيديا الى الفرار من (الاوديسا).

يؤكد اي. اي رتشاردز في كتابه (مبادىء النقد الادبي) على ان التراجيديا الحق حصن حصين لا تنال السخرية ولا التفاهة منه شيئاً، اذ ان التراجيديا تستوعب كل شيء مع بقائها على ما هي عليه، والواقع ان الكاتب يحاول ان يجعل من هذه القدرة على الاستيعاب فضلاً تتميز به التراجيديا. ولكننا اذا وضعنا على المحك كل التراجيديات الاغريقية والفرنسية، ومعظم ما انتج في عهد اليزابيث، فاننا واجدون ضعفاً في هذه القدرة ووهناً في قوة التمثيل والاستيعاب، ولا يمكن ان يجتاز هذا الامتحان الا خيرة ما كتبه شكسبير وهذا اقل ما يقوله رتشاردز ولكننا نود ان نسأل: هل حالف التوفيق رتشاردز فيما ذهب اليه؟ الا اني اشك في ذلك، والواقع ان كتب شكسبير التراجيدية تجري في عروقها السخرية والتهكم المرعبين ولكن التهكم يتبدل دائماً بمثالية بطولية ومن هنا فان السخرية هي نوع من التصوير السلبي للرواية البطولية..

ينبغي للفنان اذا اراد ان ينتج قطعة تراجيدية ان يفصل عنصراً معيناً من مجموعة التجارب الانسانية ويجعل هذا العنصر مادته الرئيسية، فالتراجيديا هي شيء منعزل عن الاصالة التامة، هي شيء مستقطر منها، هي تلك الخلاصة التي نستقطرها من القصص النابضة بالحياة. وحينئذ فقط تصبح التراجيدية صافية خالية من كل شائبة. ومن هنا تبدو قوتها وعنفها في سرعة تأثيرها في مشاعرنا..

ومن هنا نجد هذا العقار العاطفي، السريع التأثير، الذي ينصب في تغلغله في المسرات الحسية وهذا العقار هو الميزة الرئيسية التي تتصف بها (التراجيديا) وهو الذي يجعل التراجيديا بعيدة كل البعد عن الاصالة الدقيقة. وسبب ذلك يعود الى انتفاء الشيء الذي يقوم بوظيفة المخدر بصورة مؤثرة اخاذة. فالتراجيديا اذن تقدم الينا اسلوباً خاصاً لحياتنا العاطفية وهي تعمل في هذا السبيل بقوة وسرعة، فتنفي من حياتنا ما تشاء وتصحح ما تريد وحالما تكون لنا صلة بالتراجيديا تنحل عناصر وجودنا وتنتظم في نموذج جميل منسجم، كما هو الحال بالنسبة الى شذرات الحديد عندما يفعل فيها قطب المغناطيس فعله. وهذا النموذج يبقى كما هو، في جميع الاطوار الفردية لمثل هذا الفن.

ومن قراءتنا للتراجيديا وسماعنا لها، نشعر بان اصدقاءنا هم المآسي، والسمو والحب، وعقل الانسان الذي لا يقهر. وبطريقة اقتناعنا البطولي، يمكننا ان نصبح قوة لا تقهر، متى ما عرضنا انفسنا للمآسي والآلام، وحينئذ سنستمر في حبنا وتسامينا على ذواتنا. وهذه الاشياء جميعاً هي التي تحملنا على الشعور بقيمة التراجيديا واهميتها. والآن ما هي قيم الاصالة التامة في الفن؟ ثم ما هو هذا الشيء الذي يبدو اهلاً لنا؟ دعنا نحاول اكتشاف ذلك.

ان الفن الذي يمتاز بالصدق التام، يتجاوز حدود التراجيديا ويرينا ولو بطريقة التلميحات والاستنتاج ماذا حدث قبل بداية

القصة التراجيدية ، وماذا سيجري بعد تمامها ، وماذا هو واقع بصورة تلقائية في مكان آخر . وهذا المكان الآخر يشمل جميع اجزاء الاذهان والاجسام ، التي تخص الاشخاص الذين يكافحون في النضال التراجيدي بصورة غير مباشرة ، فالتراجيدية اذن دوامة منعزلة ، معتسفة تطفو في سطح نهر واسع ينساب في جمال منقطع النظير فلا يصد تياره ، لانه لا يُعرف له اتجاه معين ولا هدف خاص . اما الادب الحق فهو يسعى جهده ليبين لنا معنى وجود النهر ، كما هو ، بالاضافة الى الدوامة المسايرة له ، فهذا الادب يختلف عن التراجيديا كل الاختلاف ، حتى ولو تضمن ، فيما يتضمن ، كل العناصر التي تتكون منها التراجيديا.

ففي الادب المعتمد على الصدق التام ، مآس واقعية وفيه الحب ، والعقل الغالب على امره ، كل هذا مهم كما هو الحال بالنسبة الى التراجيديا ، فانت ترى فيه ضحايا (سيلا) وهي تتعذب وتتجرع الاوصاب ، وانت تحس فيه بالالم الذهني الممض الذي يعانيه توم جونس حين يفكر فيما جر عليه فقدانه لصوفيا وفيما كان له من نصيب في ذلك الفقدان . فمزاجنا حين نقرأ كتابا يبحث عن الحقيقة عارية ، لا يدعونا الى الاعجاب البطولي ، انما يدعونا الى النفرة والقبول (وقد يكون القبول بطولياً) وبما لم يكن في وسع الادب الحق ، تحريكنا بعنف وقوة ، كما هي حال التراجيديا ، فقد وجب علينا الاعتراف بذلك.

ولكني اعتقد ان تأثير مثل هذا الادب اكثر ديمومة واشد استقراراً . اما الاعجاب الذي تتركه قراءة التراجيديا او سماعها فهو في حقيقته اعجاب وقتي وخدر زائل فوجودنا لا يحتمل ما تفرضه علينا التراجيديا مدة طويلة . وانت – برفعك لمركز الجذب تعيد الاشياء الى الارتباك والاختلاط ، ومعان النفرة والقبول ، اللذين يفرضهما علينا الادب الحق فيهما قليـــل من جمال الشكل الا انهما باقيان على الزمن ، ولعل مرد ذلك هو السبب بعينه .

ان الادب الحديث اخذ يشعر بالاصالة التامة تدريجياً ، فترى المؤلف يختار ما يشاء له الاختيار من هذا المحيط العظيم المفعم بالاشياء التافهة والحوادث والافكار المتنوعة التي لا تنتهي الى حد ، والتي تسير في كل اتجاه بغير ان يعيقها عائق ، او يصدها مانع ومن هنا غدا من العسير وضع الحدود الاعتسافية ، واصبح عمل من يريد ان يكتب (التراجيديا) اصعب فاصعب ، والواقع ان من يشعر بشعور عصره يتعذر عليه عدم الاكتراث لعصره هذا ، وطبيعي ان هذا لا يعني اقتصار الكاتب الحديث على الاسلوب الطبيعي المجرد . واذن يحق لكل انسان ان يشير الى وجود الحقيقة العارية من غير ان يصنف كل موضوع يتناوله تصنيفاً مصطنعاً .

فانت تقدر ان تدبج كتاباً في موضوع خيالي صرف ، وفي الوقت نفسه يسعك قول الحق الصراح تلميحاً واشارة . ترى ذلك في الادب المعاصر ، فانت لا تجد في اعظم الكتب التي انتجت في هذا الشأن كتاباً واحداً في التراجيديا الصرفة . وليس من كاتب معاصر واحد يشار اليه بالبنان ، لا يفضل عرض الحقيقة العارية او الاشارة اليها . ومهما يكن اختلاف هؤلاء الكتاب في الاسلوب ، والاخلاق والفلسفة والاتجاهات الفنية وفي القيم التي يعترف بها ، فانهم جميعاً يتفقون في اهتمامهم بالحقيقة الموضوعية ولنضرب لذلك مثلا . براوست ود. ه. لورنس واندريه جيد وكافكا ، وهمنغوي ، فهم على مكانتهم واهميتهم واختلافهم لا يكتبون كتباً تراجيدية نقية . انما الذي يهمهم هو قول الحق ، من غير غموض ولا لبس .

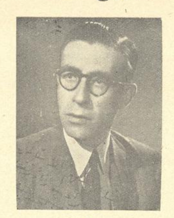
في الواقع اني استغرب احياناً ، من تشبث التراجيـديا بالحياة ، كاسلوب من اساليب الفن . غير ان هذا الاستغراب يزول متى ما امعنا النظر في التأثير الذي احدثته فينا الطُرف التراجيدية القديمة ، مع ان ذلك يعارض حكمنا السليم وتمييزنا الدقيق ؛ ثم عليك الا تنسى ان الكتب التراجيدية المعاصرة ، سواء امثلت في السينما ام على المسرح ، لم يعد لها ذلك النقاء الذي كانت متصفة به من قبل . اذ ان التراجيديا الان تجتاز فترة من الافول ، لان معظم كتاب عصرنا مشغولون باكتشافات جديدة او اعادة اكتشاف شيء قديم من هذه الاشياء التي تدور في مدار الواقع الصريح وهم لذا لا يعيرون التراجيديا باقل التفات ومع هذا فليس من سبب يحملنا على الاعتقاد بان هذه الحالة ستستمر الى الابد . لان التراجيديا اثر ثمين لا ينبغي السماح بزواله وفنائه .

وبعد ، ليس من داع معقول يمكن الاعتماد عليه ، يفترض فناء اي من هذين الضربين من الادب : الادب الناطق عن الحق الصراح ، والادب الذي يمثل الواقع الجزئي . بل الخير كل الخير في امتزاج هذين النوعين ، في الوقت نفسه على اختلاف اتجاه كل منهما لان الروح الانسانية بحاجة لكليهما .

يوسف عبد المسيح ثروة

العراق – بعقوبة

الكوخ القديم



لانور الجندي

السلمية ـ سوريا

عدتُ بالأمس الى الكوخِ القديمِ
حاملاً اسرارَ هاتيكَ النجوم
عدتُ والاحلامُ تمشي في ركابي
حفـْلاً بالطيبِ ، بالسحرِ المُذابِ
عدتُ اشواقاً على ثغرِ الدهورِ
أغمرُ الأجيالَ باللحنِ المثيرِ
أغمرِ الأجيالِ لحناً بعدَ لحنِ
وأغنـّيها ، فيصبيها التغني
آهِ لو تسبرُ أعماقَ همومي

*

عدتُ كالأطيافِ في جفنِ المساءِ
أنقلُ الخطوَ بسخرٍ وازدراءِ
عدتُ لا ألمحُ غيرَ الظلماتِ
وانا فيهنَّ ... مجهولُ السماتِ
من انا ؟من أنت ؟من نحن ؟سرابُ
تائهٌ في البيدِ ، يعروه اضطراب
يسألُ السّيلَ وللسّيلِ سكونُ
أيّها الآثمُ ، دنيانا جنونُ
أيّها الآثم ، لا تعبثْ بدائي

*

عدتُ ، لا أعلمُ ، هل جئتُ وحيدا؟
أتـُرى نفسيَ تهوى ان اعودا ؟
اتراني أدركُ اليومَ وجودي ؟
أم تـُرى أنفضُ أغلالَ جمودي ؟
كيف حطّمتُ بنفسي ذكرياتي ؟
كيف مزّقت بظفري امنياتي ؟
كيف قطّعتُ بنسياني عروقي ؟
كيف ضيعت الى النورِ طريقي ؟
كيف اصبحتُ لآلامي وقودا ؟

*

عدتُ ، لا اسألُ من أين أتيتُ
يا لوَهمي ، انا من وهمي ارتويت
كيف لا أعلمُ أني عبد نفسي ؟
كيف لا اعلمُ انيَّ طوع حسّي ؟
انا عبدٌ خانعٌ يرقبُ عبداً

أيُّها الليلُ أفقْ ، لا كنتَ سهدا
لا تسلني ، ضعتُ في بيداءِ ظني
خلني يا الليلُ ، مخموراً بحزني
كلما مرّت بي الذكرى ، صحوت

*

ايُّها الكوخُ أفق ها جئتُ وحدي
حدّق الآنَ ، الا تلمحُ وجدي ؟
عدتُ للأمس ، وبي شوقٌ عميق
حانقاً ، يحملُني السرُّ العتيقُ
ههنا كنتُ ، وكانت ذكرياتي
حلوةً كالفجر ، لفَّ الربواتِ
ههنا غنـّيتُ ، فاهتزَّ غنائي
ناشراً انفاسَ روحي في الفضاءِ
ههنا روّيتُ احلامي ومجدي

*

انا يا كوخُ ، على البعدِ صديقُ
اشتهي ظلـّكَ ، والظل أنيقُ
في ثناياكَ أرى حُلـْمَ الشبابِ
هاتكاً بالنورِ اعماق اكتئابي

أيها الكوخُ أأمشي ؟ كيف امشي
وانا الشاعرُ ، عُمري ، همس نعش ؟
ايها الكوخُ تمهّلْ ، لستَ تدري
إنَّ في قلبيَ ناراً ، ذاتَ جمرِ
وصبوحي في دجى اليأس ، غبوقُ

*

ايها الكوخُ ، ألم تسمع ندائي ؟
ايها الكوخُ ، الم تلمحْ شقائي ؟
عزلةٌ ، أشبه شيءٍ بالمهاتِ
وانطواءٌ ، شدَّ للقبرِ حياتي
وحنينٌ عاصف ، يجتاح روحي
خلته في الليلِ آهاتِ جروحي
آه لو تعلم ما بي من جنونِ !
آهِ لو تدركُ اسرارَ شجوني !
لتهاويتَ بكاءً ، لبكائي

*

لست أدعوكَ لبثّي ، وارتياعي
انا في البيداءِ خمريُّ الشعاع
انا لا ادعوك للحزن العميق
للكآبات ، لآلامي ، وضيقي
لست أدعوك ، ولن ادعو غيركْ
لفك النور ، وشمَّ الطيب زهرك
انا ادعوك فهل تسمع قولي ؟
انا ادعو بعضَكَ اليومَ لكُلّي
ايها الكوخ ، ايغريك التياعي ؟

*

أأغنـّيكَ الاناشيدَ العذابا ؟
وانا اشربُ في البيد السرابا ؟
لستُ ابكيكَ ، ولن ابكيَ مثلكْ
آفةُ المحزونِ ، أن يفقدَ ظلـّكْ
سأغني كلَّ ارضٍ وسماءِ
ذكرياتٍ ، هنَّ في القلبِ دمائي
سأغني أيّها الكوخ الدهورا
نغماً ، يترعُ هذا الكونَ نورا
نغماً ، يلهبُ بالشوقِ السحابا

السمفوني الراقصة للآلهة

هذا عظيم وغير معقول ! ليقال ان الدار ستنهار « غوتيه »

بقلم غانم الدباغ

✻

في عام ١٨١٢ ، ونابليون يتقدم بجحافله الجرارة في اصتاع الروسيا ، كان (لودفيج فان بيتهوفن) يستجم في حمامات (توبليتز) من اعمال بوهيميا حيث التقى هناك بـ (غوتيه) وانعقدت بينهما اواصر الفة واعجاب متبادلين ، كتب سمفونيته السابعة (Symphony No 7 in A major).

اني ليملأني الهلع اذ اتحدث عن هذه السيمفونية — كما كان الهلع يملأ نفس غوتيه لدى سماعه اياها — فليس في طاقة اي كائن بشري ان يتحدث عن وقع الخوارق التي صنعها هذا العبقري ، دون ان يتخاذل قلمه ، وترتعش افكاره خشية الزلق ، وشعوراً بالضآلة تجاه هذه الامكانيات الهائلة ! وخوارق بيتهوفن عدا انها ترغم الانسان على الانكماش والانحناء ، فانها تأخذه في متاهات تنهش من ذهنه الكثير ، وقد تغرقه في دوامات متوالية من التساؤل والحيرة العجيبة عن السر الجبار والقوى المحيرة العميقة تكمن وراء هذا العملاق الفني الغارق في الغموض والابهام .

كانت السمفوني السابعة ، احب سيمفونيات بيتهوفن اليه ورغم انه ألفها ابان اشتداد الصمم عليه (وعبقرية بيتهوفن كلها تجلت في فترة الصمم) الا انها جاءت كأروع اثر موسيقي خارق في عبادة الرقص اوصلتها الى مصاف الآلهة ، وهي تقف مع سيمفونياته الثالثة والخامسة والتاسعة على صعيد واحد .

وقد انشق الناس والنقاد معاً على انفسهم في الحكم على هذه السمفونية فمن قائل كـ (فاغنر) الموسيقار الالماني الكبير : « انه وصل بها الى مصاف الآلهة ! » او « انه جدير بمستشفى المجاذيب » كما قال الموسيقار (كارل ماريافون ويبر) ؛ ولكن التاريخ الفني للموسيقى العالمية ، وقف حكماً بين هذه المتناقضات فاعطى السمفونية السابعة سمة الخلود الدائم ، كما اعطاها لموسيقى بيتهوفن قاطبة كأروع ما خلدته العبقرية البشرية منذ عرفت الانسانية الموسيقى حتى اليوم .

ان الصدى الذي تلقاه هذه السمفونية في نفس السامع ، والاستجابة الواعية التي تشده اليها بحتمية الابعاد العريضة ، والعمق الغائر الذي يفرضه التوزيع الاوركسترالي حين تتفجر الحان بيتهوفن على الآلات تخلق صوراً مثالية تتجسم في الحركة الاولى من السمفونية (Poco Sostenuto) التي تتفتح ببطء ثم تنبثق في امتداد بهيج لنغمين عملاقين يتجاوبان ويندفعان بتماوج مسترسل هادىء حتى يستحيل اللحن الى نغمة رتيبة ليطول تكرارها على جميع الآلات اكثر من خمسين مرة ، ولا تلبث ان تهرع منطلقة متدفقة مبهجة تعلو وتعلو كطبقات الغيوم في يوم ربيع صاح تتناثر غيومه البيضاء ، متلونة بانغام تصدح بها كل الآلات ، وقد اراد بيتهوفن ان يصور هدوء الحياة وصفاء الزمان لقوم تناوبت عليهم سعادات متكاثفة مهللة ، تحوطهم نسائم آمال مرفرفة ؛ ولكن سرعان ما يؤخذ السامع بانتقال بطيء تمهد له الاوركسترا بنغمات عميقة تملك المشاعر وتكاد توقف نبضات القلب ! فتغرقه في فيض من اللهفة التي تنساب منطلقة تأخذ عليه حواسه المدركة كلها ، فتملكها اسيرة وتقيدها في مطلع الحركة الثانية (Allegretto) ؛ فكأنما عصف عاصف بذلك الهدوء والمرح اللذين كانا ينسابان في بداية السمفونية ، فتروح الآلات الوترية تعزف على القرار لحن ايقاع موحد للحركة بأجمعها ، وتحس شيئاً فشيئاً بانك مسلوب الارادة مشلول التفكير ، فاقد الوعي ، او كأنما الجمال الذي كان يحوط الكون والمخلوقات ، قد هوت به اعاصير فتاكة ملتهبة احرقت سندس

الارض واقحلت نضار الطبيعة فاحالتها الى بلقع يباب لاتحس معها الا بهمسات اشباح سود استترت وراء انغام رهيبة تعوي وتندب البشرية [1] .

واخشى ان اقول ان الشعور الغريب الذي ينتاب السامع ويدفعه دفعاً لدن سماعه تلك النغمات وفي لحظات انسجامه الكامل معها وفناء شخصيته وذوبانها في اللحن هو حزن غامض عميق يكاد يصل به الى حد البكاء والنشيج !!

إن الايقاع الفذ الذي تطبعه هذه الحركة في النفس تستل منها كل قوى المقاومة والتماسك ، فلا تلبث ان تهزه وتدفعه دفعاً الى رثاء نفسه ونعيها دون ان يدري لذلك سبباً ، فحدة النغم وقوة الصورة التي يخلقها للحزن البالغ العنيف كل ذلك يحيل له عبث الخلق والوجود ، فيصبح وكأنه يستطيب الالم وتستلذه كافة جوارحه الى اقصى مدى يصل اليه شعوره الحي ، وقد يتمنى في تلك اللحظة ان ينغمس في آلام تمتد به وتطول ولا تنفك عنه ابداً ! فاجزاء تتفتت من كيانه وتمسي مأسورة بشدة لا عهد للضعف البشري ان ينوء تحتها ابداً ، ويتضاءل شعوره بالاحساس المادي لكل ما يحيطه ، فلا يسيطر عليه الا احساس واحد ، هو الحزن ، والحزن الدفين الذي يشعر به في نشوة غريبة . ويروح اللحن يستثير وينبش كوامن آلامه الراقدة في وعيه النائم ، عويل ! كأنما تحفر اصواته قبوراً .. احزان ! تستطيل وكأنها تبعث من هذه القبور موتاها .. فاذا بهم احياء تتصاعد معهم كآبة هائلة غامضة ، ذكريات تتدفق لاحباء قضوا ، اجواء مربدة عابسة ، تصرخ من كهوف عفنة ، مزيج متماسك متلاحق من لذاذات مبهمة يشوبها الم ساحق يدق حتى العظام . !

وتتداعى الحان الوتريات ، فتروح تئن وترتفع في نحيبها حتى تعصف بنا الآلام وكأن بيتهوفن يشفق على السامع من الانهيار ، فيدفع به الى هاوية عميقة لا قرار لها من الظلام المنغم ليستلقي مع اللحن المتعب في استرخاء مريع حتى تحتضر الحركة بعد حين .. !

وكأنما قد طهرته هذه النوبات من الالم العبقري منبئة عن صبح جميل ينشر البهجة ، ويعتصر الفرح من قلب الشقاء حيث تبدأ الحركة الثالثة (Presto) التي تضفي عليها السرعة طابعاً مرحاً فتنطلق الالحان التي كانت حتى هذه اللحظة ، حبيسة الشهيق والنشيج ، ودفينة الكآبة المرعبة من آسارها لتشرق عليها شمس يخيل الى السامع انها كانت غائبة دهوراً .

(١) يقول الدكتور « محمود احمد الحفني » في تحليله لهذه السيمفونية ، ما مجمله : « ان الاصوات الرهيبة هي عرض لاشباح أسرى الحرب ، والمرحة هي اللحن المعبر عن السلام » ا ، هـ. والحرب والسلام مشكلة انسانية واقعية عاصرها بيتهوفن زمن الحروب النابوليونية في اوربا . غ. د.

وقد شهد النقاد بروعة هذا الانتقال وبأنه شيء فذ في عالم الالحان . فالتوفيق بين لحنين متضاربين متعاكسين احدهما يندفع في قوة مؤلمة ، والآخر في مرح عنيف مسرف الى حد الروع يتملك سامعه الهلع لأشراقه وانطلاقه ، كما تعود (وحدة الايقاع) التي كانت تصاحب الحركة الاولى تتهاوى مع جو السمفوني لتطبع أذن السامع على ايقاعها الرتيب .

وفي الحركة الرابعة (Allegro Conbrio) — وهي الاخيرة — تبهرك حدة العزف فيها ، والضربات المتلاحقة المتدافعة بتداخل اكثر مرحاً واشد وقعاً ، وقد اراد بيتهوفن ان يصور فيها عيداً من اعياد (باخوس) اله الخمرة واللذاذات للانسانية ، كما قال هو عن نفسه : « انني باخوس الذي يعصر الخمر اللذيذة للانسانية ، انا من اهب البشر جنون الروح الآلهي ! »

ويعقب (رومان رولان) على هذا بقوله : « ان هذا الموضوع قد فكر فيه بيتهوفن على اية حال ، ذلك ما نجده في مفكراته وخاصة في مشاريعه عن سيمفونية عاشرة » [2] .

ويصف (رومان رولان) كذلك هذه الابتداعية الجديدة غير المألوفة في سيمفونيات بيتهوفن ، فيقول عن هذه الحركة الرابعة — : « لكني اعرف في هذا الفرح الجموح علامة ميراثه الفلمندي ، مثلما اجد اصله في الحرية الجريئة التي تتحلى بها لغته واخلاقه ، هذه الحرية التي تؤلف نشازاً رائعاً في بلاد النظام والطاعة ليس في اي مكان قوة صراح حرة اكثر مما في السمفونية السابعة ، انه تبذير مجنون للطاقات البشرية عبثاً ، لمجرد التسلية تسلية نهر يفيض ، ويغمر كل شيء » .

(٢) لم يكتب بيتهوفن سوى تسع سيمفونيات ، والعاشرة لم يتح لها الظهور لانه مات قبل أن يشرع بتحقيقها .

*

المصادر :

(١) Vie De Beethoven, Par, Romain Rolland
(٢) الموسيقى السمفونية — حسين فوزي — دار المعارف بمصر — ١٩٥١ .
(٣) محاضرات اذاعية للاستاذ صبحي المحاسب من راديو دمشق في اعوام ١٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ .
(٤) لودفيغ فان بيتهوفن — دكتور محمود احمد الحفني — مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٤٤ .
(٥) انطباعاتي الشخصية عن السيمفوني السابعة (وخاصة عن الحركتين الثانية والرابعة) من تسجيل على اسطوانات (His Master's Voice) لفرقة (نيويورك للسمفوني الفيلهارمونية) بقيادة (ارتورو توسكانيني) .

مرآة بلا زجاج

بقلم محمد حيدر

مهداة الى يوسف الشاروني صاحب «دفاع منتصف الليل» * تحية اعجاب

سيداتي : نشرة الاخبار تأتيكم بعد هذا الفاصل الموسيقي .

وتراخى في خمول على الكرسي ..
واخذت تطوف بذهنه اشباح باهتة مبهمة ، وشرد بعيداً ، بعيداً عن الجو الذي يعيش فيه ، عن هذه الغرفة المغلقة ، وجدرانها التي لا يخترقها الصوت .

وتلاشى عالمه الصغير من امامه : الطاولة ، والميكروفون ، والضوء الاحمر ، والاخضر ، والمراقب المطل عليه من وراء الزجاج .

وتخيل الجمهور الذي يخاطبه ، اولئك الذين يقبعون كل يوم وراء المذياع ينتظرون سماعه . مخلوقات متباينة ، تتثاءب في كسل بليد وتتكوم على الارائك .

انه مجهول بالنسبة اليهم ، كمية مبهمة تعيش في الظلام .. انهم لا يعرفون شيئاً عنه ، لا يعرفون سوى صوته واسمه ، الذي يتردد دائماً . مجرد احرف فارغة ، الفاظ بلا رصيد .

كل شيء في حياته يتكرر بلا انقطاع ، يتكرر بنفس الرتابة :

سيداتي . . سادتي ، ويلمع الضوء المعلق على الباب ، ويبدأ الفاصل الموسيقي ، ونشرة الاخبار بين يديه ، وينتهي الفاصل ويلمع ضوء آخر ، احمر ، انه اشارة البدء . . ويقرأ . .
لقد بدأ الفاصل الآن .

✱

كم مرة دوى هذا اللحن ، وعاد يسمعه من جديد .. مئات المرات سمعه من قبل . لقد اصبح يطن في اذنيه بلا معنى ، مجرد اصوات .. انه لا يفهم شيئاً منه ، لقد فقد الاحساس واصبح كالآلة ، جزء من الآلات التي يغذيها . اصبح كائناً سلبياً ، ليس له اي دور على الاطلاق .

انه محبوس في غرفة ، مقيد بهذه الطاولة ، بالكرسي ، بالضوء الاحمر ، بعقارب الساعة ، والميكروفون هذا الابكم الرهيب ينتصب امام عينيه كحبل المشنقة .

انه يحصي عليه انفاسه ، وينقل كل شيء يقوله . ليته يستطيع ان يتحرر منه ، من هذه الآلة الجامدة ، الصلة الوحيدة بينه وبين الناس .

* قصة نشرت في الاديب .

ان العذاب المذ الذي عاناه السامع في الحركة الثانية ، والتشنجات النفسية ، والعويل الذي تطلقه عبقرية كائن معذب على الارض يغرق فيها وهو اسير وادي الآلام تقرب كلها الى حواسه الغائبة في تهاويل النغم العنيف (مطهر دانتي) في (كوميديته الالهية) فتخرج بها الى عوالم اخرى تتشرب اللذة مذهباً تحقق بالمسرات الهائمة فهي خمر ، وزهور ، وعطور ، ورقصات لكاهنات روما واثينا ، وهي ارواح هائمة جنحتها الانغام ، فاستحالت الى عفاريت شكسبير في (منتصف ليلة صيف) تتخاصر وتتراكض في توافق وتناغم ساحرين ، تجري طوراً مسرعة ، او تخفف وطأها لدى عرش (باخوس) في في رشاقة خرافية ، وكأنها تعب من كأس هذا الاله الماجن ، وتغرق في خمرته الروحية حتى يصل بها الى سماء (جوبيتر) السابعة ولا عجب ان يقول عنها الناقد المعاصر (ريشارد ليونارد) : « ان هذه السمفونية اعظم سيمفوني خطتها يد البشر ! » .
وتبدو نزعة التطهير من أدران النفس والخلوص الروحاني في رغبة عارمة ، من ملكوت الارض ودنس الانسانية ، في تصوف رهباني معبر ، جلية واضحة في هذه السمفوني ، اذا قورنت مع السيمفونيات السابقة لها من الاولى حتى السادسة والتي تلحظ في بعضها الصراع الجبار مع القدر (الخامسة) او تصوير مثاليات البطولة الانسانية في (الثالثة) او تناقضات الحياة والطبيعة (بالسادسة) فقد عبرت كلها عن صراع نفسي دام ، عاناه بيتهوفن في حياته العاصفة حتى انبثقت من هذه الآلام التي انكبت تتوالى عليه من قلب وأد اكثر من حب ، وصمم اغلق عليه شخصيته الاجتماعية فطواه في احضان عزلة ابدية واشعره بنقص فظيع في تكامله الخلقي ، وانهيارات مالية تتفاوت في ضرباتها له ، احاطت كل ذلك شهرة ذائعة لم يكن يهفو اليها قدر ما كان يهفو الى ابداع السيمفونية الخلاقة في عالم موسيقي موحد يوصله الى جو عبقري يسبح في قدرة هادرة محركة ، تنبض بحياة متفوقة ، جسمها بجنون خارق بالسمفوني السابعة الراقصة للآلهة .

العراق — الموصل

غانم الدباغ

ترى ما الذي يربطه بهذا العمل ؟ الايستطيع ان يجد عملاً آخر ؟ ان يعيش بغير هذه الوسيلة ؟ لا .. ليس هذا بعذر ، السبب الحقيقي هو انه لا يستطيع هجر هذا العمل ، لا يستطيع ان يعيش بدون اسم كفرد عادي في الحياة .

انه مرتبط باسمه ، بشهرته الفارغة ، وان يسمع الناس صوته . انه يؤكد وجوده بهذه الوسيلة ، ويرضي غروره ، آلاف المستمعين يعرفونه ، انه يمشي بخيلاء في الشارع ، وعيون المارة تتركز عليه . انهم يشيرون نحوه ، لم يعد مجرد انسان على الهامش ، لقد غدا شيئاً مهماً في الحياة . لكنه يعلم من اعماقه انه يخدع نفسه ، ان شهرته كطبل اجوف ، اصوات وضجيج ، مجرد اطار فارغ ، كمرآة بلا زجاج .

لقد صار الزمن يتحكم في حياته ، متى يحين موعد قراءة الاخبار؟ متى ينتهي ؟ وبرنامج ما يطلبه المستمعون ، لقد صار يحفظ غيباً اسماء كل المطربين والمطربات .

ان عقله يدور مع هذه الاسهم الصغيرة .. عقارب الساعة انه عبد الزمن .

لقد فقد شيئاً من ذاته ، واصبح جزءاً من هذه البرامج نشرة الاخبار ، وتربية الاطفال وحالة الطقس ، واغاني عبد الوهاب . هذا الخليط الهائل ، لقد اضحت نفسه مسرحاً لمختلف الاشياء . وعاءً يحتشد فيه نتاج الآخرين .

عال !! الموسيقى ، والاحاديث ، وجولة الميكروفون .. وقصة هذا الاسبوع ، اية علاقة بينه وبين اسعار العملة ، والطقس خلال الاربع والعشرين الساعة القادمة ؟

لقد اذاع قصة في الاسبوع الماضي . انها لم تعجبه اطلاقاً ، وكان يشعر بضيق شديد اثناء القراءة ، انه لم يفهم شيئاً منها . كم تمنى لو يمزقها ، ولكن عليه ان يخضع للواقع ، لقد تأخر صاحبها وطلبوا منه ان يقرأها بدلاً عنه ، يقرأها بلهجة رائعة ، وان يلاحظ الفواصل والنقط .

طلبوا منه ذلك دون ان يهتم انسان بامره ، دون ان يسألوه عن شعوره . عليه ان يكون آلة لا تخطىء . عليه ان يقرأ كل شيء ، سواء كان يحبه او يكرهه ، انه عبد . عبد لهذه المهنة .

لو انه كان معلماً ، انه يستطيع ان يتأخر ، الا يحضر مطلقاً ماذا يفعلون؟ ليحسموا من مرتبه ، المهم انه حر . لو انه كان بائعاً ، انه حر ان يبيع او لا يبيع . لو انه عامل ، اي شيء من هذا . اما هذه المهنة فقد استعبدته نهائياً وافقدته حريته ، لقد اصبح آلة حتى في حياته الخاصة . انه يتحدث مع اصدقائه كأنه يتحدث من وراء الميكروفون ، ويصحح اخطاءهم اللفظية دون ان يشعر .

عمل دائم لا ينقطع ، وحياته تذوب رويداً ، اي شيء بعد هذا ؟ الا توجد نهاية ، نهاية لهذا العمل المضني ؟

انه يمتص ايامه ، يوماً بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ، وثانية بعد ثانية . حياته رتيبة ، تدور كل يوم نفس الدورة . لاجديد فيها ، كهذه الساعة المصلوبة على الجدار .

كانت عقارب الساعة تزحف على السطح الاملس ، ولكنه يحس انها تزحف على دماغه .

اقرأ ، وعليه ان يطيع ، ان يقرأ كل شيء :

حادث تصادم في الهند ، وضحايا الفيضانات في امريكا ، واجتماع هيئة الامم .

ماذا تفيده هذه الأمور ؟ ويذهب عقله بعيداً ، بعيداً جداً ويتخيل هذه الحوادث . انها مجرد احرف في ذهنه ، ولا تعني عنده اي شيء .

العقارب المسجونة تدور حول المحور الثابت . وتضيف الى ايامه ساعة جديدة ، زمناً جديداً ، تضيفه الى رصيده الميت ، الذي يتكدس في اعماقه كالرصاص .

هو الآخر يدور حول محور ثابت : الميكروفون . انه لا يستطيع ان يبتعد عنه ، او يتخلص من سحره العنيف ، فهو يلاحقه اينما ذهب ، ويسيطر عليه باغراء لا يقاوم .

لقد حاول منذ مدة ان يفلت قليلاً منه ، وكانت لديه اجازة لعدة ايام ، فذهب لمدينة اخرى ليقضي اجازته .

كان سعيداً في بداية السفر ، ولكنه شعر منذ اليوم الاول بفراغ حقيقي ، وان شيئاً من ذاته قد اختفى ، فقطع اجازته وعاد ليقضي بقية ايامه في الاذاعة بجانب الميكروفون ، وبين نشرة الاخبار بالسرعة الاملائية ، واسعار العملة ، وحالة الطقس خلال الاربع والعشرين الساعة القادمة .

وشعر بانفاسه تضيق ، وبالافكار تختلط في رأسه ، فانتفض بعنف ، وخبط على الطاولة التي امامه بعصبية زائدة .

وفي هذه اللحظة ، كان قد انتهى الفاصل الموسيقي ولمع الضوء الأحمر ..

سيداتي .. سادتي : اليكم نشرة الاخبار ..

دمشق — محمد حيدر



خائفة

في كل حركة منها : خوف

لعبد الهادي البطل

•

سوريا — دوما



مُدّي لي كفك ، فحلقي مبلول ، وفي جعبتي الف لحن لم يُغنَّ!
لا تخافي الآتي،فالآتي مجهول، نحن نجسّدُ المجهول..نخلقُ منه ما نريد!
ابوكِ لا يخيف ، وكذلك الرفاق الذين حولنا،والعالمُ في شغل عنا.
وفي الليل يغفي الجميع ، وتُغلقُ العيون،وتهدأ الالسنة وتمحى صورتانا من خيالات الآخرين ...

فالآخرون ، ينسوْن ، ينشغلون باحلامهم .

نحن للآخرين .. آخرون !

*

توهمينني،تكذبين على نفسك تخافين ناس الشارع،تقولين: «متحجرة»!
اسمعي إذن هذه الحكاية من ضيعتنا :

« مرّةً » ، ما أراد زرُّ وردة جوري ان يُفتّح بالصيف . قال لأمه : يا امي لا تشربي من ماء النهر ، حتى لا يرتويَ ثوبي ، فينفتح فيسرق شعاعُ الشمس عِطري . عطري يا أمي غال ، لا تشربي من ماء النهر ، حتى يجيءَ الثلج ، ويهرب شعاعُ الشمس .

...ومرَّ عاشقان،على صدريهما زران من ورد الجوري،مفتّحان،
قالت الام : اري يا ابني زرّين — منْ جيلِكْ — في احلى مكان ينشران العبير .

عطرُكَ اطيب من عبيرهما ، إنْ تركتني اشرب من ماء النهر ، رُويتُ ، وانخلعَ ثوبُك عنك ، وقد تقطفك عروس ، وتجعل منك تاجاً على رأسها .

قال زرّ وردة الجوري الخائف : لا تشربي من ماء النهر يا أمي فوقت تجيء الثلج ، ويصقع شعاع الشمس اخلعْ ثوبي الاخضر ، وأبسط يديّ وانثر عطري في الاثير ، ليأتي الينا الخاطبون ...

وكانت الأم المسكينة ، تحب ولدها الزرّ الصغير ، فما شربت من ماء النهر .

ولما هربت الشمس وخبأت في حضنها شعاعها ... ولما ركبَت شقفات الثلج بعضها ، لتغطيَ الارض ، حاكى زرّ وردة الجوري امه ... فما ردت عليه .. كانت .. ميتة !

ومرَّ عاشقان . قالت الصبية : ما ابشع هذا الزر الاصفر على هذه الشجرة اليابسة . لونُه اصفر .. مثل الموت !

ما احلى ازرار الورد ، المفتحة بالصيف ! »

...تلكَ حكاية من ضيعتنا، امي روتها وقت كنت طفلاً! وانتِ ، يا حلوة الآن ، ما اشبهك بزر وردة الجوري...زر وردة الجوري ، الذي خاف من الشمس،ووقتَ احبَّ ان يفتح في الشتاء كانت امه ميتة..
وماعاد لزر وردة الجوري الخائف،قريب،يشرب له من ماء النهر المسحور
فمدي لي كفكِ ، فحلقي مبلول وفي جعبتي الف لحن لم يغنّ !

في كلمات ...

● اعلن المجلس البريطاني للابحاث في كولومبيا كندا ان الدكتور غوبيند خورانا العالم الهندي البالغ من العمر ٣٢ عاماً الذي يعمل مع المجلس قد اكتشف طريقة من شأنها ان تخفض تكاليف انتاج بعض المواد الكيماوية الهامة المستخدمة في ابحاث السرطان. وقد صرح الدكتور خورانا انه لم يكتشف مادة عضوية كيماوية ولكنه انمى طريقة انتاجها صناعياً وهذا يعني ان امر اكتشاف علاج للسرطان قد اقترب بذلك عدة سنوات .

وهذه المادة هي خميرة الهضم التي تعتبر من اهم المواد المستخدمة في ابحاث الشفاء من السرطان اذ انها ضرورية لنمو الخلايا السرطانية ، وكان العلماء يحصلون على المادة بعزلها عن الانسجة الحيوانية بطريقة معقدة كثيرة التكاليف .

● جاء في تقرير رفعه الدكتور دوان كار من جامعة تنيسي الى جمية الاطباء الاميركية ان الفحص الاعتيادي باشعة اكس لصدور الاشخاص السليمين في الظاهر قد اثبت فائدته في اكتشاف الاصابة الحديثة بسرطان الرئة وبذا ساعد على معالجتهم وشفائهم واشار الى ان في استطاعة السرطان الفتك بضحاياه الى مدى بعيد قبل ان تظهر عوارض كالسعال والربو او الاوجاع الصدرية .

● اعلن عن اكتشاف عقار جديد لمكافحة مرض السل . وهذا العقار الجديد من مشتقات الـ « ايزونيازيد » الذي استعمل في مكافحة السل بنجاح خلال العامين الماضيين .

وتدل التجارب الاولى التي اجريت على اربعين مريضاً مصابين بالسل في احد المستشفيات في امريكا بان الدم يمتص هذا العقار الجديد ببطء ويحتفظ به لمدة اطول مما يطيل مفعول الجرعة الواحدة منه ، ولم تلاحظ اية اعراض تسممية للعقار السحري الجديد الذي لم يعلن عن اسمه بعد.

● اعلن مفوض الصحة العامة الدكتور البرت هوستيس نبأ اكتشاف علاج وصفه بانه العلاج الاول الذي عرف حتى الان للقضاء مئة بالمئة على مرض التيفوئيد والعلاج الجديد هو من نوع « انتيبوتيك » ويدعى سيناميتين وقد اكتشف في مختبرات دوائر الصحة بولاية ميتشغن بامريكا بعد تجارب خمس سنوات. وقد اوضح الدكتور هوستيس ان تجارب هذا العلاج طوال مدة شهرين على المصابين بهذا الداء قد نجحت مئة بالمئة. وقال انه اول علاج خاص لمكافحة مرض حمى التيفوئيد واشد فعالية من اي علاج آخر عرف حتى الان.

● دلت التجارب التي قام بها الدكتور هونالد ناور لمؤسسة الامراض العصبية الاهلية التابعة لوزارة الصحة الاميركية على ان ملح الاميدو المعروف باسم اسبارا جين يمكنه وقف الاضطرابات العصبية المخية المسببة للصرع وانه اذا اخذ المريض جرعات يومية معينة من هذا العقار بعد اتمام التجارب الخاصة بصنعه، امكن كبح جماح النوبات وتقليلها كما تفعل حقنة الانسولين مع مرض السكر .

● بعد عشرين سنة من التجارب والاختبارات التي قام بها فريق من العلماء في جامعة هارفارد توصلوا الى استنباط آلة لفصل الدم تستطيع ان تستخرج مركبات من الدم لمكافحة الامراض لا تقدر قيمتها بثمن من دم الاصحاء الذين يتبرعون بها لاستعمالها في معالجة المرضى .

● يقول الدكتور اتلاند المتخصص في دراسة الاوبئة ان استخدام بعض انواع الصابون ومعاجين الاسنان ذات الرغوة يهيىء تربة خصبة لجرثومة شلل الاطفال .

ففيروس شلل الاطفال يتركز على البشرة بعد تبللها بمياه ملوثة ، ويتحرك صوب النخاع الشوكي بعد تفتح المسام باستعمال الصابون او معاجين الاسنان .

● تمكن الدكتور زاكرن استاذ الطب الباطني بجامعة طوكيو من اكتشاف علاج ناجع لقرح المعدة والاثني عشر .

ولم يكن العلاج بدواء معقد التركيب ، انما كان بمسحوق درنات نوع من البطاطا اسمه العلمي ابولورا ينمو بالصين واليابان وله خاصية الاتحاد بحامض الكلوروديك الموجود بالمعدة وتشربه عصارتها الزائدة المعروفة بالبيبسين .

فقد ذكرت المجلة العلمية نوهو كس ان الباحث عالج خمسة عشر مريضاً بقرح في المعدة ، وخمسة مرضى آخرين بقرح في الاثني عشر ، باعطائهم جميعاً غرامين من مسحوق البطاطا خمس مرات يومياً لمدة ثلاثة ايام متوالية ثم ثلاث مرات يومياً ابتداء من اليوم الرابع للعلاج وكانت نتيجة العلاج كالآتي :

ظهرت علامات التحسن على المرضى جميعهم قبل انقضاء اليوم السابع للعلاج .

— ابانت الاشعة السينية التئام القرح تدريجياً وكانت اقصى مدة لالتئام وشفاء اكبر هذه القرح خمسة اسابيع .

— بعض هؤلاء المرضى كانت نسبة الحموضة بمعداتهم مرتفعة جداً فعادت حالتهم طبيعية بعد اسبوع واحد من العلاج .

— لم تظهر على المرضى اية تأثيرات ضارة خلال فترة العلاج سوى تعرضهم لامساك طفيف.

ويعزو الدكتور هذه النتائج الى وجود مادة فعالة بمسحوق البطاطا تحتوي على نسبة قليلة من الكربوهيدرات وكبيرة من البروتين .

ويمتاز هذا النوع من البطاطا بارتفاع قيمته الغذائية ايضاً ، فهو غني بالمواد المعدنية ، اذ ان المئة غرام منه تضم ١ ، ٢ ٪ منها ٤٠ مليجرام

لها ما خسرته . ويصف الى ذلك ، نظاماً غذائياً خاصاً في المأكل والمشرب .

ولديه من اختبارات السنين ما يشجعه على المثابرة في اتباع طريقة العلاج هذه. ويذكر ان الكثير من مرضاه على الرغم من المقاومات التي واجهته ، قد تماثلوا الى الشفاء ، وقلت اوجاعهم السرطانية او زالت.

وما دامت العلة في الهورمونات، فالهورمونات وجب ان تعالج. والذي هيأ للدكتور لوفا هذه الفكرة واكدها ، ان السرطان غير معد، وانه وراثي... وانه يعود الى الظهور بعد الاستئصال مما يدل على ان البؤرة السرطانية ليست مصدر السرطان قطعاً. فالمصدر كامن في بقعة اخرى من الجسم لم يمسها المشرط ولم تتحسن لدى استئصال الداء البارز ، بل بالعكس زاد خبثها ، كما نرى في معظم الحالات التي اجريت لها جراحات .

اما المعالجة بالاشعة ، فهي محبذة في رأي الدكتور لوفا ، لانها تزيد كمية الاوكسجين .

ومن الصدمات المعروفة للغدة فوق الكلوية قلة مادة الاوكسجين التي تهيج الغدة فيتضاعف افراز الهورمونات، ويزداد بالتالي خبث السرطان.

ولما كان من فضائل الاشعة انها تزيد كمية الاوكسجين في الانسجة ، فاستعمالها محبذ في حالة السرطان .

ويتضح من هذا العرض، أن مصدر السرطان صدمة. وهي هذه الصدمة التي يجب معالجتها بواسطة الهورمونات. ومن الادلة التي تؤيد هذه النظرية ان الرجال اكثر تعرضاً لداء السرطان من النساء لانهم اكثر تعرضاً للصدمات .

وكان بدهياً ان اسأل محدثي رأيه النهائي في امكان الشفاء من هذا الوباء الخبيث، فاجابني على الفور: ان العلم لم يقل حتى الآن كلمته النهائية...

واضاف بحماسة ظاهرة : ولكن، لا بد من الوصول قريباً الى الجواب الشافي... الى الفوز!

فعسى ان يكون هذا القريب عاجلا ...

من الكالسيوم و٠٥ من البوتاسيوم وغرامين حديد.

كما تضم المئة غرام ايضاً ٣١٠٠ وحـــدة دولية من فيتامين (أ) و١٣ مليغرام من فيتامين (ج) ونسبة عالية من مجموعة فيتامين (ب).

● شرعت بعض الشركات الاميركية بانتاج آلة الكترونية جديدة تدعى « بالبترون » مهمتهـــا مساعدة الاطباء على قراءة نبض المريض بطريقة النظر اثناء العمليات الجراحية وخلال الحالات الاخرى بدلا من طريقة اللمس باليد المعروفة حتى الان.

● اقام العلماء البريطانيون الدليل على ان العقار الطبي اذا خفف الى درجة لا يبقى معها في المحلول جزيء واحد من جزيئات العقار الاصلية، يظل محتفظاً بشكل من اشكال الطاقة التي تؤثر على الخلايا الحية. ولا تتوقف قوة المحلول على درجة التخفيف وحسب بل وعلى نظام تطوري خاص في تحضيره.

ويظهر ان الطاقة الكامنة في العقار تنطلق وتتضاعف نتيجة لامتزاجه القسري بالسائل في كل مرحلة من مراحل تقدم هذا الامتزاج. وهذه القوة التي لا تعرف ماهيتها هي الان موضع الدراسة والتحقيق.

ولقد بلغت الابحاث التي استغرقت ١٥ عاماً في هذا السبيل ذروتها في السنوات الثلاث الماضية اذ اسفرت التجارب التي جرت في هذه المدة عن الدليل العلمي الذي يؤكد وجود هذه القوة التي هي جديدة على الطب أو العلم والتي مضى على العلماء وهم يتوقعون اكتشافها اكثر من قرن.

وقد جرت التجارب في مؤسسة بويد للابحاث الطبية في غلاسكو باشراف عدد من كبار علماء الفيزياء والكيمياء والكهرباء. واستغرقت التجارب النهائية ثلاث سنوات اجرى خلالها العلماء ما يزيد على الف اختبار بدقة متناهية.

وكانت الابحاث تنحصر بصفة خاصة في الجرعات المتناهية في صغر كميتها من الادوية والعقاقير المستخدمة في معالجة الداء بمثله. فالاطباء الذين يستخدمون مثل هذه الادوية للمعالجة يجدون انها ذات اثر فعال غير ان هنالك عدداً كبيراً منهم كان يشك في فائدتها.

وفي تحضير هذه الجرعات الصغيرة يضاف عقار خام الى سائل بنسبة جزء من العقار الى ٩٩ جزءاً من السائل. ثم يخض المزيج خضاً شديداً للحصول على الطاقة الاولية. ثم تضاف نقطة من هذا المزيج الى ٩٩ نقطة اخرى من السائل المخفف ويخض المزيج ثانية للحصول على الطاقة الثانية.

وتتكرر هذه العملية الى ان يزول اثر العقار الاصلي. وبلغت اقصى درجة لطاقة المخففات التي استخدمت في هذه التجارب حد الثلاثين وقيس هذا التخفيف رياضياً بواحد على واحد يتبعه (عن اليمين) ستون صفراً.

وفي احدى هذه التجارب استخدم مسجل الكتروني لنبضات القلب، اذ كان في وسعه ان يضع بين ايدي العلماء رسماً بيانياً دقيقاً متواصلا لنبضات قلب ضفدع اعطيت جرعة من «ستروفانتوس وهو عقار خاص بالقلب.

● نشرت المجلة الطبية البريطانية ان عمى الالوان ينتشر بنسبة واحد في ١٢ الف بين النساء، ويعلل العلماء ذلك بان المرأة تحتاج الى عاملين من عوامل الوراثة المحدثة لهذا النوع من العمى بينما لايحتاج الرجل الا الى عامل واحد.

كذلك ذكرت المجلة ان هنـــاك اناساً، لا يسمعون الاصوات الضعيفة الا وسط الضوضاء، وذلك لوجود كثافة معينة في مكان ما بالغشاء السمعي الذي لا يتذبذب الا عند حدوث اصوات مرتفعة وعند ذلك يمكن ان يؤدي عمله، فيستطيـــع الشخص سماع كلا النوعين من الاصوات القوية والضعيفة في آن واحد.

● استنبط طبيبان في معهد الصحة الصناعية بكلية الطب في جامعة مشيغان اول طريقة يعتمد عليها لقياس درجة تعرض الاشخاص لفقدان السمع بسبب الاصوات الصاخبة.

وهذا الفحص الجديد يسجل المرحلة الصحيحة التي يصبح فيها الصوت خطراً على الاذان. ووصف بانه بسيط وسليم العاقبة يمكن اتباعه في العيادات الطبية بالمصانع لفحص طلاب الوظائف في اقسام يكثر فيها الضجيج.

واذا دل الفحص على ان الطالب « ضعيف » الاذنين توصي دائرة الموظفين بتحويله الى قسم اخر. وهكذا يؤمن العامل ضد فقدان السمع

وتتجنب الادارة نفقــات التعويض عن التضرر اثناء الوظيفة .

● يقوم الدماغ الانساني ببث بعض الاهتزازات الكهربائية الصغيرة او الامواج الدماغية. وتقول مجلة « السانس دايجست » ان تكبير هذه الموجات وتسجيلها قد برهن على اختلاف نوعها عند كل شخص عن الاخر .

وعدم تبدل الموجة التي يبثها دماغ اي فرد كاف للخبير المجرب ليتعرف بشخصية صاحب الموجة وبما ان الموجات الصادرة عن التوأمين لا تختلف مطلقاً فمن المؤكد ان الاساس في نوعية الموجة الدماغية عند كل فرد قد انتقلت اليه بالوراثــة على الارجح .

● تحدث البروفسور مياسنيكوف في باريس لدرس اسباب اطالة عمر الانسان وعن الدور الذي يقوم به التبغ في الاسراع بحياة الانسان نحو النهاية ، وقال انه تبين للعلماء السوفيات ان فيتامين (د) الموجود بكثرة في الخضر والفواكه الطازجة يحمي الانسان ايضاً من تصلب الشرايين وذلك بانقاص المواد الدهنية الموجودة في الدم ، هذه المواد التي تسبب تصلب الشرايين .

وقد اجرى العلماء الروس تجاربهم على الارانب بعد اطعامهم مواد غذائية مليئة بالدهن . ولاحظوا ان فيتامين -د- ينقص الى النصف بسبب المواد ومنذ سنتين ، كانت تجري اختبارات في فرسوفيا على مختلف انواع الحيوانات . وجرى الاختبار ايضاً على ستين رجلا ، وتبين الطبيبان البولونيان فنوليه ومسكو ان هذا النوع من الفيتامين الذي يلعب دوراً هاماً للحيلولة دون اسراع الانسان الى النهاية ، قد نقص مفعوله الى النصف في دمــاء المدخنين ، وكذلك الاشخاص الذين يعيشون الى جانب المدخنين .

وتبين ان ثلثي النيكوتين الموجود في السيجارة ، ينفث في الهواء ، ويتنفسه الاشخاص الذين يجاورون المدخن وتحتوي السيجارة عادة على كمية من اكسيد الكربون ، تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ سنتمتراً مكعباً .

ويضيف الطبيبان البولونيان ان الكثيرين يتحدثون عن اضرار التدخين بالنسبة للمدخن ؛ ولكنهم لا يعطون اية اهمية للمحيطين به ؛ وهم غالباً يتضررون من الدخان كالمدخن بالرغم عنهم .

وقال الطبيب ان الحيوان يهرب من امام المدخن . ولكن الانسان يضطر الى مسايرة الظروف التي يعيش فيها الناس ؛ وبالتالي يضطر الى تنفس الدخان .

● قالت الصحيفة الادبية الروسية ان الحكومة السوفياتية تقوم الان باقامة محطة لتوليد الطاقة الكهربائية تدور بقوة الذرة اكبر من تلك التي تم بناؤها ، وهذه اول محطة ذرية في العالم تسخر لخدمة الصناعة والزراعة .

اما المحطة الاولى فتبلغ قوتها ٥ الاف كيلوات والمنتظر ان تكون قوة المحطة الثانية من ٥٠ الف الى ١٠٠ الف كيلووات ، وهذه الكمية من الكهرباء الذرية تكفي حاجة مدينة متوسطة ولا تكلف اكثر من ٢٥٠ غرام من عنصر اليورانيوم ، ومن ذلك يتضح ضآلة التكاليف .

وقد اضافت هذه الصحيفة بانه ما دامت الحال كذلك ، ففي الامكان اقامة مثل هذه المحطات الذرية في جميع انحاء العالم ، كما تنبأت بانه سيأتي يوم قريب تصبح فيه الطائرات والسفن والمحركات وشتى الوان المواصلات كلها تسير بالطاقة الذرية .

● صرح السيد جون جاي هوبكنز ، رئيس الـ « جنرال ديناميكس كوربورايشن » وهي شركة اميركية تعمل على استخدام الطاقة الذرية للامور السلمية ، قائلا ان سرعة انتشار استعمال الطاقة الذرية في الحقل الطبي كانت عظيمة جداً بحيث يقدر انها انقذت من الموت حتى الان ما يقارب من المئة الف مريض . فبواسطة الفوسفور ذي الاشعاع الذري الذي يوقف انتاج الكريات الحمر المتزايد في النخاع العظمي وينتج عنه مرض اللوكيميا الخبيث استطاع الاطبــاء ان يطيلوا عمر كثير من المرضى . وان احدى شركات انتاج الادوية الاميركية قد بدأت ببيع كبسولات من اليود ذي الاشعاع الذري الذي يوقــف اضطراب الغدد بدون اللجوء الى العمليات الجراحية .

وقد انتجت لجنة الطاقة الذرية كميات كبيرة من المواد ذات الاشعاع الذري المسماة راديو ايزوتوب للاستعمال السلمي اما الصناعة فهي الآن اكبر مستهلك لهذه المواد ويليها الطب وقد صدرت الولايات المتحدة ١٠٦٧٦ شحنة من هذه الايزوتوب في سنة ١٩٥٣ مقابل ٢٤٦ شحنة صدرت سنة ١٩٤٥ . وتعد كندا بين المصدرين الكبار لهذه المواد . وقد ذهبت شحنات الولايات المتحــدة لاربعين دولة من دول العالم كي تستعمل في الابحاث العلمية وفي تشخيص الامراض . ويستعمل الذهب والكوبالت ذو الاشعاع الذري في معالجة داء السرطان الفتاك ويستعمل ايضاً اليود ذو الاشعاع الذري في علاج الكثير من حالات الذبحة القلبية والامراض القلبية الاخرى .

● اعلن اليوم مختبر بروكهافن التابع للجنة الطاقة الذرية الاميركية ان الاشعاع الذري قد اثبت فعالية كبرى في حفظ البطاطا من العفونة والتلف لمدة كبيرة . ولاحظ المختبر ان هذه الطريقة الحديثة ليس لها اي تأثير مضر في حبوب البطاطا .

● نشرت « ناشيونال تسايتونج » في المانيا ، ان علماء الارصاد يطالبون بتحقيق دولي لمعرفة ما اذا كانت التجارب التي قامت بها اميركا لتفجير القنابل الهيدروجينية هي المسؤولة عن سوء حالة الجو خلال هذا الصيف ، وهو الاعتقاد الذي يسود الجزر اليابانية اليوم . كما طالب هؤلاء العلماء بتبادل المعلومات عن الحالة الجوية للوقوف على ما يحدث من تغيرات غير عادية .

● اعلن العلماء الروس انهم توصلوا الى اختراع ساعة « ذرية » وقد وصف راديو موسكو هذه الساعة الجديدة بانها تقيس الزمن بدقة متناهية تصل الى الواحد من مليون من الثانية خلال الاربع والعشرين ساعة .

وقد اضاف راديو موسكو ان الساعات المعروفة حتى الآن والتي تهتدي بحركة الكواكب لا تصلح لقياس الزمن في التجارب الفنية الدقيقة ، لان حركة دوران الارض ليست منتظمة تماماً ، بينما تجري عملية الانحلال الاشعاعي لبعض الذرات في الكون بطريقة منتظمة تماماً . وهذا الانحلال هو الذي بني عليه عمل « الساعة الذرية » ! .

● صرح روبرت لوبارون العالم البحاثة الذي عين مؤخراً مساعداً لوزير الدفاع الاميركي ان الاعمال تجري الان على قدم وساق في الولايات المتحدة لانتاج الطائرات التي تسير بالطاقة الذرية وقد تصل الى درجة الكمال خلال مدة تتراوح ما بين ست سنوات او سبع . واستطرد يقول في هذا الصدد .

اظن ان هنالك فرصة معقولة لان تصبح القوة الذرية احدى المصادر الرئيسية لتشغيل الطائرات خلال ١٥ عاماً او عشرين عاماً . وقد تصبح الطائرات التي تسيرها القوة الذرية اكثر أمناً من طائرات هذه الايام كما ان بامكانها ان تبقى وقتاً اطول محلقة في الجو . ذلك ان بامكان الطائرات التي تسير بالقوة الذرية ان تستمر طائرة مدة تتراوح ما بين ٢٠٠ - ٣٠٠ ساعة وبذلك تستطيع ان تدور حول الكرة الارضية عدة مرات .

● امتنعت الدوائر الرسمية البريطانية عن تأييد الانباء التي نشرتها بعض الصحف البريطانية من ان بريطانيا ستتمكن من صنع طائرة حربية تسير بقوة الذرة بعد خمس سنوات وكانت الصحف

المذكورة قد اشارت الى انصراف نيات الحكومة البريطانية لدعوة علماء الذرة البريطانيين لعقد اجتماع لبحث موضوع انتاج طائرة حربية من هذا القبيل بعد ان وصل الى علمها ان الولايات المتحدة نفسها تعد العدة لانتاج مثل هذه الطائرة .

● اعلن علماء النبات في جامعة بيرديو ابتكار نوع جديد من القمح يعطي انتاجاً اكثر من اي نوع آخر عرف حتى الان ويقاوم بذات الوقت الامراض اكثر من غيره من الانواع المعروفة الاخرى . ويعرف القمح الجديد باسم « قمح نوكس » وقد نجح الخبراء في توليـــده بعد تجارب شاقة دامت ٢١ سنة .

● ابتكر علماء جامعة كاليفورنيا انفاً ميكانيكياً يمكنه شم رائحة مختلف انواع الاطعمة والانتاجات الغذائية وتحديد معدل طزاجتها .

● اخرجت شركة « كوداك » اخيراً لحساب الجيش الاميركي اكبر آلة تصوير في العالم، وهي تستطيع ان تلتقط رسوماً على بعد ٥٠ كيلومتراً ومحيط عدستها مئة انش . وهذه الالة معـــدة للاستعمال في ميادين القتال .

● ورد في مجلة النجم الاحمر الناطقة بلسان الجيش السوفياتي الصادرة بتاريخ العاشر من اغسطس مقال يبحث في الاحتمالات والامكانيات الحالية ببناء آلة طائرة يمكن بواسطتها السفر الى القمر هذه الآلة التي وضع مشروعها الاول الروسي كيبانتشير الذي اعدمه القيصريون ، الا ان الفكرة القائلة بضم محركات نفاثة الى هذه الالة كانت وليدة اختراع العالم السوفياتي تسيولكوفسكي .

وجاء في المقال ايضاً ان العلماء السوفياتيين تابعوا بعد ذلك ابحاثهم في هذا المضمار وجرى طيران الالة الاولى من هذا النوع في الاتحاد السوفياتي على سبيل التجربة عام ١٩٣٢، وهذه الالة اخترعها المهندس تيبنرافي .

وتقول مجلة النجم الاحمر ايضاً بان العـــالم السوفياتي ذاته تسولكوفسكي مخترع الطائرة الفلكية ، كان اول شخص في العالم تركز على اتخاذ نجم خيالي للدوران حوله وذلك بان دار حول الارض توطئة للطيران بين الافلاك. ثم تقول :

ان هذا الامر في الاتحاد السوفياتي قد مر من طور الافكار والخيال الى طور الواقع والابحاث ، اذ ان احدى المهمات الكبرى التي يجب حلها هي الدفاع عن هذا الكوكب من الاخطار التي تهدده .

وتختم مجلة الجيش السوفياتي مقالها قائلة بان العلوم قد وصلت الى مرحلة يمكن معها ارسال طائرة فلكية نحو القمر وانشاء قمر اصطناعي حول الارض وذلك لان العلماء السوفيات قد يمموا اهتمامهم شطر هذه الناحية في الوقت الحاضر .

● اخترع الدكتور اندروبوث مدير مختبر بركيك في لندن آلة تستطيع ترجمة الرسائـــل المطبوعة الى كافة اللغات تقريباً . وقد اتم صنع ثلاث من هذه الالات كل منهـــا اصغر من سابقتها بيد ان هدفه اختراع آلة يستطيع وضعها في حقيبة ثياب وقد صرح بقوله انه يهدف من عمله هذا الى مساعدة العلماء في ابحاثهم .

● سيزود مطار سانتاكروز قرب بومباي قريباً بجهاز « كويل ميتر » لقياس ابعاد السحب وهو اول جهاز من نوعه يقام في الهند ويتألف الجهاز من عاكس للضوء ولاقط للضـوء كشاف ومسجل . وعندما يراد معرفة ابعاد السحب يطلق عاكس الضوء شعاعاً رفيعاً قوته مليون شمعة على السماء وحينما يصطدم باول مجموعة من السحب يبرز لاقط الضوء الكشاف لالتقاط الضوء المعكوس ويحدث اهتزازات تنتقل الى المسجل الذي يترجم هذه الاهتزازات الى ارقام تظهر بعد ارتفاع السحب.

● دشنت وكالة الانباء الدولية بامريكا جهازاً جديداً يمكنه ان يرسل بوقت واحد الانبـــاء المصورة مع تسجيل صوت الشخص الذي تلتقط صورته الاخبارية . وسيستخدم الجهاز الجديد لتزويد ٢٥ محطة تلفزيونية بالانباء المصورة يومياً.

● استنبط طبيبان بيطريان في جامعة كاليفورنيا لقاحاً للاغنام يوجد مناعة ضد داء اللسان الازرق وهو داء كثيراً ما يقضي على ٢٠٪ من الاغنام في قطيع واحد . وسيتوفر اللقاح الجديد قريباً لدى شركات الصيدلة في الولايات المتحدة ويقدر موظفو الزراعة في ولاية كاليفورنيا ان ١٠٪ من جميع الاغنام التي تظهر عليها علامات اللسان الازرق تموت منه ، ويعتقد العلماء ان المرض ينقله وينشره البعوض وربما حشرات اخرى .

● اكدت المصادر العليمة ان القيادة الاميركية عهدت الى العالم الفلكي كلايدتومبوك ، وهو من رجال مرصد فلاجستاف ، في اريزونا ، بالعمل على انشاء قمر صناعي سيعرف باسم القمر رقم ٢ وسيكون معلقاً في الفضاء بالقرب من الارض ، وستستغرق دورته بضع ساعات فقط وسيكون طول قطره بضعة كيلومترات .

وفي نية القيادة الاميركية استخدام هذا القمر الصناعي كاول محطة في الطريق بـــين الارض والكواكب الاخرى .

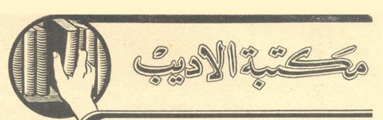
● تقدمت صناعة الزجاج في السنوات الاخيرة تقدماً ملموساً حتى اصبح يستعمل في اغراض عدة لم يكن يتصور احد من قبل انه من الميسور استعماله فيها ، فقد اضيفت الى المواد الكيمائيـــة الداخلة في تركيبه مواد تسهل امتصاصه الحرارة او عكسها او تيسر مرور التيار الكهربائي او تحول دون نفاذ الاشعاعات الذرية وادخلت على طريقة صنعه تحسينات زادت من قوة مقاومته واحتماله للتغيير المفاجيء في درجة الحرارة .

وقد انتج احد المصانع اخيراً فرناً للطبخ ابوابه وهيكله جميعا من الزجاج الذي يمتاز بمقاومته للحرارة وعدم قابليته للكسر كما تنتج بعض المصانع زجاجاً للسيارات تسري فيه الكهرباء بسهولة حتى تصهر الثلوج التي قد تتراكم فوقه في المناطق الباردة.

وتصنع الان حواجز من الزجاج تحاط بها الاقسام التي ينبعث منها الضجيج في المصانع فتحول دون تسربه الى الاقسام الاخرى او الى الخارج ومن احدث الابتكارات في صناعة الزجاج ان توضع به عند صنعه مواد كيمائية حساسة للاشعة فوق البنفسجية . فاذا عرض عليه هذا الزجاج للضوء انطبعت عليه صورة الشيء المواجه له مثلما تنطبع الصور على الفيلم العادي ولما كانت الصور داخل الزجاج فانها تبقى ما بقي الزجاج نفسه .

● اعلنت قيادة الابحاث والتطورات التابعة لسلاح الطيران الاميركي مؤخراً عن صنع بطارية تديرها الشمس وتحول النور الى كهرباء باستعمال حبيبات سلفايد الكادميوم ، وهو المسحوق الاصفر الذي يستعمل كمادة ملونة في الدهانات ، وقالت قيادة الابحاث ان قوة التحويل في المولد عظيمة جداً حتى ان لوحة رقيقة طولها ١٥ قدماً وعرضها ٤ اقدام تولد تياراً كهربائياً يكفي لانارة وادارة اجهزة بيت عادي مدة ٢٤ ساعة ، وبالامكان بناء حبيبات الكادميوم على سطح المنزل وقـــد استنبطت مختبرات شركة (بل) للهاتف بطارية شمسية تستعمل السليكون لتحويل النور الى طاقة.

● اكتشف علماء الاثار الامريكان والدنمركيون بقايا قرية كاملة يعود تاريخها الى ما قبل الف سنة وتقع على بعد ٨٠ ميلا فوق الدائرة القطبية في شمال غرب كندا ، وقد صرحت البعثة المشتركة التي تشرف عليها جامعة بنسلفانيا والمتحف القومي الدانمركي بان هذا الاكتشاف هو اهم اكتشاف حتى الان في القطب الشمالي الشرقي وقد اظهرت الحفريات حتى الان ما يزيد عـــلى ١٠٠ بيت ومدفن واداة .



نبضات

لجورج صيدح — مجموعة شعرية — ٤٠ صفحة من القطع الكبير — مع ثماني لوحات مستقلة بريشة جميل حمودي — مطبوعات دار الفكر الحديث باريس

في نحو من اربعين صفحة من القطع الكبير جداً وفي لون من الطباعة فريد واكاد ان اقول « غريب » يتقدم الينا الشاعر المهجري الاستاذ جورج صيدح بديوانه الجديد « نبضات » المهدي ، كما كتب صاحبه في صفحاته الاولى ، الى كل عربيّ اللسان والوجدان .

وانت اذا قلبت الديوان تساقطت بين يديك الصور الثماني المستقلة التي رسمها الفنان جميل حمودي لبعض قصائده . وهي صور من الفن الحديث تحاول ، على سطحيتها ، ان تنفذ الى ما وراء الصور اللفظية للقصائد لتبحث عن حالات نفسية مختفية لتبرزها او عقد كامنة لتحلها . وانا اجد ان الفن الحديث بمعمياته ورموزه وبساطته في محل التعقيد وتعقده محل البساطة لا يتلاءم البتة مع شعر الاستاذ جورج صيدح الذي يحمل قلبه على يده او على شفتيه ، فينشد قصيده باجلى بيان زاخر بأصدق الشعور ولعل الذي يجمع بين الصور والقصائد في هذا الديوان البديع ليس التشابه بل التضاد بين نزعة حديثة تائهة متعددة التآويل يلفها ضباب الابهام ، ونزعة كلاسيكية سريعة الى القصد جلية مواطن الحسن لا لبس في حواشيها ولا غموض .

وقد عرف الادب المهجري مذ عرف بانه ادب مجدد قد استحدث في النثر والشعر صوراً وتطرق الى مواضيع لم تؤلف قبل في الادب العربي . وقد فتن الناس بجبران وايليا ابي ماضي لهذا الجديد الذي جاءا به في الصور والمعاني وفي المباني . فاذا كنت ممن يذهب بهم ظنهم الى هذا كلما ذكر الادب المهجري فاحرى بك ان يخيب ظنك حين تقرأ « نبضات » ، لأنك لن تجد فيها من هذه الروح المجددة ، او التي كانت تسمى مجددة ، شيئاً كثيراً . اما اذا كنت تتلمس في الادب المهجري لامدرسة ادبية بل مذهباً روحياً ونزعة انسانية لطائفة من الناس الالباء ذوي الشعور المرهف والنفوس الحساسة قضت عليهم الايام بان تحيا جسومهم في مهاجر وتتعلق قلوبهم بمواطن ، فانك واجد في « نبضات » الشعر المهجري الصحيح الزاخر بالحنين المتدفق بالحب المؤمن بالوطن ايمان العقل والقلب . والذي اعتقده ان ما توحيه لفظة مهجر الى كل سامع مجرد من فكرة سابقة هو هذه العواطف التي نجدها طاغية في شعر « نبضات » ، فلا بدع اذا كانت قصائد هذا الديوان شعراً « مهجرياً » بكل ما توحيه الكلمة من معنى .

وفي الحق ان الحنين الى الوطن في « نبضات » يذكرك بحنين ابن الطثرية واضرابه من الشعراء الاعراب الى نجد ومن حل بالحمى .. اقرأ مثلاً من قصيدة « وطني » :

وطني ، اين انا ممن اود   او ما للحظ بعد الجزر مد
مارست حيث رست فلك النوى   لو اباحوا لي في الدفة يد
غاب خلف البحر عني شاطىء   كلما ارقني فيه رقد
وطني ما زلت ادعوك ابي   وجراح اليتم في قلب الولد
ما رضيت البين لولا شدة   وجدتني ساعة البين اشد
فتجشمت العنا نحو المنى ،   وتقاضاني الغنى عمراً نفد
هل درى الدهر الذي فرقنا   انه فرق روحاً عن جسد
وطني ، طيفك ضيفي في الكرى   كلما اطبقت جفني وفد ..

ولكن الشجو الذي يملأ قلب هذا الاعرابي المعاصر ليس شجو من فارق معاهد صباه واحباب قلبه فحسب بل هو شجو المحزون الذي يتطلع الى موطنه الحبيب فيراه قد اضحى مسرحاً للنكبات ونهبة للغاصبين المستضعفين قومه المستهينين باهله . انه شجو المصاب بعزته القومية . كلما ذكر شاعر « نبضات » وطنه هزّه مع الحنين الالم للجراح النازة في جنبات هذا الوطن واشد تلك الجراح استثارة لألمه ذلك الجرح العميق الذي ما زال نازفاً ، جرح فلسطين . ففلسطين على لسان هذا الشاعر المهجري اكثر في التردد منها على لسان المقيمين من ادباء او ساسة ممن تتراءى لهم النكبة كل صباح ومساء ماثلة بمناظر اللاجئين واخبار الاعتداءات واحداث الحدود . ولعل احساس هذا الشاعر بهول النكبة ومسؤولية ابناء العروبة انفسهم فيها هو الذي يجعله يثور على ابناء قومه من مغتربين ومقيمين ومن سوقة وحكام ، فيقول في « هواجس سائح » :

ومعاشر النزاح لو نثروا　　فوق الشهيدة غير ما نظموا ..
احببتكم وبلوت نجدتكم　　فماذا الذي استنجدته صنم
فرغت يدي منكم وما فرغت　　اذني ، كأن لبانتي نغم
لم يبق فيكم من عروبتكم　　الا لسان مفصح وفم

وفي قصيدته « الحجيج » :

لو تنطق الاحجار لافتضحت　　اسماء من باعوا ومن غنموا
في ذمة الحكام سيل دم　　من هدره لم تبرأ الذمم
. . . .

ولكن كل ما في واقع موطن هذا المهاجر المرهف الحس من سواد لا يقوى على ان يقضي على تفاؤله الناجم عن ايمانه العميق بامته وبمقدرتها على ان تحيا من جديد حياة عزيزة موفورة الكرامة . وان قصيدة « عبرات » التي يقص فيها مأساة وطنه ويقول فيها :

فيا لائمي ان هدرت الدموع　　اما هدرت دمها امتي
اما استشهد الحق حيث الرجال　　بكوا كالنساء على الميت
فهذا سريع الى السائبات　　وكان بطيئاً الى النجدة
. . . .
وشعب يمدهم بالبنين　　فلا يسترد سوى الخيبة . . .

ان قصيدة « عبرات » هذه لا تلبث ان تنتهي ، بعد ترداد ما يقطع نياط القلوب من المآسي ، بهذا المقطع :

كفرت بربي لواني شككت　　بنهضة قومي من العثرة
وعهدي بقومي سيوف عتاق　　على حدها اثر الوقعة
تمر عليهم عوادي الزمان　　مرور النصال على النصلة
وارض بها بعث الناصري　　واسرى النبي من الكعبة
لأرض تفجر بالمعجزات　　متى سقيت بدم الثورة . . .

واني ارى ان التفاؤل خلة اصيلة من خلال شاعر «نبضات» وليس ادل منها على قوة الروح وقدرتها على الكفاح وقابليتها على الحياة رغم كل ما يعتور طريقها من عثرات ومصاعب . ويوجز كل ذلك هذا البيت من قصيدة « الألم الجبار » :

ان كان دأب نهاري قص اجنحتي　　فخلقها من جديد في الدجى دأبي

على ان التفاؤل ليس الخلة الوحيدة من خلال النفس السامية التي تستشفها من قراءة هذا الديوان . اقرأ قصيدة «عام جديد» لتتعرف على القلب الكبير المترفع عن الدنايا الذي يحمله هذا الشاعر بين جنبيه . ثم تأمل في القدرة على زرع البسمة الساخرة حلوة كانت ام حريفة لاذعة ، في قلب المعركة الجدية كقوله في قصيدة « المهاجر » بعد وصف دراماتيكي لشخصية المهاجر الاسطورية :

يبعث المال سلاماً للحمى　　فالحمى يأبى بلا مال سلامه !.

او قوله من قصيدة « لبيك يا مصر » :

مرحى فلسطين ، مهما تطلي تجدي　　الا السلاح والا بلغة الزاد

ولا احسب شاعراً قد استطاع ان يصف نفسه ، دون ان يتعمد ذلك ، في شعره مثلما استطاع جورج صيدح من خلال تمنيه وتألمه ووصف غبطته وشرح انفعالاته في ديوانه . ذلك ان هذا الديوان انعكاس صادق لنفس شاعرة قبل ان يكون قطعة فنية جوّدت لتحظى بالتصفيق وليصنفها النقاد الباحثون بين روائع الانتاج الادبي ، على كونه احدى هذه الروائع . واذا كان الاستاذ جورج صيدح انسان ناجح في حياته العملية النجاح المتعارف عليه في عالم المادة فلا غرو ، فان الصفات التي تتميز بها شخصيته كما تبدو من خلال قصائد نبضات هي عدة النجاح الشريف في حياة كلها مهاوٍ ومعاثر . وانه لمن حسن الحظ ان لا يكون الادب مباءة العاجزين او الفاشلين دوماً ، وان لا تستأثر حياة المادة بالموهوبين فتلهيهم بالنجاح العابر عن معالجة الخلق الفني والجهد في هذه المعالجة . واذا كانت مغريات النجاح المادي من القوة بحيث قلّ ان يفلت منها من تعرضت له فلا شك في قوة من استطاع الافلات من شباكها ولا في قدرته على الابداع الفائق . اقول لا شك ، ومن شك فان له ان يقرأ نبضات الاستاذ جورج صيدح ، وجدير به بعد ذلك ان يؤمن ويوقن . . .

الرقة — سوريا　　**عبد السلام العجيلي**

نشيد الارض

لعبد الملك نوري — مجموعة اقاصيص — ١٢٤ صفحة — من منشورات « الثقافة الجديدة » بغداد

كثر الحديث في هذه الأيام عن أقاصيص يضعها بعض الكتّاب في العراق . ومع أن احد المتحدثين لم يقدم لنا سبباً معقولاً لحديثه هذا ، فالظاهر ان الدافع الأساسي هو تهجسهم بان في القصة العراقية نواحي من التعبير قد تجعلها تتبوأ مركزاً ما في عالم الادب .

غير ان هذه الدعوى تحتاج الى أدلة لم تتوفر بعد ، ولا زلت اعتقد أن جلّ من تطرق الى هذا الموضوع قد تلبسته فكرة تشجيع الكتاب وعدم القسوة عليهم . وقد سبق لي ان أبديت مرة أننا لا يمكن ان نعتبر الانتاج القصصي العالمي ملغياً بالنسبة لادباء عاشوا في العراق قبل نيف وعشرين عاماً لا غير ، وانه

لا يمكن اعطاء قيمة فنية او ادبية لمحاولات لا ميزة لها سوى السبق الزمني بل ان البحث في القصة العراقية يجب ان يبدأ كما اعتقد بالمحاولات الناجحة فنياً. اذ أن من التعسف ان نرى السلسلة المتطورة للقصة العراقية تربط بين اقصوصة « باداي الفايز » وبين « الرجل الصغير » ! وبهذا المقياس تظهر لنا القصة العراقية أحدث ميلاداً مما حسب الكثيرون. ولعل ذنون أيوب يكون الرائد الاول في احدى اقاصيصه التي لا يعيرها هو نفسه أهمية ما. وما كان فلتات قليلة عارضة من ذنون ايوب ونزار سليم، كان بالنسبة لعبد الملك نوري غاية وحيدة حاول جهده ان يبلغها. فعلى جميع اعماله مسحة ظاهرة لا يمكن ان تنكر، هي هذا الجهد في سبيل غاية فنية. وقيمة عبد الملك نوري تكمن في هذه الحقيقة، وهي قيمة غير قليلة بالنسبة للقصة العراقية ومن يبحث فيها.

والتفكير في اعطاء انتاج عبد الملك قيمة مطلقة – وهو غاية كلمتي هذه – يقودنا الى البدء بذكر حقيقة غفل عنها البعض، وهي ان المقاييس القصصية الفنية يجب ان تُستمد من الآداب الاجنبية الغربية. ذلك ان الادب العربي لم يعرف القصة كما هي عليه في الآداب الافرنسية والانكليزية والروسية وغيرها.

وما دمنا لا نكتب مقامات، وانما نحاول ان نصنع اقاصيص حديثة، فالمقاييس المطبقة يجب ان تُستمد من الخارج. وليس في هذا اي ضير علينا. فالمعترف به دائماً ان « القوالب الفنية » مشاعة للجميع وهي غير التقليد قطعاً. فلم يعب ناقد على القصة الروسية في القرن التاسع عشر انها لم تخلق قيماً شكلية فنية جديدة وانما انحنى الجميع لها لأن الكتّاب الروس كانوا من العبقرية والتمكن بحيث خلقوا قصصاً روسية اصيلة لم يعرف العالم من قبل مثيلاً لها.

ومن يعلم انه في بداية الطريق، يجب ان ينظر بتواضع الى تجارب بدأت منذ اجيال؛ بدأ بها مؤلفون افذاذ وصلوا الى مراحل معينة، انها مؤلفون افذاذ غيرهم. وليس من الحكمة ان يأتي عراقي قبل سنوات ليقول انه يضرب القيم الفنية للقصة الغربية عرض الحائط وانه سيشيد « عرائس فكر » من العدم! اذ لو تعمقنا في دراسة المحاولات الفنية للقصة في الغرب حتى الوقت الحاضر لما امكن ان نصدر حكم الالغاء هذا عليها ولكنا على حذر شديد قبل ان نبدأ فنمسك بالقلم. ذلك ان كتاب القصة في العراق لم يملكوا بعد الشخصية الفنية الاصيلة التي تبيح لهم تبديل القيم او تعديلها.

ولعل هذا التجاوز على القيم وهذا الاعتداد الفارغ مصدره جهل كبير باصول الفن القصصي وبآراء النقاد العالميين الذين يوجهون الكتّاب الوجهة الفنية الصحيحة؛ او لعله عدم فهم لهذه الاصول والآراء النقدية. وفي اعتقادي ان النقاد في البلاد العربية يسيئون بنقدهم الى القصصيين اساءة بليغة. فليس نقد مجموعة قصصية هو الحكم على كل اقصوصة حكماً غامضاً هو اقرب الى وصفها او على الاصح وصف اثرها في نفس الناقد؛ وانما النقد – حسب ما افهمه – بعيد عن هذا بعداً كبيراً. وقد لاحظت ان ناقدين « معروفين » كتبا قبل اشهر عن مجموعة « مجرمون طيبون » لمهدي عيسى الصقر؛ فتناولا كل اقصوصة بمفردها ولخصاها حسبما يتيح المقام ثم اصدرا احكاماً اعتباطية غير مسببة فهذه القصة قوية وتلك الاقاصيص ضعيفة، وهذه الاقصوصة انسانية حلوة وتلك القصة رفيعة فيما تهدف اليه من مغزى اجتماعي ولم يخبرنا الناقدان ما هي مظاهر قوة الاقصوصة او ضعفها؟ وكيف تكون الاقصوصة حلوة او رفيعة؟

وفي اعتقادي ان الناقدين المذكورين لم يعطيا فكرة واضحة للمؤلف – وللقارئ من باب اولى – عن شخصيته القصصية وقيمة محاولاته بمجموعها. اي انهما لم يقوما اقاصيصه تقويماً مطلقاً غير نسبي واعتقد انهما سلكا طريقاً خاطئاً سريعاً في نقد هذه المجموعة، ذلك أن الاقصوصة – وحتى مجموعة من الاقاصيص – لا تمثل الا تطوراً محدداً من شخصية الكاتب. فاذا انصب اهتمام الناقد على نفس الاقاصيص دون تعمق العنصر الدينامي الخلاق الذي اوجدها، كان حكمه نسبياً شخصياً، اما اذا نظر الناقد الى الاقاصيص كظواهر تبرز بعض نواحي شخصية الكاتب القصصية، امكن ان يصدر احكاماً ثابتة تترك المجال امام امكانيات الكاتب للتطور. وهذا ما سأجربه بالنسبة لمجموعة « نشيد الارض » لعبد الملك نوري.

ويخيل اليّ أنني يجب ان ابدأ فابيّن ماهية الشخصية القصصية التي أرمي اليها. وهي في الحقيقة ليست الا مجموع انتاج الكاتب اذ ان وراء هذه السلسلة من الأقاصيص تكمن شخصية فنية لها طرائق خاصة تختارها بوعي وانتباه، ولها شبه خبرة او عادة في انتقاء نوع معين من الحوادث او الشخصيات ولها احياناً لغة او كلمات تميل اليها اكثر من غيرها، ولها – قبل كل شيء – سبيل مخصوص جداً في التعبير عن حياة الانسان الذي تكمن

فيه. وقد تتضخم هذه الشخصية وتتسع وتتعدد وجوهها بصورة يعجز أكبر النقاد عن استيعابها. وشخصية مثل شخصية عبد الملك القصصية — وهي مجموعته « نشيد الارض » محصورة في نطاق زمني لا يتعدى السنوات الخمس — رغم خصبها بالنسبة لكتاب القصة عندنا، يمكن الكشف عنها اذا بحثنا ثلاث نقاط جوهرية:
١ـ العقدة . ٢ـ رسم الشخصيات. ٣ـ الانسان والعالم .

ويجب ان اؤكد قبل البدء ببحث هذه النقاط، ان شخصية عبد الملك القصصية ليست هي عبد الملك نوري الفرد العراقي الذي لاقى كذا وكذا في حياته وقرأ كذا وكذا من الكتب اذ ان هذا متروك لمن يؤرخ له ويتتبع مصادر ثقافته والاتجاهات الفكرية التي أثرت عليه. اما هنا فلدي شخصية فنية ضمن زمن محدد، انتجت هذه الاقاصيص السبع التي تجمعها صفات خاصة كوّنت نواة كلمتي.

اما في القسم الأخير (الانسان والعالم) فقد توسعت بحذر توسعاً يقتضيه نفس الموضوع وصبغته الفكرية ؛ وكل ما ذكرته فيه معلوم لمن يتصل بالمؤلف او يعرف عنه شيئاً .

العقدة القصصية : هذه الكلمة بالنسبة لبعض كتّاب الاقصوصة تعتبر شيئاً مهملا بصورة « رسمية » وخاصة بعد تشيخوف ومن اعقبه من القصصين الانكليز والاميركان. وقد لازم فكرة العقدة للاسف عنصر لا يلائمها في الحقيقة هو عنصر المفاجأة . فصارت العقدة اسماً فنياً ثانياً للمفاجأة المدخولة قسراً على الاقصوصة ؛ وكرد فعل خاطىء لهذه الفكرة اخذ بعض الادباء — الكبار احياناً — يعتبرون مطالبة النقاد بعقد لقصصهم اهانة ساذجة قديمة . وكان سندهم الاول في ذلك بضع «حكايات» رديئة وضعها بسرعة غير محمود عليها الكاتب الروسي تشيخوف.

والحقيقة ان طرفي القضية خاطئان في حلها. فليست المفاجأة ضرورة مقحومة لا بد ان تنتهي بها الاقصوصة مهما تكن البداية والظروف . الاقصوصة ذات العقدة صورة عن الحياة «كاملة» موجهة الى مشاعر القارىء وفكره بحيث ترويهما بشكل من الاشكال و « الكمال » هذا هو الذي اضاعه الكتاب المحدثون الذين لا يطيقون سماع كلمة العقدة ؛ وهو الذي اضاعه عبد الملك ايضاً في « عبود » و « العاملة والجرذي والربيع » و « الجدار الاصم » ومن بعض الوجوه في « ريح الجنوب ». وليس المقصود به سوى ان القطعة Slice المنتزعة من الحياة يجب الا تفقد اتصالها باصلها. فنحن نعرف ـ في «الرجل الصغير» ـ عن عباس ما تهمنا معرفته عنه قبل ان يركب السيارة ؛ ونحن نشعر بعمق عند نهاية الاقصوصة بضياع بطلنا الصغير في هذا العالم الغريب . ومع ذلك فليس في الاقصوصة مفاجأة ؛ بل ان فيها عقدة ؛ قطعة « كاملة » من الحياة. وكذا الامر في «غثيان» ففيها عقدة نموذجية كما يجب ان تفهم . اما في بقية الاقاصيص فالنهاية على الدوام شاقة على القارىء ؛ وهو يشعر ان المؤلف تركه فجأة قبل نهاية الرحلة رغم ان معالم الشاطىء البعيد قد بدت ؛ واهمال العقدة امر متقصد عند عبد الملك كما اعلم ويعلم وهو امر خطير لانه يحتاج الى اقتناع باهمية هذه الناحية، ثم الى تسخير الموهبة الفنية كما يجب ان تسخر، وهذا ما يقتضي سنوات ولذلك فعندي ان التزام قواعد الفن القصصي — وحتى الصارمة المتعبة منها — منذ البداية، قد لا يكون اسوأ من اهمال متقصد لا تعرف نتائجه .

رسم الشخصيات : ويجب ان ابادر الى القول باني آخذ هذا الاصطلاح باوسع ما يعطي حقيقة ؛ فهو في رأيي ايجاد الصور او خلقها في الاقصوصة ؛ ولذلك فانه يشمل خلق اشخاص القصة Characterization عدا اضاءة الاماكن والالوان ووضع الحركة في الاقصوصة .

ففن كتابة الاقصوصة هو فن خلق صور تتحرك . والاقصوصة بدون صور ليست الا جدث منتن. وخلق الصور هذا ناحية مبهمة من امكانيات القصاص لا يمكن الكشف عنها لانها مجهولة الاساس . غير ان المعروف ان عملية الخلق هذه لا تتأتى الا بواسطة اللغة ؛ وهي وسيلة القصصي الوحيدة الى ذهن القارىء . فلمحة كاشفة ضئيلة ثم اخرى ضئيلة مثلها وثالثة

ورابعة ، واذا بذهن القارىء مضاء دون وعي منه بعـالم من الاشخاص والاماكن والحركات . كيف تم هذا السحر ؟

ان القارىء لا يجد امام عينيه غير الكلمات الجامدة ؛ لكنها في الواقع هي التي اضاءت نفسه ومخيلته . فالاختيار الدقيق – المتروك بصورة قاطعة الى ارادة القصصي – ووصف الكلمات بشكل ما ، يؤدي الى اثارة بادرة او شبه صورة في بصيرة القارىء ، تجذبه بدورها الى صورة اخرى اوضح منها وهذه الى ثالثة ورابعة ، حتى لا يشعر الا وهناك حركة متناسقة من الصور تمر امامه .

الا اني يجب ان استدرك فاقول ان هذا وصف فقط لعملية الخلق السحرية وليس تفسيراً لها على الاطلاق ، لانها عملية لا يمكن ان تفسر . فامام الكاتب القصصي ثروة لا تقـدر من الكلمات ، وهو اذا كان متحرراً – كعبد الملك نوري – من سطوة القديم بدت له المهمة اعسر ؛ لأن عليه ان يصطنع لنفسه لغة خاصة تلائم فنه ويفهمها الجميع مع ذلك . وعبدالملك يشعر بعسر عملية الخلق هذه ، وهو مستعين بكل جرأته وذاكرته لكي يضع البوادر الاولى لصور اقاصيصه . وقد حقق في جميع اقاصيص المجموعة نتائج باهرة حقاً . وهذه النتائج هي التي تجعل منه قصاصاً يرجى منه الكثير . غير ان عبد الملك يستعين بذاكرته اللغوية كثيراً ، وهو ينبشها نبشاً مثيراً فيبدو ذلك على صوره جلياً ، فتتلطخ وتبهم وتمحي احياناً . وهذا في اعتقادي يرجع الى محاولاته المتكررة كي يصوغ عبارات لها جمالها اللغوي الخاص ويأتي بكلمات ذات صفة صادمة لا تعطي القارىء الا صوراً غير مباشرة وبعيدة . وتعطيه مرات تفاصيل ميتة لا تثير المخيلة ، بل تقضي على مجال ثمين بهباء . ولو لان عبد الملك يسرع في اللحظة المناسبة فينسى كل شيء الا فنه ، لتعرضت موهبته نفسها الى السؤال .

ولا يمكنني ان انهي بحث هذه الناحية في شخصية عبد الملك القصصية قبل ان اقف امامه لأذكره بان رسم الشخصيات لا يتوسل اليه بالوصف فقط . فهناك – كما يعلم جيداً – الحوار والاعمال . وهاتان الطريقتان لا يدل استعمالها الا على وسعة ميدان تجربتنا الفنية الخالقة . ولا يعذر عبد الملك في انصرافه عنها واعتماده ، بصورة كلية تقريباً ، على الوصف الخارجي المجرد في تقديم شخصياته .

الانسان والعالم : تؤخذ آراء الكاتب عن الحياة ، من مجموع مؤلفاته الكاملة وغالباً ما تضم هذه المجموعة مجلدات ضخمة عديدة قد لا ينتهي منها الكاتب الا عند انتهاء حياته .

ولعلي اكون مدققاً اكثر مما يجب ، حين اريد ان انتزع من مجموعة صغيرة واحدة لكاتب ما ، بعض آرائه عن الانسان والحياة . اذ ان اقرب احتمال الى عملي هو ان هذه الآراء قد لا توجد على الاطلاق . او انها لما تزل في طور النمو ولم تتضح بعد كل هذا صحيح لكني مع ذلك سأحاول ان ابيّن الصبغـة الفكرية العامة التي يخيل اليّ انها تصبغ اقاصيص عبد الملك عامة ؛ يساعدني على ذلك صداقتي مع الكاتب المذكور وتبادلنا بعض الآراء في مجالات مختلفة .

وقد وصفت عن تعمد عنوان « الانسان والعالم » لهذه الناحية من حكمتي ، وذلك لاعتقادي ان الكاتب مضطر ان يعبر عن واحد منهما . الانسان في العالم او العالم من خلال الانسان . ورغم ان هذه الفكرة تدخل ضمن نطاق شبه ميتافيزيقي ، فان في بحثها ما يؤدي بنا اخيراً الى انها تؤثر على اختيار الكاتب لمحتـوى واشكال تعبيره . فالكتّاب المعاصرون – والتراثيون بصورة خاصة – وبعض الكلاسيكيين يضعون الانسان مداراً لانتاجهم الفني . ولا يعني هذا انهم هم وحدهم يبحثون مشاكل الانسان ؛ ولكنه يعني ان هؤلاء الكتاب يقدمون لنا في الاساس انساناً ثم يعرضون العالم من خلاله ويعبرون عن احتكاك « هـذا الانسان » بالعالم الذي يحيطه . فالمحتوى الموجود في قصصهم هو الانسان ثم العالم . ومن هؤلاء دستويفسكي وسارتر وكامو وكافكا ، وكل واحد منهم له شخصيته المستقلة في عرض الانسان

على مستوى هذه الفكرة . وهناك قسم آخر من الكتاب ينظرون الى الانسان « كشيء في العالم » ليس لهميزة الابتداء به ، فوصف العالم عندهم كوصف الانسان : الاثنان موجودان على اساس واحد . ومن هؤلاء غوركي وشتاينبك وكالدويل ، وفي اعتقادي ان عبد الملك – رغم بعض التناقض – من كتاب القسم الثاني . فالعالم لديه زاخر بكل شيء ، ومن ضمن ذلك مخلوق عجيب هو الانسان . ولذلك فهو لا يتحرج ان يدخل ضمن وجهة نظر ديك الى العالم (ريح الجنوب) اويكتب عن حياة بقرتين [1] بكل مشاغلها وكوارثها ، او يغيّر من نفسية بطل خلال صفحات معدودة (نشيد الارض) . لان العالم على مستوى واحد لديه ، والانسان ضمن موجوداته . وحتى « الرجل الصغير » ليس فيها انسان ثم عالم . بل هي انسان وعالم ينسجم احدهما مع الآخر . وكذلك الامر في « العاملة والجرذي والربيع » و« الجدار الاصم » فالعاملة وستار لا يواجهان عالمها الخاص ويحتكان به . ان فشلهما مثل تحطم آنية تقع على الاسمنت لم يفشلا مثلما يفشل الانسان ، ولكنهما تحطما بفعل « قانون طبيعي » جبار . قانون العالم الذي يكونان شيئين من اشيائه اللامتناهية عدداً وشكلاً.

وتناقض عبد الملك مع هذه النظرة نجده – صدفة – في احسن اقاصيص المجموعة وهي « غثيان » فهي الاقصوصة الوحيدة التي يوجد فيها انسان يبدو خلاله العالم ، عالمه ؛ فيصطدم به ويفشل حقاً ويعيش القارىء فشله .

اما اقصوصة « نشيد الارض » نفسها ، ففيها عالم موضوعي كامل وليس هناك اثر لبطل الاقصوصة . وجوده كانسان لم يتحقق مطلقاً . ورغم ان عبد الملك قد خرق في هذه الاقصوصة قانوناً مهماً من قوانين هذا الفن وهو ملاءمة الشكل للموضوع ؛ مما ادى الى موتها كاقصوصة ؛ فان اخطر عيب « آخر » فيها هو تلاشي البطل ، هو عدم احساس القارىء به .

وعبد الملك وهو يعبر هكذا عن العالم وعن الانسان ، لا يظهر لي ناسياً لمبدئه كتقدمي . فالانسان عنده مثل بقية الاشياء رغم بؤسه وضياعه ؛ يمكن ان « يحسّن » وان يتغير الى مخلوق آخر جديد . فهو لا يستطيع ان يعيش ازمة قد يحطم نفسه في سبيل حلها ؛ ولكنه ينجرف – مضطر ان ينجرف – مع تيار القانون الطبيعي وتطور التاريخ الذي سيقوده – رغم البؤس ورغم الضياع – الى حياة المساواة السعيدة الرغدة .

وفي اعتقادي ان انعدام الأزمات الانسانية – اي الاحتكاك بين ارادة الاشخاص وعالمهم – في اقاصيص عبد الملك ، يعقدها ميزة التعبير عن روح هذا العصر المضطرب . فالانسان – مهما ضعف – لم يعد يقف امام مصيره بتخاذل واستسلام . وهو ان ثار وفشل ، فلن يكون فشله كفشل ابطال عبد الملك . لأن هؤلاء لا يفشلون ولكنهم ينحرون نحراً كالنعاج دون ان يرفعوا اصبعاً . غير ان هذا ليس يأساً كما سبق واوضحت ، بل هو مساواة بين الانسان والاشياء التي تحيطه . وهذا الامر – من بعض وجهات النظر – أشد بؤساً وقتامة .

نظرة اخيرة : وقبل ان أنهي كلمتي هذه ، لا بد لي ان اشرح بايجاز دور التقنية في اقاصيص عبد الملك ، ومقدار نجاحه في خلق مواضيعه القصصية . فالنظرة الحديثة الى التقنية – وهي الطريقة الفنية – تجعل لها الأولوية في خلق الاقصوصة ، لأنها هي الموجدة للموضوع وهي التي تكوّن من هذا « العمل الكتابي » او ذاك اقصوصة كاملة او تبقيه كلمات على الورق تدخل تحت نوع آخر من الفنون الادبية كالمقالة او الريبورتاج او الانشاء المدرسي!

فالتقنية لا تشمل طريقة تقديم المحتوى فقط ، ولكنها تعني مقدار نجاح القصصي باستعماله كافة امكانياته ومواهبه في خلق اقصوصة . فاذا لم يستطع ذلك ، كان انتاجه شيئاً آخر قد يشبه الاقصوصة لكنه لا يمت اليها بصلة ؛ لأن عملية الخلق لم تتم . وعبد الملك بهذه النظرة لم ينجح في خلق موضوع قصصي في « نشيد الارض » و« الجدار الاصم » و« عبود » . اي ان عملية الخلق لم توجد في هذه الاقاصيص ولم تشتعل الشرارة المطلوبة. بينما نجده على العكس من ذلك ، قد استطاع في « الرجل الصغير » و« ريح الجنوب » و« العاملة والجرذي والربيع » و« غثيان » بواسطة تقنيته واستعماله الخاص للمحتوى ، ان يخلق مواضيع قصصية او على الأصح ان يصنع اقاصيص . مع العلم ان هذا لا ينفي وجود الثغرات التي اسلفت ذكرها في نفس هذه الأقاصيص لأن خلق موضوع قصصي لا يعني بلوغه مرتبة الكمال اذ أن النجاح في هذا المضمار نسبي الى حد كبير . كما ان إصدار الاحكام النقدية نسبي ايضاً ؛ فالقوانين الفنية – وهي ثابتة مطلقة – تعتمد في تطبيقها على النظرة الذاتية للناقد الى موضوع نقده . وعن هذا الطريق جاءت اختلافات النقاد في احكامهم على الآثار الفنية . غير ان ما يجب ان يشفع لكل ناقد ، هو اخلاصه في نظرته وفي تطبيقه للقوانين الصحيحة ، وهذا في اعتقادي خير شفيع .

بغداد

فؤاد التكرلي

(١) في اقصوصة « الصديقتان » التي لم تنشر في المجموعة .

حول قصة «المرة الثانية» لسميرة عزام

اما هذه القصة فهي قصة قصيرة كاملة متكاملة . لحظة من بساطة ورقة وجمال وحنان يصدق عليها ما قاله ابراهيم في سيدته الجميلة ذات القميص الاحمر : ما احلاها !

ما زلت ارى – بعد ان تركت القصة – الحديقة ذات الورود والزنبق وابراهيم وهو يجمع من الورود باقة لسيدته الصغيرة والغرفة ذات الشبابيك المغلقة وداخل الغرفة وصورة السيدة الصغيرة وما زلت ارفع يدي الى خدي مع ابراهيم .. للمرة الثانية .

ما زلت المس جو القصة وما زلت اعيش فيه وهذا ما احبه في القصص القصير ... واقعية ناعمة رقيقة تنفذ الى القلوب كما نفذ جمال السيدة الصغيرة ذات القميص الاحمر من عين ابراهيم الى قلبه ثم الى وجدانه ثم الى تعبيره هذا البسيط الساذج العميق في صوفية الحب : ما احلاها ! هذا الجمال الجميل الذي يحبه الانسان لانه يفتح امامه عالماً من سلام ومن خير ومن سكينة ومن طمأنينة هادئة عميقة .

وما ابلغ هذا التعجب الذي نركزه عندما يلمسنا فيهزنا شيء جميل رائع في هذه الكلمة الرائعة : الله !

نحن نرى ونلمس ونحس وجود الخالق في كل الكائنات وفي كل الاحياء ونحس بحاجة الى الاستعانة بلفظ الجلالة امام الجمال .. لانه خالق هـــذا الجمال في كل صوره .

والذكر تواجد يتجسد في حركات راقصة يعيشها الدراويش واصحاب الطرق وهم يرددون في نداء لهيف صارخ من اعماق صافية مخلصة : الله.. الله..

ما احلاها .. هذه القصة الحالمة الناعمة الرقيقة .. وما اصفى جو القصة الذي عشته مع ابراهيم ومع فاطمة ومع هذه القالة الاخرى .. هذه الصورة التي اكاد ارى فيها تجسداً لوردة حمراء من الورود التي عاش معها ابراهيم .. تجسدت من خيال ابراهيم مثل الزهرة الزرقاء عند الرومانتيك الالمان .. اغلب الظن انها لكذلك..

ألم يتهم اليهود المسيحيين انهم خلقوا مسيحهم عندما ضاقوا بالانتظـــار وعندما فرغ صبرهم .. والا يبرر اليهود لانفسهم بهذه الكلمات انتظارهم المسيح .. المخلص .

وهكذا يجسد لنا الوهم والانتظار الطويل وفروغ الصبر احلامنا فنلمسها بالعين او بالاذن .. الم يقرر هذا علماء النفس في تفسيرهم لظاهرة الهلوسة .

ما احلاها اذن هذه الوردة الحمراء .. التي انتهت القصة ولم يعرف لنا ابراهيم وما عناه ان يعرف .. اسم هذه السيدة الصغيرة ذات القميص الاحمر التي ذهبت ولم تترك الا غرفة فارغة الا من صورة ... ثم قبلة ثم توقع رفع له ابراهيم يده لخده .. المرة الثانية . احب ابراهيم فاطمة التي كانت صورة ناقصة لذات القميص الاحمر ..

ونسي ابراهيم في الحديقة ذات الورود زقاقه بما فيه من فقر وذل وبؤس.. وبما فيه من ضرب ومن سحر ومن سوء تفاهم في صور كثيرة.. نسي ابراهيم زقاقه وواقعه كله في هذه الحديقة.. عالم من صور ومن جمال.. ونسي ابراهيم فاطمة عندما لمس الجمال .. كصورة في سيدته ذات القميص الاحمر .. الا نجد هنا في قصة سميرة عزام حلماً افلاطونياً مستمداً بطريقة بسيطة من الواقع ويتحرك في الواقع وبه ..

هذه القصة اذن قصة قصيرة كاملة متكاملة ... تبدأ في سرعة منتظمة ثم في بطء حالم هادىء وتنتهي في سرعة رشيقة لتترك وراءها عالماً من صور لاحقة..

هذا كله في واقعية انسانية ملموسة لا افتعال فيها ولا تصنع .. رغم كل ما قلته عن افلاطون وعلماء النفس والرومانتيك الالمان .

هذه قصة قصيرة كاملة متكاملة منتظرة الحركة الفنية واضحة الجو سليمة الملامح تعيش على حدود القصة القصيرة والقصيدة ذات الفكرة وهي اقرب الى القصيدة التي تحكي حادثاً انسانياً رومانسياً .

اما انا فقد احببت هذه القصة .. وانا اعلن هذا الحب كقارىء يعتمد على احساسه وتذوقه لا كناقد اعتمد على مئات الكتب يقرر بعدها في منطق بارد صارم وفي حكم مدرس على تلاميذ ان القصة طابقت شروطاً اعتمدها اساتذة نقاد .. لا .. انا احب احساس القارىء حتى ولو كان مثقفاً الى ابعد حد بكل اراء النقاد ...

انا مجرد قارىء احس الاشياء في بساطة وفي اخلاص وفي صفاء وفي اندفاع طيب ولي العذرة التي لابراهيم عندما قرر بعد ان لمس روعة جمالها وهو يقدم لها باقة الورود الحمراء : ما احلاها !

انا احاول ان احب الاشياء .. كل الاشياء التي تملأ عالمي ، وانا اقرر في بساطة – ايضاً – ان ما ينقصنا هنا والآن Hic et nunc هو ان نزيد قدر حبنا لما يحيط بنا ولمن يحيا معنا في هذا العالم .

.. احببت هذه القصة حباً بسيطاً .. احببت ابراهيم واحببت فاطمة .. واحببت هذه الوردة الحمراء .. واحببت – مثل ابراهيم – الصورة..صورة ذات القميص الاحمر .. ولكن في غير حاجة – مثل ابراهيم – ان ارفع يدي الى خدي !

مصر – عزبة الزيتون
توفيق حنا

معهد علم النفس في مصر يرد على اسئلة القراء

على كل من يريد ان يتوجه الينا بسؤال ان يتكرم بارساله
الى : مصر – القاهرة – المنيرة
٢٣ شارع امين باشا سامي
الدكتور ابو مدين الشافعي مدير معهد علم النفس

✳

نرجو من القراء الا يطيلوا في اسئلتهم بدون داع حتى لا يضيع الوقت في التفاصيل التي لا تفيد وان يشرحوا حالاتهم وغرضهم باختصار حتى لا نضطر الى اهمال اسئلتهم .

● احد قراء الاديب – ثانوية التويبج ، الكويت .

اراني افكر في لا شيء في فترات غير معينة وقد اسائل نفسي: فيم انا افكر فلا اظفر بالجواب . وظاهرة اخرى هي اني في اثناء الاكل قد اتوقف عنه فجأة لتذكر اي شيء بسيط مؤثر . وقد اصبت بالارق منذ ايام الامر الذي جعلني كأني في شغل شاغل . وقد اسمع كلاماً مؤثراً او اطالع قصة مؤثرة او اشاهد فيلماً مؤثراً فلا اتمالك دموعي ، وقد ابكي في الفيلم مرتين او مرات كلما كان المنظر محزناً ، وتراني اشعر كأن ناراً بقلبي وسرعان

ما تتغير سحنتي ويظهر التأثر البالغ على وجهي الى حد بعيد امام الاصدقاء فيتعجبون ، وفي هذه الحالة لا اقدر على الاكل تماماً .

الاجابة : ان حالتك راجعة الى اضطراب في الجهاز الهضمي ، ولا شك انك مرهق جنسياً فيستحسن اولا ان تبدأ بالاقلاع عن كل ما يرهق جسمك من هذه الناحية ثم تتصل بطبيب جسماني ليقرر لك بعض المقويات التي تنظم الجهاز الهضمي ، وبذلك سيرجع اليك هدوؤك العصبي والنفسي. فكل الاعراض التي شكوت منها تثبت ان الاضطراب ناشىء عن الجهاز العصبي المشرف على العمليات الحيوية الداخلية مثل التنفس والهضم وافرازات الغدد وحاجتك بسيطة يمكنك القضاء عليها في بحر اسبوع ان خضعت لاوامر الطبيب الجسماني فيما يختص بنظام الاكل وتعاطي الادوية المقوية للكبد والامعــاء . ونرجو التفضل باطلاعنا على حالتك بعد شهر من نهاية العلاج .

• ر . ن . — طرابلس ، لبنان الشمالي .

انا طالب في صف البكالوريا لي من العمر ١٨ سنة ، اذا كنت مثلا امر على طريق ماء وبالقرب من هذه الطريق منحدر عظيم او اي شيء يشكل خطراً فاخاف لئلا اقع في هذا المنحدر وابتعد، او اذا كنت مثلا امام خط كهربائي اشعر بخوف شديد لئلا اتقدم والمس هذا الخط الكهربائي ، وهكذا ايضاً اذا كنت منهمكاً في شغل ما وجاء شخص من ورائي دون ان اشعر بوصولة و كلمني فارتعش (أأبط) ، ومثلا اذا كنت في امتحان رسمي اشعر بدافع داخلي يدفعني بأن اقوم بعمل لا يتفق والواقع. مثلا انسحب من قاعة الامتحان او اي شيء اخر ولكني لم افعل شيئاً مما ذكرت وانما كما شرحت اتضايق من هذه الحالة واريد التخلص منها . وقد عللت انا نفسي هذه الحالة فاستنتجت انها نتيجة خوف وحياء وفي الحقيقة انني اخاف كثيراً وانني ايضاً كثير الحياء ولا اعرف ما سبب هذا الحياء لانني والحمد لله اتمتع بجميع الفضائل وليس في شخصي اي نقص او عيب بل العكس . ارجو الخلاص من هذه الحالة وشرح سبب خوفي وحيائي الذي ليس له مبرر ثم شعوري بعدم النجاح فاذا تقدمت مثلا الى الامتحان فلا اصدق بانني سأفوز ولو اتممت ما يطلب مني على اكمل وجه .

الاجابة : انك مصاب باضطراب في الفعل الارادي وهذا الاضطراب ناشىء عن ضعف عام وان كانت اعراض حالتك نفسية الا انها في حقيقة الامر جسمية راجعة الى ازمة سن المراهقة وننصحك براحة اسبوع مع الاكل الجيد ، ثم برياضة جسمية مع مخالطة اشخاص هادئين يمكنك ان تربي بينك وبينهم صداقة تعطيك الثقة في نفسك وتقوي الروح المعنوية لتطرد الخوف الكامن .

• الطالبة سيرة ح . — القدس

عمري ١٦ر٥ طالبة في الثانوي الثاني في مدرسة راقية بالنسبة لمدارس الاردن .

١) اخجل من الناس ولا اجيد الحديث معهم ، ولا اود ان اناظر كذلك خصوصاً لان امامي مستقبلا ويود اخي ان يبعثني الى الخارج لانهل من العــلم .

٢) شدة حبي لفتاة عرفتها في الابتدائي وكانت هي في الثانوي الثالث، اخلاقها حميدة ووالدها ذو مركز سام في وزارة المالية، اهواها ولن اهوى غيرها ، حتى اني ارى محبتها في قلبي تفوز على محبة والدي .

٣) آلام في القلب في ميعاد العادة الشهرية .

الاجابة : ان كل شكواك راجعة الى اضطراب في العلاقات الاجتماعية ، فخجلك عبارة عن صراع بين شخصيتك والشخصيات الاخرى، وغرامك بالفتاة التي تعرفينها هو حبك لذاتك محول نحوها . والخجل وحب الذات علامتان من علامات الانطواء على النفس، وهو حالة قد تكون ناشئة عن اضطرابات جسمية . وقد أشرت الى آلام العادة الشهرية ويمكنك ان تقضي على هذه الالام باستشارة الطبيب المختص . وليكن في علمك أنه ابتداء من ١٩٥٠ اكتشفت أدوية هامة تمنع مثل هذه الالام الجسمية وما يتبعها من اضطرابات نفسية .

• د. ص. — دمشق

أنا طالب في الصف العاشر ، هناك بعض الامور تعطل دراستي :

١) لا استطيع تركيز ذهني والاصغاء للمدرس أو المحاضر او اي متحدث آخر ، ومثل هذا عند قراءة الكتب .

٢) ما سبق جعلني أعتقد في ضعف ذاكرتي وقلة ذكائي رغم اعجاب المدرسين في الابتدائي بها. وانا انكر وجود هذا لأنني لست متأكداً منه .

٣) نشاطي وهمتي الان غيرها في المرحلة الابتدائية حين كنت أشعر بلهيب في جسمي يدفعني للدراسة ويبعد عني التعب والملل . اما الان فانني ادفع نفسي عنوة الى الكتاب وينطبق على المثل الانجليزي « باستطاعتك ان تقود الحصان الى الماء ولكن ليس باستطاعتك ان ترغمه على الشرب » وعندمــا أجلس للمطالعة في كتاب مدرسي يغلب علي النعاس .

٤) عند مباشرتي لأي عمل احسب ان الوقت سيهرب فلا أتمه وأنتقل سريعاً الى غيره، وقد حاولت التغلب على هذه الفكرة فنجحت مرات وأخفقت مرات. وكذلك اذا تحدثت مع اي شخص (استاذ او زميل او قريب) يخيل لي اني اضيع وقته حتى ولو كان الحديث هاماً فأقتضبه وأختزله وأنهيه من منتصفه او قبل .

٥) لدي عدة ميول متباينة : الموسيقى ، الرسم ، علم النفس ، العلوم الطبيعية ، الكتابة الأدبية في القصة او المقال او الموضوعات الاجتماعية وغير هذا من الميول الثقافية وأرجو ارشادي لمعرفة أقوى هذه الميول لأتخصص فيها.

الاجابة : ان دراستنا لشكواك تثبت ان حالتك غير مرضية ، وانما هي اضطرابات عابرة يمكنك التغلب عليها بعدم تركيز اهتمامك حولها. وحاول القيام بكل واجباتك الدراسية على أكمل وجه والابتعاد عن الموضوعات العاطفية لتشعر بالاستقرار وتقضي على كل هذه الأوهام .

جولة الأديب في شهر

رابطة الكتاب العرب

°°°

ستتحدث الاقلام كثيراً عن مؤتمر الكتاب العرب ، الذي دعت اليه رابطة الكتاب السوريين، وانعقد في ايام ثلاثة تاريخية من اسبوعنا الماضي ، في دمشق العربية الخالدة .

ستتحدث الاقلام كثيراً عن هذا المؤتمر الاول في تاريخ الادب العربي ، بعد عكاظ ، من حيث هو اول «عكاظ» لادبنا القومي في عصوره الحديثة جمع ادباء ومفكرين من اقطار عربية شتى، تجمع بينهم رابطة الفكر الحر والادب الحي ، لا رابطة « الحرفة » السياسية . او « الجاه الرسمي » ، او « صنمية » الشهرة والصيت !

وستتحدث الاقلام كثيراً عن هذا المؤتمر من حيث هو اول «عكاظ» للكتاب العرب تلاقوا عنده على موعد مع قضايا الادب وللفكر والثقافة جميعاً ، يتدارسونها بعمق وسعة ، وبسكينة وتواضع ، وبصدق واخلاص ، وبمنأى عن الشهوات الفردية و«المعسكرات» الاقليمية، وبدوافع من هذه الصلات الخالصة القائمة بين الكاتب ووطنه من جانب ، ثم بين الكاتب وانسانيته من جانب .

ستتحدث الاقلام كثيراً عن هذا المؤتمر ، من وجهه هذا او من وجه ذاك ، او من كلا وجهيه ، واما انا فأحب شيء الى عقلي ونفسي معاً ، في هذه اللحظات ، ان اتحدث عن هذا المؤتمر من وجه آخر ، هو ما يزال عندي انصع وجوهه وابهرها وانبلها جميعاً .

احب الى عقلي ونفسي معاً ، في هذه اللحظات ، ان اتحدث عن هذا الوليد العزيز الذي ولده مؤتمر الكتاب العرب بدمشق، في عرس ابهج عرس ، وفي مهرجان ازين مهرجان .

فقد مضى زمن وادبنا القومي في مخاض، يريد ان يلد شيئاً ما ، ويريد ان يكون الوليد المرتقب هذا ، وحدة عربية على صعيد الفكر والادب والثقافة ، لتكون هذه الوحدة تعبيراً حقيقياً عن وحدة الحياة العربية في صعيد التاريخ واللغة والاقتصاد والمطمح والمأمل والمحنة والعاطفة .

وتعبير الادب والفكر والثقافة عن وحدة الحياة العربية ، اذا جاء وليد الحياة العربية نفسها، كان اكثر من تعبير، بل كان اعمق من ذلك واكبر واشمل ، فانما يكون حينذاك ، حادياً للقافلة العربية في سيرها المبارك الى الذروات العالية التي تنتظرها في دنيا الغد ، ثم يكون هادياً لها في ظلمات الطريق ، اذا اشتدت في طريقها الظلمات .

وظلّ المخاض طويلاً ، حتى ولد مؤتمر الكتاب العرب بدمشق في الاسبوع الماضي « رابطة الكتاب العرب » .

هذا الوليد هو الاحب الى عقلي ونفسي ، لانه جاء يعطيني الحياة اغنى وارحب واخصب مما اعطانيها ، حتى الآن وجودي الفردي الذي تضيق به طاقة « الانسان » الحي في ذاتي .

كانت « رابطة الكتاب السوريين » في سورية ، وكانت « اسرة الجبل الملهم » وغيرها في لبنان ، وكانت اسر ادبية وفكرية اخرى من هذا القبيل في مصر والاردن والعراق، ثم تلاقت جميعها على شعار واحد ورسالة واحدة ، وانصهرت في وحدة الفكر الحر الطامح لحياة فضلى ، فاذا منها جميعاً هذه السبيكة العربية الخالصة : « رابطة الكتاب العرب » .

تبارك الوليد الحبيب الجديد بعد المخاض العظيم الطويل.

« الحياة »

حسين مروة

من رابطة الكتاب العرب

مؤتمر الكتاب العرب بدمشق

✳

كانت رابطة الكتاب السوريين قد دعت الى عقد مؤتمر للكتاب العرب في دمشق يبحثون فيه قضايا الفكر العربي الحديث ويعالجون مشاكله ويتداولون في امر العراقيل التي توضع في طريقه لتحد من انطلاقه وتطوره المبدع .

وقد وضع جدول اعمال المؤتمر الذي اعدته اللجنة التحضيرية امام الكتاب العرب مهمة معالجة امور عديدة . فانقسم اعضاء المؤتمر الذي ضم جمهرة كريمة من ادباء البلاد العربية من لبنان وسوريا ومصر والعراق والبحرين والاردن الى لجان ست للنظر في الشؤون التي نص عليها مشروع جدول الاعمال المقترح .

واللجان هي : لجنة تحديد مفهوم الادب الجديد وقضية اللغة الفصحى واللغة العامية ، ولجنة احياء التراث العربي ، ولجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية ، ولجنة الترجمة ، واللجنة الاجتماعية واللجنة التنظيمية .

واختتم المؤتمر اعماله التي دامت ثلاثة ايام (٩ و ١٠ و ١١ سبتمبر) بمهرجان ادبي كبير وباعلان حل رابطة الكتاب السوريين وانضمام جميع اعضائها الى الرابطة الكبرى « رابطة الكتاب العرب » وباذاعة مقررات اللجان الست . وننشر فيما يلي بعض هذه المقررات مما يسمح المجال بنشره .

مقررات لجنة الادب الجديد – الفصحى والعامية

في الادب الجديد : الادب الصحيح ، كما نفهمه تجربة اجتماعية مكثفة في فرد موهوب ، تصور بيئته من خلال ذاته وتشارك في حياة شعبه وتطويرها في سبيل مجتمع احسن .

ولما كان لا بد للاثر الادبي الناجح من عنصر ذاتي يعطيه طابعه الخاص فان الحرية كانت ولاتزال ضرورية لتنقيح مواهبه واكساب اثره الجمال المنشود . ومع ذلك فالادب لا حياد فيه فهو اما ان يكون مع القوى التي تضمحل وتحتضر في المجتمع ، واما ان يقف الى جانب العناصر المقابلة الجديدة التي تولد وتنمو ولقد دل تاريخ الادب العربي والعالمي ان مكان كل ادب خالد كان ابداً في طليعة القوى النامية لذلك فان الادب العربي المترسم في الوقت الحاضر هذه الطريق هو الادب الذي يعيش .

والاديب متحيز في كل احواله تحيزاً تلقائياً واعياً ، يحيا تجربته ويعيشها بكل ما يملك من حب وثقافة وموهبة . من هنا ، وجب ان يتزود الاديب باوسع ما يمكن من الثقافة العلمية والاجتماعية والفنية .

ان النظر الى اي اثر ادبي يجب ان يراعي ابداً الفترة التاريخية التي ظهر فيها كي نحسن الحكم على الآثار الماضية والحاضرة ونرسم طريق المستقبل لها . وفي الادب لاينفصل المضمون عن الشكل فهما كل واحد ، والمضمون المتطور الى احسن هو الذي يبدع بطبيعته شكله الجديد . والاديب يستقي قبل كل شيء من واقعه الحي ، لان الادب الصحيح هو ابداً ضد الافتعال في سبيل رسم نماذج واحداث مسبقة بعيدة عن الواقع .

في الفصحى والعامية : في الواقع ان مشكلة اللغة العربية متصلة كل الاتصال بالمشكلة الاجتماعية كلها . وكل حل نهائي لها يجب ان يكون مرتبطاً بحل تلك المشكلة الاجتماعية . ولكن هذا لا يعني ابداً الا تجري محاولات في هذا المضمار تمشياً مع الحاجات الملحة المباشرة .

ان الادب كما فهمناه هو تجربة اجتماعية حية ، مكثفة في في فرد موهوب ، ومستقاة من واقعه ، وبعيدة عن الافتعال وهذا المفهوم يقودنا الى ان نؤمن ان الاسلوب الذي يكتب به الادب الجديد يجب ان يقترب اكثر ما يمكن من الواقع الذي نعيشه .

ان الفصحى مهما قيل فيها ، لغة لا يمكن التخلي عنها ، وهي ممثلة لجانب كبير من حياتنا ، ولكن خيرها ما كان بعيداً عن الحذلقات والتقعر ، قريباً الى الافهام ، سهلاً بسيطاً . والعامية بالمقابل ، واقع لا يمكن نكرانه ، فهي حديث الناس ، ولا يمكن في سبيل انتاج اثر ادبي صحيح ، وخاصة في المسرحيات والحوار الروائي ان نغفل هذه الناحية . اننا اذ نهتم بهذه الامور لا ندعو الكتاب الى تبنيها كأمر نهائي ، وانما نعني ان يترك الباب مفتوحاً للكتاب كي يجربوا في هذا المضمار ، مستوحين ثقافتهم وحسهم الفني ، ومصلحة مجتمعهم ، وتراثهم العربي .

تقديم : ان تراثنا العربي غني في مضمونه متنوع في اشكاله ولكن الكثير منه مشوه او مطموس وخاصة تاريخنا الذي يحتاج الى تحقيق جديد* كما ان الكثيرين من مؤرخينا ومفكرينا وادبائنا القدامى قد اوقفوا انتاجهم عند مدى تقدمي معين ، املته عليهم الظروف التاريخية التي عاشوها . فلا بد حيال ذلك لاحياء هذا التراث الضخم ووضعه في اطاره التاريخي من التزام النواحي الآتية .

– المنهج العلمي المبني على النظريات العلمية في تطور المجتمع والتاريخ .

– الاصطفاء والجهرة والتعليل التي يقتضيها هذا المنهج العلمي .

– اجتلاء ذلك المدى الذي وقف عنده المفكرون القدامى وجعله نقطة انطلاق تساعد في حماية هذا التراث الفني واكماله .

يوصي المؤتمر بما يلي : – في مجال احياء التراث الفني : يوصي المؤتمر بالكشف عن النواحي الخلاقة في حياتنا الفنية ولا سيما ما يتعلق بالصلات الفنية التي تربطها بالفنون الادبية الحديثة ومدى اثر الفنون العربية في تطوير هذه الفنون الاوروبية وسواها واغنائها بالمفاهيم والاشكال ، لكي يتمكن فنانونا من جعل ذلك نقطة انطلاق جديدة نحو فن عربي حديث ، يشمل (الموسيقى والغناء والرقص والنحت والتصوير والزخرف

* لا يقف عند تاريخنا القديم وحده بل يمتد الى تاريخنا المعاصر .

العربي والخط والتمثيل) .

– وفي مجال احياء التراث الادبي : يوصي المؤتمر باعادة النظر في الادب العربي كله ، وبوضعه تحت معايير النقد العلميـــة للكشف عن الانحرافات والاوهام فيه ، وابراز ما طمسه الزمن تحت وطأة القوالب الجامدة والتيارات الدينية والسياسية والمذهبية وبالالحاح على اظهار الخصائص التي يتميز بها الادب العربي ، والكشف عن الروابط التي تصله بباقي حلقات سلسلة الآداب العالمية ما سبق منها وما لحق .

– يوصي المؤتمر المشتغلين بالادب في كل بلد عربي بالعمل على اظهار الدور الذي نهضت به الجماهير في تكوين الادب وذلك بتوجيه عناية خاصة الى دراسة واحياء التراث الذي انتجه الشعب في نواحي الادب والفن، باعتبارها اساساً من اسس ادبنا الجديد والعمل على اذاعة خير ما في ذلك التراث بكافة وسائل الاذاعة والنشر .

– ويوصي المؤتمر في مجال احياء التراث الفكري : بالعمل على كشف المفكرين العرب الذين طمسهم الطغيان ، اوعفّى عليهم النسيان ، واصطفاء ما صلح من نتاجهم وشرحه وجعله في متناول جماهيرنا العربية ، ودراسة المدارس الفكرية التي اوجدوها واظهار خصائصها ولا سيما الخصائص الانسانية .

اما الاصطفاء ، فيكون باختيار ما ينسجم وسير الحضارة ، ويساعد على تطوير الفكر الحديث واغنائه وابراز جميع هذه الجوانب بشرحها وفق المنهج العلمي ، على ان يراعى في ذلك استعمال الاساليب الحديثة فيها . واما طريقة ايصالها الى الجماهير فهي (النشر ، والمهرجانات لاحياء ذكرى المفكرين العرب والمحاضرات والاذاعة والسينما) .

– ويوصي المؤتمر في قضية تحقيق التاريخ العربي بالعناية بالمنهج العلمي الواضح ، وابراز دور الشعب في تكوين التاريخ وجلاء الضلالات والاوهام التي تكتنف الحوادث التاريخيـة ، واتخاذ الكتب التاريخية الحاضرة وسائر الاسانيد الاخرى ركيزة للمعرفة ، وزيادة العناية بتتبع التطور المادي للتاريخ العربي والنتاج السياسي والاجتماعي والثقافي المبني عـــلى تطور النشاط الاقتصادي .

مقررات لجنة الترجمة

وفي مجال الترجمة اصدر المؤتمر المقررات التاليـــة :

– الكتب التي تنتقى للترجمة ، بالدرجة الاولى ، هي الكتب العلمية ، والادبية ، والاجتماعية العالمية ، التي تفيد في تطوير المرحلة التاريخية التي تجتازها البلاد العربية في الوقت الحاضر وتساعد في التحرير الوطني ، وتثقيف الجماهير ودفعها كي تأخذ مكانها الصحيح في ركب الحضارة الانسانية ، على ان توجه عناية خاصة الى الكتب والابحاث التي تهتم بالتراث العربي والقضايا المتعلقة به .

– يوصي المؤتمر بتأليف لجان محلية في كل بلد عربي مهمتها انتقاء الكتب القيمة والدعوة الى ترجمتها على ان ينتقى اعضاء هذه اللجان من المترجمين المنضمين الى رابطة الكتاب العرب .

– يلح المؤتمر على ضرورة توفر الكفاءات اللغوية والعلمية والثقافية في كل مترجم : ان يتقن اللغتين اتقاناً تاماً ، ان يتفهم روح الكاتب المترجم له ، وان يتعمق في مذهبه .

– يوصي المؤتمر بضرورة وضع مقدمات وافية لكل كتاب مترجم ، تساعد على حسن تفهمه وتبين الحاجات التي يلبيها في مجتمعنا ، ويقترح تأليف او ترجمة دراسات علميـــة عن اشهر الكتاب العالميين ، تشرح قيمة الكاتب وتضع آثاره في اطارها التاريخي المحدد ، وينصح المؤتمر بوضع هوامش وشروح للكتب العلمية ، او الفلسفية ، او التاريخية .

– يأمل المؤتمر ان تصدر اكثر الكتب المترجمة في طبعات شعبية ، كي يتمكن اكبر عدد ممكن من القراء الافادة منها ، ويرجو المؤتمر من المترجمين ، من اعضاء رابطة الكتاب العرب ان يحملوا دور النشر على نشر كتبهم في طبعات شعبية زهيدة الثمن .

– يطالب المؤتمر بأن تنقد الكتب المترجمة نقداً موضوعياً فتبين الحسنات وتجرّح السيئات على أن يكون هذا النقد بناء نزيهاً يتناول قيمة الترجمة ومدى توفق المترجم في نقل الاثر الفني .

– يقترح المؤتمر تبني مبدأ الترجمة الجماعية في نقل المؤلفات الفكرية والفلسفية ، والعمل على توحيد المصطلح العلمي في سائر البلاد العربية .

– يقترح المؤتمر اتخاذ الخطوتين التاليتين لمنع تكرار نقل الاثر الواحد :

– قيام اتصالات مباشرة بين جميع لجان الترجمة في البلاد العربية

– الاعلان عن الكتب التي شرع في ترجمتها ، في الصحف المحلية ، والمجلات الادبية وسواها .

يوصي المؤتمر بنقل المؤلفات العربية القيمة الى اللغات الاجنبية الأخرى والسعي لدى دور النشر على نشرها وطبعها .

يقترح المؤتمر انشاء سجل احصائي لجميع الكتب المترجمة في مختلف انحاء البلاد العربية .

في **مجال الدفاع** عن الثقافة الوطنية قرر المؤتمر مايلي :

المطالبة والعمل على مكافحة الأمية بانشاء مدارس ليلية ، ودعوة المؤسسات والجمعيات الثقافية والافراد الى المساهمة في هذا الأمر وخاصة في الارياف والقرى وتعميم غرف المطالعة والمكتبات العامة فيها . المطالبة بتعميم الزامية التعليم الابتدائي ومجانيته في جميع الاقطار العربية ، وتنفيذ ذلك تنفيذاً عملياً . المطالبة بتصفية المدارس الاجنبية على اختلاف مصادرها . المطالبة بتوسيع التعليم الثانوي والمهني دون تقييده بشروط وقيود ، وأن يكون مجانياً . المطالبة بتعزيز التعليم الجامعي وتوسيعه ، وانشاء فروع دراسية جامعيـــة تساير حاجات البلاد العربية التكنيكية ، وانشاء جامعات وطنية وجامعات شعبية تتيح للعمال وسائر ابناء الشعب تلقي العلوم العالية . المطالبة بتحديد وتخفيض الاجور المدرسية بما يتناسب مع طاقة فئات الشعب الفقيرة والمتوسطة ، ريثما يتم تطبيق مجانية التعليم في جميع مراحله .

— المطالبة بجعل اللغة العربية لغة التعليم في جميع مراحله في البلدان العربية ، مع العناية التامة بتدريس اللغات الاجنبية الحية بغية توسيع الثقافة واتقان العلوم .

— المطالبة بالعناية بهيئات التعليم وتوسيع دور المعلمـــين والمعلمات وفتح دورات تدريبية والاهتمام بوضع هذه الهيئات المادي وتأمين وضعهم المعنوي والاعتراف بحصانتهم ليكونوا في مأمن من الاضطهاد والاستغلال .

— المطالبة والعمل على وضع مناهج دراسية غايتها اعداد الطلاب للحياة وتكون ذات طابع وطني عملي ، وتعنى بانماء الفكر والشخصية اكثر من عنايتها بحشو الذاكرة لاجتياز الامتحان ، وتتيح للطالب ممارسة النشاط الفني والادبي والرياضي .

— المطالبة بجعل المؤلفات المدرسية مبنية على اسس وطنية وعملية ، وتخليصها مما فيها الآن من التوجيهات التي تسيء الى الناحيتين الوطنية والعلمية ، وتأميم هذه المؤلفات تأميماً سليماً يهدف الى اجادة التأليف وتخفيض الاسعار وخدمة ابناء الشعب وحمايتهم من الاستغلال .

— المطالبة بتدريس الفلسفة العربية الاسلامية حسب موقعها الزمني من تاريخ تطور الفلسفات القديمة والمتوسطة والحديثة ليظهر اثرها في هذا التطور .

— المطالبة بتدريس الادب العربي على اساس علاقته بتطور الحياة العربية خلال تاريخنا القومي لا على اساس النهج الفردي والموضوعات الذاتية .

— العمل والمطالبة بمكافحة الكتب والنشرات والمجلات والاذاعات والاشرطة السينمائية التي تشيع الميوعة واليأس والقلق والانحلال الخلقي والنزعات الطائفية في النشء وتحبب اليه الجريمة والحروب العدوانية وتحمله على الخنوع ، والعمل والمطالبة بتشجيع ما يساعد على انشاء جيل يتحمل المسؤوليات الوطنية والاجتماعية والانسانية .

— تبني اقامة مهرجان ادبي احياء لذكرى المفكر الكبير جمال الدين الافغاني بمناسبة مرور ستين عاماً على وفاته ، اعترافاً بأثره العميق في اليقظة الوطنية والتحرر الفكري .

مقررات اللجنة التنظيمية : تأليف رابطة للكتاب العرب

اسم الرابطة وشعارها : — اسمها « رابطة الكتاب العرب » ويترك للعضو الحق في ذكر اسم البلد الذي ينتمي اليه مع توقيعه عند نشر اثر ما . — **شعار الرابطة** : « فكر حر وحياة أفضل » .

التنظيم العام : — يؤلف في كل بلد عربي فرع لرابطة الكتاب العرب يقوم بادارته امين سر وامين صندوق — يؤلف مكتب عام للرابطة ينتقل دورياً كل سنة من بلد عربي الى بلد عربي آخر ويجوز ان يستمر المكتب العام في بلد ما اكثر من دورة .

— يتألف المكتب العام من امين عام الرابطة وامين سر وامين صندوق وعضو ، وهؤلاء جميعاً ينتخبهم اعضاء الرابطة في البلد الذي يكون فيه المكتب وتؤخذ موافقة فروع الرابطة في باقي البلاد العربية على انتخاب الأمين العام .

مهمة المكتب العام : — تنظيم الاتصال بين مختلف فروع الرابطة وتنسيق اعمالها وتحقيق الانسجام بينهـــا . — قبول الاقتراحات وتعميمها وتنفيذ ما يقر منها . — تهيئة اجتماع دوري سنوي لاعضاء الرابطة والدعوة اليه . — تنظيم مناسبات ادبية وفكرية عامة . — التبادل الثقافي وتنظيم الزيارات والاتصالات بين الادباء والكتاب في داخل البلاد العربية وخارجها .

— العمل على اقامة معارض للكتاب العربي وتنظيم جوائز لمكافأة الانتاج الفكري وتكريس الآثار الفكرية القيمة .

— تنفيذ توصيات المؤتمر العام ومقرراته . — يؤلف المكتب العام هيئة للدعاية والنشر . — الدفاع عن المفكرين العرب والفكر العربي وحمايتها من الطغيان . — مواصلة اصدار كتاب الرابطة الذي كانت تصدره رابطة الكتاب السوريين تحت الاسم نفسه .

ويلي ذلك التنظيم المالي .



١٧ اغسطس ١٩٥٤ - وصل الى باريس طاهر بن عمار رئيس الوزارة التونسية ومحمد مسعودي وزير الدولة. وقد افتتحت المحادثات التونسية الفرنسية الهادفة الى حصول تونس على استقلالها الداخلي.

١٨ - رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا، اقتراحاً فرنسياً يقضي باجتماع سريع يعقده وزراء الخارجية الاربعة مع روسيا.

١٩ - توفي السيد دي جاسبيري رئيس الحكومة الايطالية السابق وزعيم الحزب الديمقراطي المسيحي

- اعلن ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية ان بريطانيا ليست مقيدة باي التزام يحتم عليها المساهمة في الدفاع عن جزيرة فرموزا اذا خطر للصين الشعبية مهاجمتها.

- قامت مظاهرات واضطرابات في اليونان وقبرص ووقع العديد من الجرحى وذلك للمطالبة بتوحيد قبرص واليونان. واعلن ناطق باسم الخارجية اليونانية ان اليونان انما قدمت القضية الى هيئة الامم لانها تعتبر قرارات هذه الهيئة الدولية ملزمة للاعضاء اي ان على بريطانيا ان تتقيد بالقرار الذي يصدر.

٢١ - استأنف في بروكسل وزراء خارجية الدول الست المشتركة بمعاهدة الدفاع الاوروبي اتصالاتهم للوصول الى تسوية لمشكلة التعديلات الفرنسية المقترحة على المعاهدة.

٢٢ - انتهت محادثات وزراء الخارجية الستة بشأن مشروع الدفاع عن اوروبا ولم يتمكن المجتمعون من الوصول الى حل المعضلة.

٢٣ - توترت الحالة في البرازيل بعد ان اعلن ان هناك نزاع بين رئيس الجمهورية السنيور فارجاس وبين ضباط سلاح الطيران الذين اعلنوا الثورة ضده.

٢٤ - صدر بلاغ رسمي في ريو دي جانيرو يعلن ان الرئيس فارجاس قد تخلى عن منصبه بصورة مؤقتة لنائبه وانه طلب من الكونغرس اجازة يقضيها بعيداً عن العاصمة.

- انتحر السنيور فارجاس رئيس جمهورية البرازيل بان اطلق الرصاص على نفسه بعد ان رفض الجيش الحل الذي تقدم به الرئيس وطالبه بالاستقالة.

- اعلن تنصيب السنيور كافيه فيليو نائب رئيس الجمهورية البرازيلية رئيساً جديداً. وجرت مظاهرات صاخبة طالب المتظاهرون فيها بدم الرئيس فارجاس.

٢٦ - اصدرت الاميرالية البريطانية تقريراً عن قوة روسيا البحرية يشير الى توسع كبير احدثته روسيا في تسلحها البحري.

٢٧ - عرضت الحكومة البولونية على فرنسا عقد معاهدة للتحالف وتبادل المساعدة بين البلدين.

٢٨ - وصل الدكتور عبدالله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية الى بغداد لعقد محادثات مع الملك فيصل والامير عبد الاله ولي العهد ونوري السعيد رئيس الوزارة وقد صرح اليافي بان زيارته عبارة عن تتمة للمحادثات التي بدأها في عمان والتي تستهدف ايجاد التعاون بين الدول العربية وتوحيد صفوفها.

٢٩ - اعلن في طهران عن اعتقال عدد كبير من الاشخاص بينهم بعض ضباط الجيش والبوليس للاشتباه بان لهم ضلعاً بمؤامرة ضد الحكومة القائمة بايران.

٣٠ - قررت بريطانيا رفع الحظر عن تصدير الاسلحة الى مصر وكان هذا الحظر قد فرض في اكتوبر ١٩٥١ على اثر الغاء مصر للمعاهدة الانكليزية المصرية.

٣١ - رفض مجلس النواب الفرنسي التصديق على مشروع معاهدة الجيش الاوروبي وارجاء البحث في موضوعها الى اجل غير مسمى.

اول سبتمبر ١٩٥٤ - عقد مجلس وزراء المانيا الغربية جلسة طارئة وقد صدر بلاغ بان الحكومة الالمانية ستواصل تأييدها للوحدة الاوروبية على الرغم من رفض فرنسا مشروع الدفاع الاوروبي وانها تطلب مفاوضات سريعة جديدة من اجل اعادة تشكيل اوروبا عسكرياً.

٢ - وصل الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي في مصر الى عمان في زيارة رسمية للاردن وقد بدأ محادثاته مع المسؤولين.

٣ - استقال ثلاثة من اعضاء الوزارة الفرنسية من مؤيدي معاهدة الدفاع الاوروبي.

٤ - احتفل في قصر الباي في قرطجنة ببدء المحادثات التونسية الفرنسية لاعطاء تونس حكمها الذاتي الداخلي على اساس المشروع الفرنسي الذي قبل الوطنيون التفاوض على اساسه.

٦ - عقدت في مانيلا الجلسة الاولى لمؤتمر الدول الثماني الذي يبحث في موضوع انشاء حلف لجنوب شرقي اسيا.

- ضربت طائرات الصين الوطنية المدافع المرابطة على شاطيء الصين الشعبية والتي كانت تضرب جزيرة كيموي القريبة من فرموزا. وكذلك يدخل تبادل اطلاق القنابل بين المدفعيتين في يومه الرابع.

٧ - طلبت الولايات المتحدة دعوة مجلس الامن الدولي الى الاجتماع للنظر في الاعتداء السوفياتي الذي اسقطت فيه طائرة امريكية بحرية في الاسبوع الماضي.

٨ - قدم الدكتور عبدالله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية استقالة حكومته.

- تم في مانيلا عاصمة الفلبين التوقيع على الحلف الاسيوي وميثاق المحيط الهادي وقد وقعته امريكا وبريطانيا وفرنسا واوستراليا والباكستان ونيوزيلندا وسيام والفلبين وترك الباب مفتوحاً لدول جنوبي شرقي آسيا.

١٠ - اجتمع مجلس الامن الدولي وقرر ادراج الشكوى الامريكية المتعلقة بالحادث الجوي بينها وبين الاتحاد السوفياتي في جدول اعمال المجلس.

١٣ - ابتدأت في ايران تحقيقات خاصة متعلقة بالامن تشمل جميع رجال الجيش الايراني وقد اتخذت هذه الاجراءات بعد اكتشاف شبكة شيوعية واسعة بين رجال الجيش اتهمت بالتجسس والتآمر على قلب حكومة زاهدي واغتيال الشاه.

١٤ - اعلنت وزارة الخارجية السوفياتية معارضة الحكومة لحلف جنوب شرقي اسيا وقالت ان هذا الحلف موجه ضد مصالح وامن اسيا والشرق الاقصى.

١٥ - وصل الى القاهرة السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق قادماً من بيروت في زيارة لمصر تجري خلالها مباحثات مع الحكومة المصرية تكون تتمة للمحادثات التي اجراها الصاغ صلاح سالم في العراق.

١٦ - اعتذر الدكتور عبدالله اليافي عن تأليف الوزارة اللبنانية.

١٧ - وصل الى نيويورك اللواء محمد ابراهيم رئيس اركان حرب القوات المصرية وبعض معاونيه تلبية لدعوة الجيش الامريكي.

١٨ - الف الاستاذ سامي الصلح الوزارة اللبنانية الجديدة.

دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان
تلفون ٢٨٧٥٧